يهود الخزر

وأدوارهم السياسية في التاريخ



تصوير

احمد ياسين

العبيكان
obeikan

رشدي محمود رشيد العاني

يهود الخزر

وأدوارهم السياسية في التاريخ



رشدي محمود رشيد العاني



العبيكان
Obeikan

يهود الخزر

وأدوارهم السياسية في التاريخ



رشدي محمود رشيد العاني



العبيكان
Obeikan

 **شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العاني، رشدي محمود رشيد

يهود الخزر وأدوارهم السياسية في التاريخ/
رشدي محمود رشيد العاني.
الرياض، ١٤٣٨هـ

٣١٢ ص؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٥٠٩-٠٨٧-٢

١-اليهود - تاريخ أ.العنوان

ديوي ٢٣٩,٤ رقم الإيداع: ١٤٣٨/٧٢٨٣

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م

نشر وتوزيع العبيكان

المملكة العربية السعودية-الرياض -
طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦+ فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦+

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com



obeikanpub obeikan.reader

للحصول على كتبنا الورقية









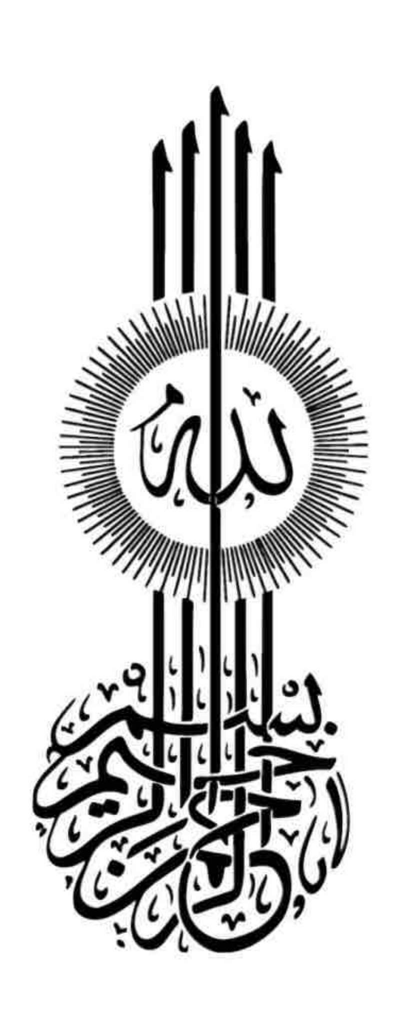









جميع الحقوق محفوظة للناشر. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكيـة، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.


الله
بسم الله الرحمن الرحيم



تصوير
احمد ياسين
@Ahmedyassn90

محتويات الكتاب

الموضوع — الصفحة

تصوير احمد ياسين



تصوير
احمد ياسين
@Ahmedyassn90

والحقيقة أن من يزعمون..... أنفسهم (يهودًا) المتحدرين تاريخيًّا من سلالة الخزر، يشكلون أكثر من ٩٢ بالمئة من جميع من يسمون أنفسهم (يهودًا) في كل مكان من العالم اليوم، والخزر الآسيويون الذين أنشؤوا مملكة الخزر في أوروبا الشرقية، أصبحوا يسمون أنفسهم (يهودًا) بالتحول والاعتناق سنة ٧٢٠م، وهؤلاء لم تطأ أقدام أجدادهم قط (الأرض المقدسة) في تاريخ (العهد القديم). هذه حقيقة تاريخية لاتقبل جدلًا....

بنيامين فريدمان

تصوير أحمد ياسين

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.... وبعد...

لقد ضمت صفحات التاريخ في طياتها أحداثًا جسامًا غفل عنها العالم بأسره؛ وكان ذلك لسبب واحد لا غير؛ وهو جهل أغلب أبناء هذه الأمة بتاريخ غيرهم من شعوب العالم؛ لذلك فإن قراءة التاريخ ودراسته تكشف مكنونات وخبايا تتعرف الأمة من خلالها على صفحات ومزايا غيرها من الشعوب؛ فصفات الشعوب متأصلة في أبنائها، تنقلها الأجيال تلو الأجيال؛ لذلك قيل: «إن التاريخ يعيد نفسه»، فلو عرف أبناء أمتنا تاريخ اليهود على حقيقته منذ أن نشأ أولئك وما تعرضوا له من الويلات والشتات جراء ممارساتهم وانحرافاتهم عن مسار الإنسانية، لما حل بالأمة التي تعاني منه الآن.

إن الذي أنقذ الشعوب الغربية والأوربية من ويلات الجماعات اليهودية فقط هو معرفتهم وإلمامهم بتاريخ اليهود...

لقد عانت شعوب أوروبا ومواطنو الولايات المتحدة وبريطانيا من الجماعات اليهودية، ما دفعهم أن يبذلوا كل غالٍ ونفيسٍ من أجل جمع هؤلاء في وطن؛ كي يتخلصوا بذلك من ممارساتهم التي امتازت بسيطرة اليهود على مفاصل الحياة المهمة ومنابع المال وأماكن صنع القرار... بل أوقعوا حكومات الدول التي كانت تحتضنهم بأزمات وحروب هم في غنى عنها وعن ويلاتها.

لقد اختيرت فلسطين لأولئك في يوم كان المسلمون يغطون في غفلة استيقظ أعداؤهم لها لاستغلالها وتمرير أخطر حدث عرفه التاريخ، فلو عرف العرب من هم أولئك اليهود الذين جاؤوا من أماكن شتاتهم المتفرقة وهم يحملون هوية لا تمت لهم بصلة دم أو عرق أو دين وحتى مواطنة، لما سمحوا لشخص واحد من أولئك الأدعياء أن يدنس أرض المسلمين ويغتصبها بادعائه أنها أرض آبائه وأجداده.

لقد غفل العرب والمسلمون عن أقوام انطلقوا من أقاليم الخزر والقوقاز وشرق أوروبا وبلاد البلغار وجاؤوا بفرية لم يأت بها أحد قبلهم أو بعدهم من العالمين، تسندهم بذلك العروش الموالية لهم والخائنة من أبناء البلاد العربية.

لقد دعاني أن أكتب في هذا الموضوع أخطر حدث تاريخي مر على مر العالم وانطلقت فصول أحداثه عبر الأجيال المتعاقبة وكأن شيئًا لم يكن...

لقد انتحل الخزر هوية شعب وديانته التي انقرض أبناؤها عبر التاريخ، ولم يبق منهم إلا النزر القليل... يفتقرون إلى أدنى مقومات الحياة من وطن يجمعهم أو مجتمع يضمهم.

إن الدول الغربية وإلى جانبها الولايات المتحدة الأمريكية تلقن أبناءها في المدارس أن نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هاجر من العراق ومعه أربعة آلاف من اليهود... وبين نبي الله إبراهيم وظهور اليهود ألف وأربع مئة سنة تقريبًا... علمًا أن غالبية أبنائنا لا يعرفون حقيقة أسلافهم وأصالة حضاراتهم...

لقد تحول الزيف الغربي الذي تغذى عليه أبناء تلك الشعوب إلى مسلَّمات وحقائق في عقول مجتمعاتهم، وصاروا يدافعون عنه دفاعهم عن الحق؛ وما هو إلا زيف تاريخي واغتصاب حضاري بُرِّر به اغتصاب الأرض، وما إن وعت الشعوب المغصوبة إلى ذلك الحدث الذي راحت تناضل وتجاهد من أجله حتى عادت الغطرسة الصهيونية والاستكبار العالمي المتمثل بالولايات المتحدة الأمريكية تطلق صيحات محاربة هؤلاء تحت ما يسمى بمحاربة الإرهاب.

والحق إنني لاقيت في بداية بحثي صعوبات جمة تمثلت بندرة المصادر التي تعرضت لهذا الموضوع وصعوبة الحصول على الموثوق منها.

والأمر الثاني أن في موضـوع البحث حقائق خطيرة تحتاج إلـى موازنة للخـروج بما يقنع العـدو والصديق؛ كـون الموضوع يخص تاريخيًّا شائكًا للجماعات اليهوديـة التي حرصت طوال حياتهـا على تزوير الحقائق وتمريرها علـى الشعوب والأجيال، بحيـث أصبح بعضها حقائق مسلمًـا بها، وإن بحثها وتمحيصها يحتاج إلى جهد ليس بالقليل.

ولأهميـة هذا الموضـوع قسمت الكتاب إلـى فصول ثلاثة؛ اشتمل كل فصل على ثلاثة مباحث؛

فـكان الفصـل الأول يتحدث عن تاريخ اليهـود العام وعن أحوالهم عبر العصور القديمة وأصول المجتمع اليهودي الأول.

أمـا الفصل الثـاني فكان عـن يهود الخـزر، وقد تحدثت فيه عـن المفاهيم والمصطلحات الخاصـة بتسمية الخزر وموقع بلادهـم وأصولهـم العرقية وعـن المفاهيم العامـة الاجتماعية والاقتصادية والسياسيـة، وشمل البحث أيضًا تحول الخزر إلى الديانة اليهودية وعلاقتهم بدول الجوار.

أمـا الفصل الثالث فكان عـن انحلال وسقوط دولة الخزر وأماكن شتاهم وأدوراهم السياسية فيها، وكيف هيأت لهم تلك الظـروف تأسيس الجمعيات والأحـزاب اليهوديـة التي تمثلت بالماسونيـة والصهيونية العالمية، ثـم كانت الخاتمة التي أجملت فيها ما وصلت إليه وما خرجت به من نتائج وحقائق تاريخية.

لقد عملت غاية جهـدي في الاعتماد على المصادر الموثوقة والمعتمـدة كون الموضوع يخص أحداثًـا تاريخية خطيرة ومهمة، وكان جهـدي ينصب دائمًا على المصـادر المحايدة التي لم تبعد العواطـف بأصحابهـا عن جـادة الصواب، ومن حسـن الطالع أنني حظيت بمصادر كانت لمؤرخين وباحثين من اليهود أنفسهم أمثال: كيستلر ودونلوب ونتنياهو وهنري فورد وفريدمان وبوكاي وليوهـن وألفريد ليلينتال والسمـو آل المغربي وشيريت وغيرهم كثيرون كتبوا عن هـذا الموضوع؛ بل راح بعضهم يعترف علنًا أن ليس ثمة علاقة بين هؤلاء اليهود وبني إسرائيل.

ثم إنني اعتمدت على مصادر عربية وأجنبية حرصت على انتقـاء منها ما يعطي للبحث موضوعيتـه، مبتعدًا عن الإسهاب والإطنـاب، ومتحاشيًـا الروايـات الضعيفة أو المغـالاة والتهويل للأحداث التاريخية، ومعززًا ما أوردته بتواريخ الحدث ومكانه.

وعلـى الرغم من حاجـة الموضـوع إلى توسـع وإسهاب في فقراته وأحداثه، إلا أننـي أجد أن في ذلك ابتعادًا عن المحطات الرئيسـة التـي يجب علينـا الوقـوف عندها في هـذه الدراسة؛ ولاسيمـا وهي تضم أحداثًـا خطيرة في التاريـخ ستثبت فصول هـذا الكتاب أن مـا يدور في العالم اليوم مـن أحداث لم يكن إلا حصيلـة لممارسات جاليات اليهود الخـزر الذين كانوا ينتشرون في أماكن شتاتهم.

هذا ما وفقني الله عليه، فإن كان خيرًا فمن عنده سبحانه وتعالــى، وإن كان غير ذلك فهو من نفسي، وأرجو من الله تعالى أن يلهمني السداد إنه نعم المولى، ونعم النصير.

ﮘﮗ

الفصل الأول

التمهيد

اليهود في التاريخ

المبحث الأول: المفاهيم العامة.

المبحث الثاني: اليهود عبر العصور.

المبحث الثالث: أصول المجتمع اليهودي القديم.

أ - الأوضاع الثقافية.

ب - العادات والتقاليد الاجتماعية.

ج - دراسة عن الحياة السياسية.



تصوير
احمد ياسين
@Ahmedyassn90

الفَصْلُ الأَوَّلُ

التمهيد

تعد دراسة التاريخ اليهودي من الأمور الصعبة والأكثر تعقيدًا إذا ما قورنت بدراسات أخرى؛ لما يمتاز به تاريخ هذه الجماعات من الغموض والتداخلات؛ إذ إن المصادر الخاصة بهذه الدراسة تكاد تكون محصورة ومحددة، ولما كانت كذلك فإن الباحث أو المؤرخ يجد نفسه أحيانًا في مواقف محرجة تفرض عليه أن يضع رأيًا حاسمًا لا يقبل الاحتمالات أو أن يقف من دون إجابة أحيانًا؛ نتيجة عدم مساعدة المعلومات التاريخية التي تدليها إليه مصادره التي بين يديه، والمصادر الأساسية التي انفردت بتاريخ اليهود القديم لا تتعدى الأربعة مصادر الآتية:

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس.

المكتشفات الآثارية.

استنتاجات ودراسات المؤرخين.

فالمسلمون يؤمنون بأن ما في القرآن من نصوص أو أخبار ثوابت لا تقبل الجدل أو الاجتهاد، وهي من عقائدهم المسلَّمة، كما أن إيمانهم بالقرآن الكريم يفرض عليهم الإيمان بالكتب السماوية المنزلة على الأنبياء والمرسلين الذين سبقوا الرسول الكريم محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أن ما طرأ على توراة العهد القديم من تحريف واختلاف، وما تحتويه الآن من التناقضات أخرجت الكتاب المقدس عن التنزيه الذي يحمله القرآن الكريم، مما عُدَّ مصدرًا لا يعتمد عليه بالقطع في الروايات والأخبار، وقد أشار إلى ذلك الباري عز وجل في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

والآية هنا لا تقول إن كل شيء مُختلَف عليه، وإنما هناك الكثير، ولما كان المقصود به هنا الروايات التوراتية فيعني هذا أن هناك من الروايات ما اختُلف فيها، ومنها ما لم يُختلف فيه، لكن الذي نستفيد منه ما يطابق القرآن الكريم والمكتشفات الآثارية وما رجحه المؤرخون في دراساتهم واستنتاجاتهم، وقد أشارت الأحاديث النبوية الشريفة بأن مرويات بني إسرائيل كانت مثارًا للشك والريبة، فقد روي عن النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا تصدقوهم**»(١)، بل إن هناك من الأخبار الكثيرة التي راجت بين المسلمين من مؤرخين وعلماء

(١) رواه مسلم.

سيرة وردت عن طريق محدثين من أهل الكتاب حملوا لنا مع إسلامهم كثيرًا من الأخبار والملاحم، أمثال: كعب الأحبار، وعبدالله بن سلام، ووهب من منبه، وقد زخرت كتب التفاسير والسير بهذه الأخبار، إلا أن علماء المسلمين انتبهوا إلى هذا الأمر، فمحصوها وحققوها ونبهوا إلى الضعيف منها وما هو بصحيح، وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى ذلك قائلًا: «إن كتب الأولين ومنقولاتهم كانت تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذ تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدئ الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب ويستفيدون منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى، وأهل التوراة الذين كان العرب يؤمئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حِمْيَر الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا يعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل: أخبار بدء الخليقة، وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك، فامتلأت التفاسير من المنقولات في أمثال هذه الأغراض؛ فكانت أخبارًا موقوفةً عليهم»[1].

---

(١) ابن خلدون العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت-؛ بلا - ص٤٣٩ - ص٤٤٠.

وعلى هذا فإننا في دراستنا لتاريخ اليهود سنسير بحذرٍ شديد؛ بغية عدم اللبس أو الخلط التاريخي، وبغية إعطاء الحقائق التاريخية حقها؛ معتمدين -كما أشرنا- إلى المصادر التي تعد الأمثل في الاعتماد عليها، والتي تعطي الصورة الواضحة للموضوع.

المبحث الأول

المفاهيم العامة

اليهود لغة: من هاد، وهي بمعنى تاب ورجع، فهو هائد وجمعه (هود) تائبون[1]، وجاء في القرآن الكريم على لسان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[الأعراف: ١٥٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ...﴾ [المائدة: ٤٤] الآية، وقال النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»**[2].

أما في الاصطلاح فإن المصادر بهذا الشأن قد ذهبت في اتجاهات عدة، ولكل واحد منها قوته أو ضعفه، فمنها من

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، دار بيروت، ص٤٣٩. والفيروز آبادي، الشيخ مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨ص٣٤٩. والرازي، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣، ص٧٠٢. والزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الخوارزمي، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٢، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٢٤٠.

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كتاب القدر، صحيح مسلم، ج٤، دار الحديث، القاهرة، ص٢٨٤٧.

قـال إن كلمة اليهود تعني الذيـن تابوا عن عبادة العجل من بني إسرائيـل، وهم الذين تحدثت عنهم الآية الكريمة الآنفة الذكر: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾[المائدة: ٤٤].

وهنـا نـرى أن الآيـة ورد فيهـا كلمـة ﴿أَسْلَمُوا۟﴾ وكلمـة ﴿هَادُوا۟﴾ فهـل كان الإسلام موجودًا حين شمل الخطاب الذين (هادوا) أم أن هناك ترابطًا بين الاثنين؟

نحن نعلم أن كلمة (أسلم) تعني انقاد وأخلص الدين لله، ودخـل في دين الإسلام، أما كلمـة (هاد) فقد وردت آنفًا بمعنى تاب ورجع إلى الحق، لكننا نرى أن الفعل قد أُطلق ليصبح ميزةً لقوم أو صفة لهـم يخاطبون بها ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، إذن هنـاك علاقـة زمانيـة في الخطاب الذي شمل من أسلم ومن هاد.

وقبـل أن نخوض في تفاصيل هذه العلاقـة علينا أن نذكر أننـا حين نطالع أسفار الكتاب المقدس نجد أن أسفار الشريعة الخمسـة التي نسبت إلـى النبي موسـى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأسفار يشوع والقضـاة والملوك الأولى كلها خالية من أي ذكر لصفات اليهود،

وقد وردت صفتهم لأول مرة في سفر الملوك الثاني[1]. إذ ذكر أنه في عهد مُلك آحاز على يهوذا ٧٣٥ – ٧١٦ق.م نقل رصين ملك آرام أيلة إلى آرام وطرد اليهود من أيلة (العقبة)، كما يرد في السفر نفسه الحوار بين رئيس السقاة لدى مملكة آشور وبين اليهود في القدس، حيث يطلق على أهالي مملكة يهوذا صفة (اللغة اليهودية)، وكان ذلك في عهد حزقيا ملك يهوذا ٧٨٧ – ٧١٦ ق.م، حتى إن هناك تميزًا لدى الآشوريين بين سبايا المملكة الشمالية (إسرائيل) وسبايا المملكة الجنوبية (يهوذا)[2]، وقد ظهر هذا التميز في صور التماثيل، حيث يمثل إحداهما إسرائيليًّا والآخر يهوديًّا، ويفيدنا هذا بأخذ الاحتمال القائل بأن كلمة (يهود) أطلقت على الذين انتموا إلى مملكة يهوذا، مما يعطي هذا الاسم مغزىً دينيًّا وسياسيًّا في آن واحد، عندها يكون (الذين هادوا) الذين اعتنقوا ديانة مملكة يهوذا، وقد امتازوا عن المملكة الشمالية (إسرائيل) بهذه التسمية.

ولم يثبت تاريخيًّا أن اسم مملكة يهوذا مُستمدٌّ من اسم يهوذا رابع أولاد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ. ويطالعنا إنجيل يوحنا براوية تقول إن يسوع طلب شربة ماء من امرأة سامرية، فقالت له:

---

(١) ٦/١٦.

(٢) غنيم، عبدالرحمن، اليهود بين القرآن والتوراة ومعطيات التاريخ القديم، دار الجيل، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠، ص١١ – ١٤.

كيف تطلب مني الماء وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية.[١] ثم تقول له أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه وماشيته[٢].

وواضح لدينا أن المرأة السامرية تعدُّ نفسها من ذرية يعقوب، وهذا التمييز بين السامرة وغيرهم قد يعطينا مدلولاً واضحًا على أن اليهودية لم تكن الشمولية المطلقة للديانة آنذاك

---

(١) إنجيل يوحنا: الإصحاح الرابع -٢-١٢-(السامرة) أو السامرية أول فرقة ثارت ضد اليهودية حين خالفت شريعة موسى عليه السلام، وقد كان لها توراة تختلف عن التوراة التي بين أيدينا والاختلاف بين التوراتين يتمثل كالآتي:

١- لايقبل جماعة السامرية إلا بالأسفار الستة الأولى وهي التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ويشوع.

٢- هناك خلاف في الحوادث في النوراتين والأماكن والأعداد.

٣- يتضح أن السامرية ليست الديانة التي آمن بها بنو إسرائيل الأسباط العشرة الذين انفصلوا عن دولة سليمان وسموها دولة إسرائيل والظاهر أن يهود عزرا قد انقسموا إلى قسمين السامرية واليهود. وأصبحت العلاقة بين السامرية واليهود علاقة معقدة جدًا وتحولت إلى عداوة أخذت تتطور عبر الزمن، فاليهود ينظرون إلى السامرية بأنهم محتلون لبلدهم، غير إلههم فهم يعبدون الإله (بيل) واليهود. أما السامريون فإنهم ينظرن إلى اليهود بأنهم كافرون متخاذلون منقسمون على أنفسهم، كما أن اليهود يعدون السامرية قومًا لايمتون إلى بني إسرائيل بصلة وأنهم أقوام أسكنهم الآشوريون مكان بني إسرائيل حينما غزاهم ستمارين والذي يعتقد أن اسمه (سنحاريب). راجع، همو، عبد المجيد الفرق والمذاهب اليهودية، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، سوريا، ص ٣٦ – ٣٩.

(٢) المصدر نفسه الإصحاح ١٧ (١١ – ١٨).

إن وجدت؛ إذ إن ما ترويه لنا الأناجيل من اختلافات وخصومات هي عميقة بين اليهود والسامريين (الإسرائيليين)، وفي هذا المجال يروي حنا الخوري[1] أن سكان فلسطين من اليهود أيام المسيح قد انقسموا على ثلاث فئات:

١- يهود أورشليم والمنطقة الجنوبية من فلسطين.

٢- السامريون سكان المنطقة الوسطى.

٣- الجليليون سكان الأقاليم الشمالية.

فقد كانت نظرة يهود الجنوب إلى الجليليين نظرة احتقار وريبة بدعوى أنهم اختلطوا بالأمم المجاورة، وتأثروا بلغتهم وثقافتهم حتى دعيت (جليل الأمم)[2].

وقد شاع قول أنه من الناصرة لا يمكن أن يكون شيئًا صالحًا[3]، «وإنه من الجليل لايقوم نبي قط»[4]، ويذكر أن المسيح قد اختار رسله الاثني عشر من الجليل[5]، وقد عدَّ اليهود السامرة نجسين ولا تجوز معاملتهم[6].

---

(١) الخوري، حنا عبده دكتور الخطر اليهودي على الدين والدنيا، دار الركن للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٤، ص ٣٠.

(٢) متى ١٥ – ٤.

(٣) يوحنا ١ – ٤٦.

(٤) يوحنا ٧ – ٥٢.

(٥) أعمال الرسل ١٣ – ٣١.

(٦) يوحنا ٤ – ٩.

وكانت أشد إهانة يوجهها اليهودي إلى غيره أن يقول له إنك سامري وقد قيلت للمسيح نفسه: «ألسنا نقول حسبنا أنك سامري وبك شيطان»[1].

هذه النصوص تنهض بالرأي القائل بأن اليهودية كانت تطلق على من سكن في مملكة يهوذا الجنوبية، وأن هذه المملكة قد ظهرت في وقت بعيد كل البعد عن أيام النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانت نتيجة انقسام مملكة إسرائيل إلى شمالية وجنوبية.

وعلى هذا فإنه قد أصبح من المؤكد لنا أن اسم اليهودية لم يكن اسمًا للديانة الموسوية، ولم تأتِ كلمة يهود من (الذين هادوا)، أي أن الآية القرآنية التي فصلت (الذين أسلموا) عن (الذين هادوا) كانت فيها معانٍ لهذا الأمر، والآية الكريمة تطابقها روايات الأناجيل الواردة آنفًا، من حيث إن بني إسرائيل لم يكونوا يهودًا، وأن هناك وضوحًا في انقسام وتعدد المجتمع الإسرائيلي[2].

أما الاحتمالات الأخرى التي وردت في تسمية اليهود فكثيرة قد يرقى قسم منها إلى المناقشة والاحتمالات، وبعضها مجرد رأي لا تقوم به حجة أو دليل؛ فهناك من قال:

(١) يوحنا ٨ – ٤٨.

(٢) غنيم، مصدر سبق ذكره ص ١١ والجميلي عبد الله، بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود، ط٢ مطبعة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤، ص ٣١ – ٣٣.

- إن اليهود هم الذين (هادوا) أي مالوا عن دين موسى.
- وهناك من قال إن اليهود من الهوادة، أي المودة أو التهود؛ وهي التوبة.
- وقيل لنسبتهم إلى (يهوذا) رابع أولاد يعقوب.
- وقيل الذين تابوا عن عبادة العجل[1].
- وقيل الذين مالوا عن الإسلام وعن دين موسى.

يذهب الرأي الأول القائل بأن الذين هادوا أي مالوا عن دين موسى منهم قد طابقوا الكلمتين (هادوا) و(مالوا)، وهذه محاولة لغوية ليس لها أساس علمي يعتمد عليه.

والذين قالوا إن اليهودية جاءت من الهوادة أو المودة فهذا ليس صحيحًا، إذ إن اليهود ليس لهم من هذه الطباع شيء[2].

والقول أن اليهود هم الذين تابوا عن عبادة العجل؛ وهذا احتمال من شأنه أن يعيد هذه التسمية إلى زمن وجود بني إسرائيل في سيناء، وهذا الاحتمال لا يمكن الأخذ به؛ إذ لم تؤكد لنا المصادر الدينية أو التاريخية شيئًا من هذا.

---

(١) علي جواد (دكتور)، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٦.

(٢) أسود، عبد الرزاق، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ج١، الدار العربية للموسوعات، بيروت لبنان،١٩٨١، ص ١٤١.

ما هي الآراء الأخرى التي تقارب الحقيقة؟ فنرى أن أحد المؤرخين يرجح بأن اليهودية مصطلح أطلق على الطقوس الدينية التي كان يمارسها أبناء السبي البابلي من سكان مملكة يهوذا، وهو مصطلح ذو مدلول لغوي، بل هو جغرافي أيضًا، مثل الدين الهندوسي أي الدين المتبع في الهند[1].

ومن جانبنا نرى أن هذا الرأي عُدَّ من أكثر الآراء صوابًا ورجحانًا على الأخرى، إذا ما أخذنا (بالحسبان) المدة الزمنية التي مرت بين بعثة النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبين ظهور اليهود والديانة اليهودية على مسرح الحياة؛ إذ خلت -كما أسلفنا- أسفار شريعة النبي موسى الخمسة وأسفار يسوع والقضاة والملوك الأول من هذه التسمية، لتظهر في النصف الثاني من الألف الأول ق.م.

وفي هذا المجال يذهب الدكتور أحمد سوسة قائلًا: «بينما لم تتبلور الديانة اليهودية إلا في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، وانحصرت بين سكان إقليم الجودي من قبيلتي يهوذا وبنيامين وبعض اللاويين»[2].

(١) الفاروقي، إسماعيل راجي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، معهد البحوث والدراسات الإسلامية، جامعة الدول العربية، مطبعة الجيلاوي، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٥.

(٢) سوسة، أحمد (دكتور)، العرب واليهود في التاريخ، ط ٥، منشورات دار الرشيد ودار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١، ص ٤١١.

ومن خلاصة هذه الآراء نستطيع أن نرجح القائلين بأن من بقي في بابل من أهل السبي اجتمعوا بعد أن حلت بهم النوازل والويلات، وقرروا أن يعيدوا النظر في أمرهم، وأن السبب الذي أوصلهم إلى هذه الحال لا يتعدى انحرافاتهم وبعدهم عن التعاليم السماوية، وقتلهم الأنبياء، ونكث العهود مع الله، وشذوذ معتقداتهم، مما يوجب عليهم التوبة وإعلان العودة إلى توراة موسى وتعاليمها، فكان لهم أن يعلنوا -ولأول مرة- الدين الجديد تحت اسم اليهودية، وهذا الاسم جاء مناسبًا لما قرروه، إذ إن اليهودية تعني آنذاك التوبة والعودة عن الكفر أو الباطل[1].

إن أواسط الألف الأول ق.م. بعد موسى بزمن طويل هو الوقت الذي تبلورت فيه هذه الديانة وعزي ذلك إلى زمن (يوشيا) ٦٤٠-٦٠٩ ق.م، وهو الوقت الذي اكتشف فيه سفر الشريعة (تثنية الاشتراع)، ولم يكن بنو إسرائيل قد عرفوا بهذا السفر أو علموا به قبل ذلك.

ونسب إلى (عزرا الكاتب)[2] أنه قرأ كتب الشريعة الخمسة في القدس في عام ٤٥٨ ق.م، أو ٤٢٨ ق.م، أو ٣٩٨

---

(١) ابن كثير، الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن محمد القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، ج١، ط٣، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٩٨٧، ص٩٩.

(٢) عزرا الكاتب أو (الكاهن)، كان كاهنًا بابليًّا يصله النسابون بهارون أخي موسى عليهما السلام، وهو الذي كان أكثر تشددًا بتحويل الشريعة الموسوية إلى اليهودية، وإليه تعود معظم تحويرات وتوفيقات. بشور، وديع (دكتور)، صهاينة الخزر، بلا دار نشر، دمشق، ٢٠٠١، ص ٥٣، وغنيم، مصدر سبق ذكره، ص٢٠.

ق.م، أي في زمن لاحق للإعلان عن سفر تثنية الاشتراع. كما أن الأسفار الأخرى جرى إنجازها في المدة ما بين ٤٠٠ – ٣٥٠ ق.م. ولاسيما أسفار ملاخي أيوب والمزامير ويونان وأخبار لايام وعزرا ونحميا، والذين اعتنقوا الديانة اليهودية اعتمدوا هذه الأسفار، وقد اقتصرت على أهل يهوذا فقط؛ إذ رفضت الأسباط العشرة الانضمام إلى هذه الديانة وانفصلت عن اليهودية إلى يومنا هذا، ويلاحظ أن سفر تثنية الاشتراع يتوجه بخطابه إلى (إسرائيل) حصرًا ولا إشارة فيه إلى اليهود أو اليهودية.

وهذا يرجح الاعتقاد بأن صفة اليهودية صفة دينية وسياسية برزت فقط بعد السبي البابلي لملكة يهوذا، وفي القرآن الكريم مايرجح هذا القول: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ ...﴾[الأعراف: ١٦٨–١٦٩]، والمقصود بقوله تعالى ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾ هو السبب البابلي ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾[الحج: ١٧] هم الذين ورثوا الكتاب بعد ذلك في زمن عزرا للكاتب. أما الآيات القرآنية التي تلفت نظر الجميع بعدم يهودية أي من الرسالة التي بعث بها أنبياء بني إسرائيل أو حتى الذين جاؤوا قبلهم فهي كثيرة ولا تحتاج نصوصها إلى تفسير أو تأويل، وأن الخطاب

القرآني جاء متسلسلًا مع الأحداث التاريخية لتلك الأمم سواء أكان الأنبياء من بني إسرائيل أم من غيرهم(١)، ومن المصادر

(١) يقول تعالى في كتابه العزيز على لسان نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]. ويقول تعالى عن لسان سيدنا إبراهيم: وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ..﴾ [الحج: ٧٨]. ويقول أيضًا: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢]. ويقول أيضًا على لسان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

ويسير تسلسل الآيات ليصل إلى النبي يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وذريته ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]. أما يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ -وهو أحد أبناء يعقوب- فيقول القرآن على لسانه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]. ثم نفى القرآن الكريم عن أنبيائه اليهودية أو النصرانية إذ يقول: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]. والآية الآتية تشمل معظم الأنبياء والرسل بالإسلام وتنفي عنهم اليهودية والنصرانية، ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٥-١٣٦] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] وعن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]. ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى =

الأجنبيـة التي تعرض عدم سماوية الديانـة اليهودية وتأخرها عن زمـن النبـي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنها محض اسـم أو مصطلح لتجمع دينـي سياسي ظهـر في عصور ليسـت بالقديمة بحسـب ما يقدره أصحاب هـذه المعلومة، يورد لنا بنيامن فريدمان[1] في كتابه (يهود اليوم ليسوا يهودًا): «يقول الرابيـان المعروفان هـ.غ. أنيلو وأدولف موسى وهمـا كفوءان جدًا ومرجعا ثقة في العـالم حول هذه المسألة في كتابهمـا (اليهودية ومقـالات أخـرى) Discorses Yahrism & Other الذي نشرته سنة ١٩٠٣م دائرة لويسفيل لمجلس السيدات اليهوديـات: «بين المحن غير المعدودة التـي وقعت... يعدّ أشدها هـلاكًا بعواقبه هو اسم اليهوديـة... Judaism ، إنها أسوأ المحن

= ﴿ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١] . وما جاء على لسان السحرة حين أبطل موسى سحرهم وأعلنوا إسلامهم ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾. [الأعراف: ١٢٦] . وحتـى فرعـون الـذي أعلن إسلامه وقـت إدراكه الغرق قـال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونـس: ٩٠]، وينتقل الخطاب إلى النبي سليمـان عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث يقول على لسانه القرآن الكـريم في رسالته إلى بلقيس: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١]، وهذا دليل آخر يبعد اليهودية عن زمن أنبياء بني إسرائيـل؛ فسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعـو إلى الإسلام وهو من أنبيـاء بني إسرائيل، وقد جـاء بعـد النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بـل إن ملكة سبأ نفسها تعلـن إسلامها مع سليمان حين يقـول القرآن على لسانهـا: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾. [النمل: ٤٤]. كما أنه دحض ادعاءات اليهود أن الله ربهم لوحدهم حين تقول بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

(١) فريدمـان، بنيامين، يهـود اليوم ليسوا يهـودًا، إعداد زهدي الفـاتح، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م، ص٢٥ - ٢٨.

حتى اليوم تدريجيًّا أضحت ديانتهم (اليهودية) فوق ذلك، فإنه لم يسمع أبدًا في العصر التوراتي ولا في الأزمنة المتأخرة جدًّا بمصطلح اليهودية»[1].

يتحدث الكتاب المقدس (العهدان القديم والجديد) عن الدين (كتوراة يهوه) وقانونه الأخلاقي الموحى به أو تعاليم يهوه في مواضع كثيرة أخرى، وظل مصطلح اليهودية غير معروف (عند اليهود قطعًا)، لكنه عرف بعض الشيء في عصور حديثة فقط بعدما حَسُنَ اطلاع -من يُدعون يهود اليوم- على الأدب المسيحي الحديث، إذ ذاك شرعوا يسمون دينهم باليهودية Jadaism.

اختصاصيون ثقات رفيعو المستوى في هذا الموضوع أيدوا أنيلو وموسى واتفقوا معهما في الرأي تمامًا على أن مصطلح (اليهودية) ابتكره المؤرخ حوزيفوس فلافيوس في القرن الأول الميلادي.

لقد كشف الرابيان في كتابهما (اليهودية ومقالات أخرى) عن كثير من الحقائق الجيدة الجديرة بالملاحظة عن هذه المسألة[2]، والمجال هنا لا يسمح بغير اقتطاف الوجيز من كتابهما المشار إليه!

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠ – ٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨ – ٢٩.

كتـب جوزيف فلافيوس عن تعاليم اليونانيين الرومان وهو الـذي ابتكر مصطلح اليهودية لكـي يثيرها ضد الهيلينية، وكان يفهم من الهيلينية مجموعـة الحضارة المؤلفة من الشعر واللغة والديـن والعلوم وعـادات الشعب والأنمـاط الراسخة (كالزواج والـرق) التي انطلقت من اليونان موطنها الأصلي، منتشرة عبر أقسـام واسعة مـن أوروبا وآسيا وإفريقيـا... أمسك المسيحيون بهـذا المصطلح في تلهـف كبير... بينمـا اليهـود -الذين مقتوا الخائـن جوزيف- بشدة أحجموا عـن قراءته، إذن الذي اخترع مصطلـح (اليهودية) هـو جوزيفوسـ، وهو الذي ظـل مجهولاً عندهـم إلـى أن اطلعـوا علـى الأدب المسيحي فبـدؤوا بتسمية ديانتهم (باليهودية) [1].

ﮰﮯ

(١) المصدر نفسه، ص ٢٩.

المبحث الثاني

اليهـود عبر العصـور

مـن خلال الدراسة للمفاهيم العامة يتبين لنا حداثة العهد الـذي بـدأ التعامل به مع مصطلح اليهوديـة، ولم تفلح محاولات اليهود أنفسهم لربط التاريخ التوارتي القديم بتاريخ هذه الديانة، فضـلًا عن الأدلة الدامغة التـي أثبتت عكس ما يدعي اليهود بأن مـا بين أيديهم من تـوراة أو تعاليم إنما هي ما أخذوه عن رسالة النبـي موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولما كانت دراستنـا من الناحية العقائدية قـد بينت الحقائق من الجانب الديني فـنرى من الحاجة الماسة أن نوضح ذلك تاريخيًّا، إذ إن ربط تاريخ أمة مع عقيدتها وأصل تلـك العقيدة يعطي موضوعًـا متكاملًا علميًّـا، ولاسيما في حال تطابق الدراسات التاريخية مع الحقائق الدينية.

ونحـن قد توصلنا إلـى أن اليهود الذين اعتنقـوا أو الذين انتسبوا إلى الديانة اليهودية كانوا ممن انتسب إلى مملكة يهوذا الجنوبيـة[1]، وحين نرجع إلى تاريخ هـذه المملكة فإننا سوف لن نختلـف مع أحد بأنها نشأت نتيجـة انقسام مملكة إسرائيل إلى

---

(١) همـو، عبد المجيد، جذر اليهـود أمام النقد التاريخي، دار الحافظ، دمشق، سوريا، ١٩٩٩، ص ٩٠.

شمالية سميت مملكة (إسرائيل)، وجنوبية سميت مملكة (يهوذا)، وهذا حدث في أواخر النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، أي بعد ٩٧٥ق.م؛ وهذا الحدث جاء بعد بعثة النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بمدة ليست بالقصيرة، وعليه فتاريخ اليهود هنا يجب أن لا ترجع أصوله إلى أبعد من هذه الحقبة.

وقبل أن نتحدث عن التاريخ اليهودي آنف الذكر، نود أن نرجع إلى الوراء لنعطي دراسة طبوغرافية للمنطقة العربية التي تعد مسرح الأحداث؛ لنزيل اللبس التاريخي الذي سيمر بنا من خلال معالجة الموضوع.

إن ادعاء السامية من قبل اليهود يُلزمنا القول بالحقائق الآتية:

١- إن الوجود العربي كما هو ثابت موغل بالقدم، ويمتد إلى عشرة آلاف عام على الأقل وقبل اختراع الكتابة، ولم يُعثر في أي من المكتشفات الآثارية في المنطقة على مصطلح (السامية) في تلك الحقبة الزمنية الواردة، وإن المصدر الوحيد لخارطة النسب السامي هي مدونات التوراة التي نقلها مدونها من تراث المنطقة العربية[1].

---

(١) داود أحمد، العرب والساميون وبنو إسرائيل واليهود، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩١، ص ٦٣.

٢ - إن سام حسب خط النسب هو ابن نوح الذي أجمع المؤرخون على أنه عاش بحدود سنة ٣٠٠٠ق.م، وعليه فإن العرب الذين توزعوا على الأرض العربية وأقاموا مدنهم فيها من أعالي الفرات إلى أعالي النيل، ومن الخليج إلى البحر منذ الألف التاسع ق.م. إن هؤلاء سابقون لسام بن نوح، ومن ثم فإنه لايصح أن نعدهم ساميون؛ إذ لا ينسب الأجداد إلى الأبناء، وإنما العكس هو الصحيح، ويذكر لنا الطبري أن هؤلاء الأجداد وأحفادهم كانت مساكنهم جزيرة العرب، ومنهم عابر وعليم آشور وأفحشاد ولاوذ وآرام؛ حيث كان موطنهم المجدل سرة الأرض، وهي ما بين ساتيدما إلى البحر، وما بين اليمن إلى الشام، وجعل الله النبوة والكتاب والجمال والأدمة البيضاء فيهم؛(والنبوة) هي بيت القصيد الذي دفع أتباع الديانات الثلاثة للاهتمام بنسب الأنبياء، وكان جل اهتمامهم بنسب فروع سام ولاسيما فرع (آرام) وأولاده (جديس وجاشر -وهو أبو ثمود- وعبيل وعوص -وهو أبو عاد-، وجميع هؤلاء أكدت المصادر أنهم من العرب البائدة[١]، أما ماش

(١) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الملقب بعز الدين، الكامل في التاريخ، المجلد الأول، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٨، ص ١٢٠ – ١٢٨.

ابن آرام بن سام وهو أبو النبيط؛ حيث كان مسكنهم في كوثى عند باب المحطة في شبه جزيرة العرب[1]. ويقول ابن الأثير: «كانوا عربًا يتكلمون بهذا اللسان المضري، وكانت تقول لهذه الأمم ولجرهم العرب العاربة؛ فكانت عاد بهذا الرحل إلى حضرموت، وكانت ثمود بالحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى، ولحقت جديس بطسم، وكانوا معهم باليمامة إلى البحرين، واسم اليمامة إلى ذلك (حو)، وسكنت جاثم عُمان، والنبط من ولد نبيط بن ماش بن آرام بن سام»[2]. ويقول الطبري: «فلما هلكت عاد قيل لثمود آرام أو إرم، فلما هلكت قيل لسائر بني آرام منهم النبيط»[3].

٣- إن إسماعيل هو ابن إبراهيم البكر من هاجر، وإن إسحق ولده من ساره، وإسماعيل هو الجد الأكبر لعدنان الذي هو الجد الأكبر لهاشم، الذي هو الجد الأكبر لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) داود، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤.

(٢) ابن الأثير، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٠ – ١٢٨.

(٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، قصص الأنبياء، تقديم مصطفى عبد القادر، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩، ص ٣١٨.

وفي لسان العرب في باب (كوثى) أن عليًّا بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سئل من أنتم نسبًا؟ فقال: نحن قوم من نبيط في كوثى. وهذا تأكيد على نسب سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى نسب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى نبيط بن ماش بن آرام بن سام ابن نوح[1]. أما إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام فقد ولد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي هو إسرائيل أي عبدالله، وله الأسباط الاثنا عشر وجميعهم من العرب الآراميين، وإلى ذلك الحين ليس على الأرض ثمة شيء اسمه يهودي أو يهودية[2].

إذن فالسامية بدعة يهودية حديثة ولدت على يد اللاهوتي اليهودي النمساوي (شلوتز)، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في محاولة لإضفاء القدسية على لغة (الكتاب المقدس)، مفترضًا أن ثمة (اللغة العبرية) هي اللغة التي نزلت بها التوراة، وهذا عندما ألهب حماس كثير من المستشرقين لدراسة اللغات الشرقية القديمة، ثم ما لبث أن عبر بنظريته وفكرته القائلة: «من البحر المتوسط إلى الفرات، ومن أرض الرافدين إلى بلاد العرب جنوبًا سادت لغة واحدة؛ ولهذا كان السومريون والبابليون والعبرانيون شعبًا واحدًا يتكلم اللغة السامية»[3].

---

(١) ابن منظور، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٩.

(٢) داود، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣ – ٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٥.

ثم ما لبث اللاهوتيون اليهود في بداية القرن التاسع عشر أن يتلقفوا هذه الدعوة أو البدعة ويضعوا نصب أعينهم تبني هذه (الفرية) ونشرها، وأخذوا على عاتقهم كتابة تاريخ الشرق العربي القديم والإسلامي بصورة يبرزون فيها ما دعوه بالعبرانيين واليهود، ويسفهون العرب وتاريخهم ومحمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والقرآن الكريم، وكان من أبرز هؤلاء المستشرق الألماني اليهودي (إبراهام جيجر) والمستشرق الروسي اليهودي (دانيال سولسون) وآخرون[1].

بعد ذلك قامت مؤسسات ومنظمات استشراقية كان ديدنها تشويه التاريخ العربي الإسلامي والنيل من الحضارة العربية الإسلامية وتهميش دورها في حياة البشرية، فضلًا عن التزوير الفادح في تفسير أحداث التوراة وفي جغرافيتها؛ ليتحول التاريخ العربي إلى تاريخ عبري أو تاريخ دولة عبرية مزعومة.

ودلائل أخرى يمكننا الاعتماد عليها بخصوص المغالطات والتزوير اليهودي لتاريخ المنطقة، وإضفاء الوجود التاريخي والديني وتوارث الحضارة، فالتسميات التي يتشدق بها مدونو التوراة لا تعد حقيقية، أما ما هو واقع فنرى أن القبائل التي

---

(١) بوكاي، موريس، (دكتور)، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٩٨١، ص ٢٤٦ – ٢٤٩.

سكنت المنطقة العربية بمن فيهم البدو وأنصاف المستقرين أو المدن الزراعية تتمثل بـ:

١- بقايا الآراميين.
٢- بعض العشائر من أبناء حام.
٣- عشائر بني لاوذ بن سام[١].

يقول العالم الألماني (وينكلر) في مواقع تلك العشائر: «إن أرض كوش تقابل مصر التي هي في القسم الشمالي الشرقي من جزيرة العرب، وعلى هذا فإن ذكر (مصر وكوش) في التوراة لا يقصد بها الحبشة ووادي النيل؛ بل يقصد فيهما مكانين في جزيرة العرب». ويعلق على هذا القول الدكتور جواد علي بقوله: «فقد جاء وينكلر بأمثلة من العهد القديم ذكر أنه من الصعب أن يكون المراد بها مصر أو الحبشة، وقد ألف وينكلر رسالة بعنوان (مصر وملوحا ومعين) بيّن رأيه في أن مصر المذكورة في التوراة هي في بلاد العرب لا في إفريقيا». ويؤكد الدكتور جواد علي بأن «علماء الآثار في جميع أرجاء الوطن العربي لم يعثروا على ما يدعم ادعاءات أو أقوال اليهود، وأن ما ورد محض تزوير وتضليل تدحضها التناقضات التوراتية الواضحة»[٢].

---

(١) الطبري مصدر سبق ذكره، ج١ ص ٨١.

(٢) علي، جواد، (دكتور) مصدر سبق ذكره، ص١٩٧.

ثم إن النبي إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أبٌ لسلسلة طويلة من الأنبياء العرب، وقد تطابقت سيرة حياته واسمه وكنيته لدى الدراسات كافة، فلم نجد ما يطابق ادعاءات اليهود التي تقول بصلتهم به دينيًّا أو تاريخيًّا، وأن الأحداث المتسلسلة بعد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمر واقع سواء بما يخص هجرته وأسبابها أو علاقته بأرض كنعان والحالة الدينية التي كانت سائدة في حياته، وكل هذه المعلومات واضحة من دون لبس حتى ظهرت اليهودية في بابل؛ مما يجعل اليهود خارج دائرة التاريخ الخاص بتلك الحقبة الزمنية المزعومة.

ونعود إلى القول أن بداية التاريخ اليهودي هو استقرار سبايا دول يهوذا على يد نبوخذنصر في أواسط الألف الأول قبل الميلاد في بابل، وقيام التجمع اليهودي الديني.

وفي ذلك يقول الباحث شفيق مقار: ففي ذلك الزمان وفي ذلك المكان صنعت الديانة اليهودية، آخذة عن المسمى السياسي للكيان الذي دعا إلى إزالة البابليين عن الوجود باسم مملكة يهوذا، وافتعل القوم تجمعًا سائبًا من عشائر بدوية أطلق عليها روائيًّا اسم الشعب، كما أعطوا ذلك الشعب نسبًا خياليًّا بغية إعطائه عمقًا تاريخيًّا وأصلًا عرقيًّا ودينيًّا عن طريق الروايات

وإن انحدر من أصلاب أسلاف عريقين سموا بالآباء في سياق عملية شاسعة من إعادة النصوص وتأليف لنصوص منشئة للاهوتية، وقد بدا لمن اصطلحوا في المهمة أنهم كانوا عن طريقها ينفذون ما أمكن العمل على إنقاذه»[(١)].

ومن خلال دراسة رأي (مقار) نستنتج الآتي:

١- اليهودية نشأت بحسب رأيه في القرن السادس.

٢- أكد بأن النصوص مؤلفة في هذا العهد.

٣- التأكيد على أن لا علاقة لهم بالآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب.

٤- لم تكن كلمة اليهودية كدين معروفة قبل هذه المدة[(٢)].

أما الدكتور شلبي فيقول: «وحقيقة القول أن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية؛ لأنها كانت تختلف مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة»[(٣)].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٨٥.

(٢) همو، عبدالمجيد، هل اليهودية ديانه سماوية؟ دار غار حراء، دمشق، سوريا، ١٩٩٩، ص ٨٩٢.

(٣) شلبي، أحمد، (دكتور)، مقارنة الأديان (اليهودية)، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٢٩.

ويورد شلبي بعض النصوص التي تؤكد كلامه في ذلك:

١- أسفار موسى تقرر أنه لا يوجد بها من قريب أو من بعيد ما يفيد أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي جاء بها وأنزلت عليه؛ بل العكس؛ حيث ما يقرر خطأ نسبة هذه الأسفار إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الآتي:

أ- جاء في سفر التثنية: «فمات موسى عند الرب في أرض موآب ولم يعرف إنسان قبره». فكيف يكتب موسى عن نفسه؟

ب- جاء في سفر التكوين: «وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أرام ملك بني إسرائيل».

ج- إن سفر الخروج لم يكتب إلا بعد مدة طويلة من الأحداث الواردة فيه.

٢- يرى بعضهم أن سفر يوشع كتبه أرميا، وبينها أكثر من ثمانية قرون.

٣- سفر القضاة ينسبه بعضهم إلى فنحاص، وبينه وبين عزرا تسعة قرون.

٤- سفر دانيال لا يمكن أن يكون قد كتب في ذلك الزمن البعيد الذي يروى أنه عاش دانيال فيه، أي عندما سقطت بابل في يد (كورش الفارسي) عام ٥٣٨ق.م.

لا بل كتب هذا السفر بعد ثلاثة أو أربعة قرون للأسباب الآتية:

أ- يتضمن هذا السفر كلمات مقدونية، مع أن اليهود في الأسر البابلي لم يكونوا قد خالطوا اليونان ولا حكت أسماعهم للغة اليونانية.

ب- فيه وصف للكلدانيين لا يتسنى الإتيان به لكاتب سابق على عصر الإسكندر.

ج- اقتبس أقوالاً من أرميا و حزقيال و زكريا مع أن هؤلاء عاشوا في أزمان متفرقة ومتباعدة[1].

مما تقدم من الأدلة والبراهين التي أثبتت لنا حقيقة التاريخ اليهودي نقول: إن من عاد من هؤلاء المتهودين إلى فلسطين وبعد سقوط بابل على يد كورش الفارسي لم يفلح هؤلاء في بناء دولتهم اليهودية أو ينجحوا في إقناع العالم الذي حولهم بأن ما بين أيديهم هي الديانة الموسوية أو الشريعة السماوية التي جاء بها النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ[2].

8003

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣٢.

(٢) عبد الحليم، مصطفى كمال، (دكتور). وراشد، سيد فرج د (كتور)، اليهود في العالم القديم، دار القلم، لبنان، ١٩٩٥م، ص ١٦٩.

المبحث الثالث

أصول المجتمع اليهودي القديم

يحاول اليهود أن يدخلوا التاريخ القديم ضمن التاريخ الإسرائيلي، لكن الذي يقف حائلًا أمام هذه المحاولة هي الحقائق التي باتت ترقى إلى مستوى لا يقبل الجدل فيه، إذ إن تاريخ هؤلاء لم يكن بالصورة التي يعرضها مفكروهم وروادهم، أو الصورة التي تقدمها التوراة المحرفة في القرن الخامس قبل الميلاد.

فقد تعرضنا إلى جميع الاحتمالات والفرضيات التي تماشت مع الروايات التوراتية الحالية، إلا أنها لم تنهض بحجة تؤيد مضمونها الذي يشوبه التوفيق والتزوير، مما أعطانا الحق في أن نعتمد الأسر البابلي بداية لحياة المجتمع اليهودي (خاصة)، ولنأخذ مثلًا مما قالته التوراة في النص الآتي[1]:

«كَانَ يَهُويَاكِينُ ابْنَ ثَمَانِي سِنِينَ حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ فِي أُورُشَلِيمَ. وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَعِنْدَ رُجُوعِ السَّنَةِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ نَبُوخَذْنَاصَّرُ فَأَتَى بِهِ إِلَى بَابِلَ مَعَ آنِيَةِ بَيْتِ الرَّبِّ الثَّمِينَةِ، وَمَلَّكَ صِدْقِيَّا أَخَاهُ عَلَى يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ، كَانَ

---

(١) الكتاب المقدس، إصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط٤ لبنان ١٩٩٥،: ٣٦/٩-٢٠.

صِدْقِيَّا ابْنَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ إِحْدَى عَشَرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ، وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَلَمْ يَتَوَاضَعْ أَمَامَ إِرْمِيَا النَّبِيِّ مِنْ فَمِ الرَّبِّ، وَتَمَرَّدَ أَيْضًا عَلَى الْمَلِكِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ الَّذِي حَلَّفَهُ بِاللهِ، وَصَلَّبَ عُنُقَهُ وَقَوَّى قَلْبَهُ عَنِ الرُّجُوعِ إِلَى الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ، حَتَّى إِنَّ جَمِيعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشَّعْبِ أَكْثَرُوا الْخِيَانَةَ حَسَبَ كُلِّ رَجَاسَاتِ الأُمَمِ، وَنَجَّسُوا بَيْتَ الرَّبِّ الَّذِي قَدَّسَهُ فِي أُورُشَلِيمَ، فَأَرْسَلَ الرَّبُّ إِلهُ آبَائِهِمْ إِلَيْهِمْ عَنْ يَدِ رُسُلِهِ مُبَكِّرًا وَمُرْسِلًا لأَنَّهُ شَفِقَ عَلَى شَعْبِهِ وَعَلَى مَسْكَنِهِ، فَكَانُوا يَهْزَأُونَ بِرُسُلِ اللهِ، وَرَذَلُوا كَلاَمَهُ وَتَهَاوَنُوا بِأَنْبِيَائِهِ حَتَّى ثَارَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى شَعْبِهِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ شِفَاءٌ، فَأَصْعَدَ عَلَيْهِمْ مَلِكَ الْكَلْدَانِيِّينَ فَقَتَلَ مُخْتَارِيهِمْ بِالسَّيْفِ فِي بَيْتِ مَقْدِسِهِمْ. وَلَمْ يَشْفِقْ عَلَى فَتًى أَوْ عَذْرَاءَ، وَلاَ عَلَى شَيْخٍ أَوْ أَشْيَبَ، بَلْ دَفَعَ الْجَمِيعَ لِيَدِهِ، وَجَمِيعُ آنِيَةِ بَيْتِ اللهِ الْكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ وَخَزَائِنِ بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَائِنِ الْمَلِكِ وَرُؤَسَائِهِ أَتَى بِهَا جَمِيعًا إِلَى بَابِلَ، وَأَحْرَقُوا بَيْتَ اللهِ، وَهَدَمُوا سُورَ أُورُشَلِيمَ وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ قُصُورِهَا بِالنَّارِ، وَأَهْلَكُوا جَمِيعَ آنِيَتِهَا الثَّمِينَةِ، وَسَبَى الَّذِينَ بَقُوا مِنَ السَّيْفِ إِلَى بَابِلَ، فَكَانُوا لَهُ وَلِبَنِيهِ عَبِيدًا إِلَى أَنْ مَلَكَتْ مَمْلَكَةُ فَارِسَ»(١).

(١) المصدر نفسه، ٣٦ - ٩ - ٢٠.

لو ناقشنا النص الوارد فإننا سنخرج بالنقاط الآتية:

١- اعتراف صريح بالسبي البابلي على يد نبوخذنصر.

٢- اعتراف بأن ملوك بني إسرائيل كانوا يمارسون الخطيئة ويخالفون الرب.

٣- استمرار الخيانات والمفاسد حتى في بابل.

٤- اعتراف بأن بني إسرائيل كلنوا يهزؤون بالرسل ويتجاوزون عليهم.

٥- فيه إخبار بأن ملك بابل لم يبق في عملية الغزو شعبًا أو تراثًا أو ملكًا أو مقومات للمجتمع إلا وأتلفها، مع قتل الشعب بأكمله وحرقه ببيت الله وما فيه من الكتب والآنية.

يقول أحد الباحثين: «ومن هنا بدأت الدعوة إلى قيام تكتل جديد من الأسرى ضد الدولة البابلية، وكان هذا التكتل بداية تشكيل الدين اليهودي»[١].

ثم إننا نتابع هذا التكتل السياسي الديني مع ما ورد في سفر أشعيا لنرى أثر الفكر الفارسي في نشوء هذه الديانة، وليصبح الأمر مما لا شك فيه بأنه خليط من أفكار الأحبار

(١) همو، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨.

وأفكار الفرس أنتج الديانة اليهودية المتكونة من اتحاد الإلهين ليخرج اسم (يهوه)، الذي هو اسم الرب الجديد عند اليهود في بابل، ومما يفضح هذه الفرية ما أوردته التوراة المنسوبة إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «فقال موسى لله ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم، فإذا قالوا ما اسمه، فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى: أهيَّة الذي أهيَّة، وقال: هكذا تقول لبني إسرائيل أهيَّه أرسلني إليكم»[1].

ويعني الله أن يطلب من بني إسرائيل أن يتركوا هذا الطلب، وأن الله يقول لهم: «أكون من أكون أنا»، لكن هذا النص سرعان ما يأتي عليه التزوير والتوفيق البابلي فيكشف حقيقته المزيفة، تقول التوراة: «وقال الله لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم إله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم هذا اسمي إلى الأبد، وهنا ذكري إلى دور فدور»[2]. فأي من النصين يعتمد عند اليهود؟

ويؤكد لنا ما ورد من تحريف ما يقوله السامرة عن اليهود وما يدلون به من حجج ودلائل على عدم صحة التوراة التي بين يدي اليهود، وهذا الأمر حدث في أيام ظهور اليهودية.

---

(١) الكتاب المقدس، مصدر سبق ذكره خروج ٣ — ١٣ — ١٤.

(٢) المصدر نفسه، ٣ - ٣ - ١٤.

إذن فأصول المجتمع اليهودي بالذات قد بدأت من بابل وتأصلت القيم السياسية الدينية هناك لتبدأ حياة جديدة في وطن العودة فلسطين، لكن كيف كان هذا الوطن؟ ومتى عاد المتهودون إلى هناك؟ أم هي مجرد محاولة؟

هذه التساؤلات تجيب عنها مصادر عديدة، فالمكتشفات الآثارية والروايات التوراتية قد أدت دورًا مهمًّا في إثبات عدم وجود دولة يهودية أو مؤشرات لدولة يهودية قبل تاريخ عودة اليهود الذين سبوا في بابل، يقول أحد الباحثين: «فاليهود هم حصرًا بقية سبي يهوذا الذين عادوا إلى أورشليم في أوائل القرن السادس قبل الميلاد، وشكلوا القاعدة السكانية للمقاطعة الصغيرة (يهوذا)، وفي هذه المقاطعة الصغيرة قام كهنوت أورشليم بتدوين أسفار التوراة خلال الحقبة الواقعة بين القرن الخامس والثاني قبل الميلاد، وهنا نشأت وتطورت الديانة المدعوة باليهودية»[1]، و يؤيد الباحث كلامه بما قاله الأركيولوجي الهولندي H.Franken: «إن مسألة غياب الشواهد الآثارية عن وجود الجماعات أعطى دعمًا ماديًا للآراء التي تنفي الوجود اليهودي في فلسطين قبل المدة التي عاد فيها سبايا

(١) سركيس، خليل، تاريخ أورشليم القدس، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سوريا، ٢٠٠١، ص ٨٣.

بابل وعن موجودات الآثار التي تعود لأقوام تختلف ثقافاتهم عن هؤلاء، مما جعل الجزم بالقول بذلك»[1].

ولما سقطت بابل بيد (كورش) الفارسي ٥٣٩ – ٥٣٨ق.م. وجد اليهود أن ثمة ضرورة للعودة إلى ديارهم، لا سيما وأنهم قد عملوا طابورًا خامسًا لصالح الفرس سهل عليهم دخول المدينة، ويقول (عـزرًا)[2]: إن أقل من خمسين ألفًا قد عادوا من المسبيين بقيادة زرو بابل ويشوع بن صاداق وغيرهم، وبعد تعثر طال سنين عديدة استطاع هؤلاء العائدون بناء بعضًا مما حاولوا بناءه، وكان ذلك بمساعدة الفرس ماديًّا»[3].

وبعد هذه التطورات التي أعطت الفرس حكمًا ذاتيًّا لليهود وأخذت هذه المجتمعات بالتحرك نحو توسيع حجمها السكاني ورقعتها الجغرافية، فقامت هناك حملات تهويد جماعية كتهويد الأدوميين وتهويد الجليل، بل امتدت إلى إقليم سوريا واليمن والحبشة، ونرى الآن أحفادهم من يهود الفلاشا (الأحباش)،

---

(١) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود والصهيونية، ج٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٦٩.

(٢) سركيس، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥. ٥٩. بشور، وديع (دكتور)، صهينة الخزر، ص ٥٢ – ٥٥، وبراستد، هنري جيمس، العصور القديمة، نقله إلى العربية داود قربان، مؤسسة عز اليدن للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣، ص ٢٣٤.

(٣) سركيس، خليل، تاريخ أورشليم القدس، دار علاء الدين، للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سوريا، ٢٠٠١، ص ٨٣.

ثـم انتشرت اليهوديـة في جزيـرة العرب، فكانـت هناك يثرب وسهل الأوس والخزرج وخيبر، حيث التجمع حول الواحات كبني النضير و بني قريظة وبني بهدل[1].

وهكذا استقـرت هذه المجمعات اليهوديـة في أماكنها التي ذكرناهـا مكونـة مراكز بشريـة حاولت السيطـرة على مناحي الحيـاة الزراعية والتجارية لما تتمتع به مـن أساليب الاستغلال والمرابـاة، واستغـلال الفرص السياسيـة، وكان خضوعهـم السايسي تابعًا للنظم السياسية للمدن التي يقطنوها حتى ظهر الإسلام[2].

أما الأوضاع العامة

يمكننا توضيح ذلك في الآتي:

١ - الأوضاع الثقافية

للتعـرف على الأوضـاع الثقافية للمجتمع المتهـود لا بد لنا مـن عودة إلـى خلفية هذا المجتمـع من حيث أصولـه العرقية و موطـن نشأتـه... ومـن البدهي القـول إنها كانـت ثقافة بدوية زراعيـة، إذ كانـت الزراعـة المهنـة الساسية التـي يعتمد عليها

(١) أمين، أحمد، (دكتور)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٧٥.
(٢) بشور، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤.

المجتمع الاسرائيلي في أرض فلسطين. وهذا ما أكدت عليه جميع المصادر التاريخية[1].

أما بعد هجـرة النبي يعقوب وأولاده إلى مصر فإن الحياة هنـاك كانت أكـثر مدنيـةً؛ إذ تتعـدد نشاطات الحيـاة هناك، بالرغـم مـن أن العائلـة المهاجرة فضلـت البقاء علـى وضعها الاقتصـادي وممارسة الحيـاة البدوية التي كانـت تمارسها في فلسطين. وهذا ما يدعونا إلى القول إن احتكاك المجتمع الضيف بالمجتمـع المصري سيكـون محدودًا وبقدر ما تدعـو إليه طبيعة التعايش بين مجتمع بدوي وآخر حضري؛ إلاّ أن مصادر مختلفة أوردت عكس هذا، مستندة بذلك إلى التغيرات التي طرأت على المجتمـع الإسرائيلـي في مصر مـن انصهار وتبـدل في أساليب الحيـاة اليوميـة نتيجة للتزاوج والمصاهرة بـين المجتمعين، وقد

(١) تقول التوراة: «فقد حمل بنو إسرائيل يعقوب آباءهم وأطفالهم ونساءهم... وأخذوا ماشيتهـم وسرحهـم الذي اقتنوه في أرض كنعان، وقدمـوا إلى مصر يعقوب وجميع نسله معه بنوه وبنو بنيه وبناته وبنات بنيه وسائر نسله جاؤوا معه إلى مصر، وهنـاك قـال يوسف لفرعون: إن إخوتـي وآل أبي الذين كانوا في أرض كنعان قد قدموا عليَّ، والقـوم رعاة غنـم لأنهم كانوا أصحـاب ماشية، وقد أتوا بغنمهـم وبقرهم، فقالوا لفرعـون عبيدك رعـاء غنم ونحن وآباؤنا جميعًا جئنا لننـزل بأرضك إذ ليس لغنم عبيـدك مرعى من اشتـداد الجوع. فقال فرعـون ليوسف... هـذه أرض مصر بين يديـك أنزلهم بأوديتها... ليقيموا بأرض جاسان، وإن كنت تعلم أن فيهم أهل حذق فأقمهـم وكلاء علـى ماشيتي». راجع الكتـاب المقدس، مصدر سبـق ذكره، خروج، وراجع د. أحمد داود، مصدر سبق ذكره، ص١٢٧.

حـدا ببعض الباحثين إلى القول بأن المجتمع الإسرائيلي المهاجر قـد ذاب في المجتمع المصري[١]؛ نتيجة الاختلاط، أما بعد عودة الإسرائيليـين إلى فلسطين واستقرارهم فيهـا فإننا شاهدنا أن تغيـيرًا كبيرًا وواضحًـا في ثقافة المجتمع العائـد عند استقراره واختلاطـه في الحياة اليومية لشعـب فلسطين؛ لاسيما بعد قيام الحكومـات المتعاقبـة والتفاعـل الحضـاري مع ثقافـة الشعوب الزائـرة للمنطقة سـواء أكانت غازية أم تحمـل طابع المتاجرة؛ كـون المنطقـة جسرًا تعـبر عليـه الأمم المجـاورة إلـى البلدان الأخرى، فضـلًا عما تجده من حاجاتهـا التجارية في فلسطين، وبهذا تمتزج الثقافات البابلية والمصرية والفينيقية وبلاد إيجه بهـذا الاحتـكاك[٢]، ويـرى باحث في هـذا الموضـوع أن المجتمع الإسرائيلـي الذي عـاد إلى فلسطين من مصـر لم يكن المجتمع العائد وحده، إذ كان خليطًا من المصريين والهكسوس والأقباط وغيرهـم من أطياف الشعب المصري، وواضح أن سبب هجرتها هـي استجابتهـا لدعـوة النبي موسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ الـذي أمره الله بالعودة، والهجرة من مصر، ولو أن الخطاب القرآني كان يوجه إلى بنـي إسرائيل إلاّ أن ذلك لا يمنع وجود هؤلاء الذين ذكرناهم

---

(١) الفاروقـي، إسماعيل راجي (دكتـور)، أصول الصهيونية في الديـن اليهودي، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، مطبعة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٤، ص٣٣.

(٢) براستد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢١.

آنفًا ضمن الفئة المهاجرة[١]، ويفيدنا هذا بأن ما حصل من عمران في بناء هيكل مملكة إسرائيل وما تطورت به الزراعة والجيش وما شيدت به المعابد كان بفعل هؤلاء المهاجرين مع بني إسرائيل الذين كانوا يمتهنون الرعي والزراعة في فلسطين وفي مصر، فضلًا عن ذلك فإن هذا التنوع المجتمعي الفسيفسائي كان يحتوي على ثقافات عديدة تختلف عن بعضها أحيانًا، وتتوافق أحيانًا أخرى مما ساعد على سرعة نهوض الحضارة الإسرائيلية من جهة، وسرعة انهيارها من جهة أخرى، وما الانقسامات والاختلافات وتأصل الطائفية والعنصرية إلا خير دليل على ذلك[٢].

من ناحية أخرى، تدل سرعة انهيار الحضارة الإسرائيلية على هشاشة جسد تلك المملكة، ويرجع هذا إلى عدم تأصل تلك الثقافات في نفوس الشعب الإسرائيلي، بل وعد استعداده استبدال الطباع المتحضرة بترسبات الماضي والثقافات الجديدة مما جعل المملكة محط أنظار الطامعين فيها من الفرس والرومان واليونان والبابليين، ويعطينا القرآن الكريم خير دليل على ذلك من خلال ما ذكر عن النبي داود والنبي

(١) الفاروقي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤.

(٢) همو، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩.

سليمان عليهما السلام[1]، وما توصلا إليه من قوة وسلطان؛ ولم يذكر ذلك لغيرهما إلا ما ندر من الأحداث التاريخية التي أحيطت بالكثير من الغموض[2].

٢ - العادات و التقاليد الاجتماعية

تتأثر العادات والتقاليد الاجتماعية بطبيعة الثقافة التي يحملها كل مجتمع، وقد مرَّ بنا من خلال العرض لثقافات المجتمع الإسرائيلي أنها كانت متأثرة بالأطياف المتعددة لأصول المجتمع المهاجر من مصر، إذ تنتقل تلك المجتمعات المهاجرة بما تحمله من ثقافات إلى المجتمع الجديد المضيف لها، وهذا بلا ريب يكون عاملًا مهمًّا في تأثيره على العادات والقيم الاجتماعية. وبما أن المجتمع الإسرائيلي كما أسلفنا مجتمع له أصوله البدوية فمما لا شك فيه أن ذلك التأثير سيكون سطحيًّا يمكن أن يتغير بطارئ آخر أو بظروف معينة، كما أن الأوضاع الدينية للمجتمع الإسرائيلي آنذاك لها دورها الخاص في بناء المجتمع والتحكم في البنية الاجتماعية له، وعلى هذا فإن الانحرافات العقائدية

(١) راجع سورة البقرة الآية ٢٥١، وسورة سبأ الآية ١٠ — ١١، وسورة النمل الآية ٣١، وسورة ص الآيات ١٧ — ٢٠، وسورة النمل الآية ١٦.

(٢) الغرناطي، عبدالرحيم بن سلمان بن ربيع القيس الأندلسي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إدريس إسماعيل المغربي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص٣٤٣ — ٣٦٠.

والتقليد العمياء لشعوب أخرى والسير وراء معتقداتهم لم تكن إلا من تلك الإفرازات السلبية لثقافة المجتمع الإسرائيلي[1].

لقد كانت الأواصر الاجتماعية للمجتمع الإسرائيلي مفككة بفعل التنوع الأصولي لشرائح المجتمع واختلاف ثقافاته، أما بعد عودة سبايا بابل وبديانة جديدة (اليهودية)، حاول هؤلاء أن يؤدوا دورًا جديدًا في إعادة بناء الدولة التي لم يبق من تراثها شيء، وكان ممن تزعم هذا الطموح اثنان هما: عزرا الكاتب ونحميا اللذين نجحا بعض الشيء في ترميم بعض أركان الدولة، لكنهم لم يفلحوا في إعلاء نفوذهم؛ بل عاشوا تحت سلطة الاحتلال الفارسي، مما جعل الأوضاع الاجتماعية تتراجع نحو الأسوأ؛ إذ ظهرت الانقسامات والخلافات، وعمّ التناحر الاجتماعي الذي عطل معظم مناحي الحياة؛ ليسود الجهل والفقر وفقدان الأمن وعدم توازن السلطة وفشل ما كان يحلم به يهود بابل من إقامة مجتمع يهودي يختلف عن مجتمعاتهم المنهارة، وبقي الأمر هكذا إلى أن احتل الرومان المنطقة لتصبح دولة اليهود تابعة لحكم روما عام ٦٣ق.م.، وساد البطش والتنكيل بأفراد المجتمع اليهودي الذي استمرت حياته من دون استقرار أو هدوء[2].

---

(١) تقول التوراة: «وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب». قض: ٢ ١٠ – ١٣. وتقول التوراة: «وقد عبد بنوات إسرائيل إله غزة واشقلون وحبرون وعقرون وإله البيوسيين والحثيين». ٢: ٣ – ٦ راجع الأحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، مطبعة علاء، ١٩٧٩، ص٥٧.

(٢) سقوط، داود عبدالعفو، أبناء يهود في الخفاء – جذور الفكر اليهودي، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٩٨٣، ص ١٢٦.

٣ - الحالة السياسية

إن التركيبة المعقدة للشخصية اليهودية أعطت للحياة السياسية عدم الاستقرار؛ مما تسبب في تعطيل أي تقدم تحرزه المجتمعات اليهودية التي تتطلع إلى بناء دولة لها كيانها سلطانها في المنطقة، وكذلك كانت الشخصيات المتزعمة لقيادة المجتمع اليهودي تطمح إلى إقامة دولة آمنة تستطيع أن تدافع عن نفسها، وأن تتخلص من الاستعمار المتناوب على حكمها، إلا أن ذلك لم يحدث، إذ من البدهي أن تكون المجتمعات المجاورة متفاعلة مع هذا المجتمع ومساعدة له للخروج من أزماته، وكان المجتمع اليهودي يفتقر إلى عنصر الألفة والتعايش مع المجتمعات الأخرى، بل هو يحمل نظرة التعالي والخصوصية التي أصلها فيه كتبة التوراة البابلية من أنهم شعب الله المختار، وأن (يهوه) هو الإله لهم فقط، وأنه يأتمر بأمرهم ويسمع لقولهم، فقد كانت كل هذه الصفات مدعاة لعزل الشعب اليهودي عن غيره من المجتمعات المجاورة.

وقد حاول العائدون من بابل أن يعطوا للسياسة ثوبًا جديدًا من خلال تعيين رجال الدين قادة لهم، لكن هذا لم يزد الوضع إلا تدهورًا[1]؛ بسبب الخلافات بين هؤلاء القادة الجدد، مما

(١) الفاروقي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٩.

لفت أنظار الإغريق الذين بسطوا سيطرتهم على فلسطين، وسيطروا على حكم البلاد في عام ٣٣٢ق.م بقيادة الإسكندر المقدوني(١).

وحدث أن انقسمت الدولة اليونانية فاستغل اليهود ذلك واتصلوا بأحد شطريها ليحصلوا على بعض التسامح الديني وبعض الحريات التي سمحت لهم بممارسة نشاطهم الديني من بناء المعابد والدعوة إلى اليهودية.

لكن ذلك لم يستمر؛ إذ لم يلبثوا أن غرر بهم فاتصلوا بالرومان ليوقعوا بالدولة اليونانية، وعندما انكشف أمرهم وكيدهم جرت عليهم ويلات اليونان، فهدموا معابدهم وأحرقوها وقتلوا وشردوا كثيرًا منهم، واستمر الوضع هكذا إلى أن دخلت الجيوش الرومانية فلسطين التي ربطت مصير اليهود بروما مباشرة، ودخل اليهود حقبةً سياسيةً جديدة قاسوا خلالها مرارة العيش والقسر من خلال تعاقب ملوك الرومان لحقب طويلة(٢).

ﮩﮨ

(١) المصدر نفسه، ص ٩٠.

(٢) طنطاوي، محمد سعيد، (دكتور)، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة، ج١، مطبعة حامد خير، القاهرة، ١٩٦٨، ص٦٧ – ٦٨.



تصوير
احمد ياسين
@Ahmedyassn90

الفصل الثاني

يهـود الخـزر

المبحث الأول:

أولًا: المفاهيم والمصطلحات.

ثانيًا: الموقع الجغرافي لإقليم الخزر.

ثالثًا: الأصول العرقية لشعوب الخزر.

رابعًا: الحالات العامة للخزر:

أ- الحالة السكانية والاجتماعية.

ب- الحالة السياسية.

ج- الحالة الدينية.

د- الحالة الاقتصادية.

المبحث الثاني:

تحول الخزر إلى الديانة اليهودية.

المبحث الثالث:

الخزر ودول الجوار:

١- العلاقات العربية الخزرية.

٢- العلاقات الخزرية البيزنطية.

٣- العلاقات الخزرية الروسية.

٤- العلاقات الخزرية والأندلس.

٥- علاقات الخزر بالسلاجقة.

المبحث الأول

أولًا المفاهيم والمصطلحات

من خلال دراستنا لليهود واليهودية في الفصل السابق توصلنا إلى صغر حجم المجتمع اليهودي الذي انطوى تحت ديانته وما حوته التوراة المزعومة من التضليل الذي يسري تحت رداء التوفيق والتزوير، وعلى الرغم من ذلك فلم تفلح الأعداد المتواضعة لتلك الشريحة بالنجاح في تكوين دولة لها كيانها السياسي أو قوتها العسكرية بين شعوب العالم، وظلت تلك الأقلية اليهودية تعيش تحت سلطة الدول المتعاقبة على استعمار المنطقة واحتلالها.

لكن الذي فاجأ العالم السياسي منه والديني وفي القرن الثامن الميلادي ظهور إمبراطوية لليهود في بلاد ليس لها علاقة بمسرح الأحداث التاريخية والدينية لما يسمى باليهودية، لقد ظهرت مملكة أو إمبراطورية تدين بالديانة اليهودية سميت (بمملكة الخزر) [1]، أو إمبراطورية الخزر، وأطلق المؤرخون

(١) الخزر: لغة خزر الرجل يخزر خزرًا نظر بلحظ عينيه وتباهى وهرب، وخزر يخزر خزرًا كسرت عينه بصره خلقة، أو صارت ضيقة وصغيرة، أو نظر كأنه بأحد الشقين، أو كأنه يفتح عينيه ويغمضها، أو كانت إحدى عينيه حولاء فهو أخزر وهي خزراء. وتخازر الرجل ضيق جفونه ليحدد النظر، أو أن يري من نفسه الخزر وليس به، وهو أن ينظر بمؤخرة عينه؛ وذلك كقولهم تعامى وتجاهل، قال الراجز: =

على سكان هذه الإمبراطوريــة اسم (يهود الخزر)، فمن هؤلاء الخــزر؟ ومــن أيــن جــاءت تسميتهم؟ وكيــف اعتنقــوا الديانة اليهوديــة؟ وما يتعلــق في نشاط هذه الإمبراطوريــة؟ سنتعرض لكل ذلك في دراستنا بهذا الفصل.

= **إذا تخازرت وما بي من خزر**

والخــازر الرجل الداهية، والخزر مصدر وجيلٌ مــن الناس خُزر العيون، ومنه بحر الخزر، والخزور الشاب القوي. راجع البستاني، المعلم بطرس محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٣٩.

وقيــل: الخزر بالتحريك وآخــره راء، وهو انقلابٌ في الحدقة نحو اللحاظ، وهو قبح الحال، وهي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدربند قريب من سد القرنين. ويقولــون: الخزر نسبة إلى خزر بن يافث بن نوح عليه السلام، وقال في كتاب العين: الخــزر جيل، خــزر العيون. راجع الحموي، الشيخ الإمــام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، المجلد الثاني، بيروت، ١٩٦٨، صــ ٣٦٧٠، وخــزر بالتحريك بلاد الترك خلف باب الأبواب، وهم صنف من الــترك، وهو في إقليم من قصبة تسمــى آتل، وآتل نهر يجري إليهم من الروس، قال دعبل يمدح آل البيت عليهم السلام:

وليس حيٌّ من الأحياء نعرفه — من ذي يمانٍ ولا بكر ولا مُضر
إلا وهــم شــركاء في دمــائهمُ — كما تشــاركُ أيســار على خــزر
قتلٌ وآســرٌ وتحــريقٌ ومنهبةٌ — قتل الغزاة بأهل الروم والخزرِ

راجع البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت ٧٣٩ هـ)، مراصد الاطلاع علــى أسماء الأمكنة والبقــاع، تحقيق محمد علي البجاوي، المجلد الأول، دار المعرفة للطباعــة والنشر، بيروت، لبنان، (١٣٧٣ هـ- ١٩٥٤ م)، ص ٤٦٥. والخزر يقال لهم الخــزرة أيضًا، وهم اسم لجيل من كفرة الــترك، وقيل من العجم، وقيل من التتار، وقيــل من الأكراد من ولــد خزر بن يافث بن نوح عليه الســلام، وقيل هم ولد كاشح ابن يافث، وقيل هم الصقالبة من ولد ثوبال بن يافث، وفي حديث حذيفة «كأني بهم خُنس الأنوف خزر العيون»، ورجلٌ خزري وقــوم خزر...إلخ. راجع الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، ج١١، ص ١٥٥.

يقـول د.م. دنلوب: «ومـمـا يوضح أن الرسائـل التي كانت ترسـل في القرن العاشر من عاصمـة البوسفور إلى ملك الخزر الـذي عرف باسم (الخاقان) حملت ختمًـا ذهبيًّا أوسع وأرشق مـن أختام الرسائل التي أرسلت إلـى البابا في روما وإلى خلفاء شارلمان»[1].

هذه العبارة تعطينا معنى أن «ملك الخزر كان يحكم مملكة لها مـن الأهمية أن يميزهـا الملوك أو الحـكام بدبلوماسة أكبر قدرًا من غيرها، وهذا يدلل لنا حقيقة ما سيرد عن قوة وشكيمة هـذا الشعب الخزري. لقد اختلفت المصـادر التاريخية في أصل هذه التسمية وتباينت من رأي إلى آخر، وكلٌ له ما يعتمد عليه في رأيه، فمن قائل أن أصل كلمة الخزر مما ذهب إليه علماء اللغة، أي أن تسميـة البلاد جاءت من صفـة الشعوب التي تسكنها، إذ إن اسـم الخـزر كان بسبب ضيق عيونهم التـي يسمى صاحبها أخزر العين»[2].

أمـا مـن يرى أنه جـاء من اشتقـاق لغوي فيذهـب إلى أن (الخـزر) معناه البـداوة، إذ يرجـع الكلمة إلـى الفعل (خزر)

(١) دنلوب، د.م. تاريخ يهود الخزر، نقله إلى العربية وقدم له د. سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط٢، دمشق، سوريا، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠، ص ١١.

(٢) البستـاني، مصـدر سبق ذكره، صـ ٢٣٩، والحموي، مصدر سبـق ذكره، ص ٣٦٧، والزبيدي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥.

ومعناه في التركية (قز)، ويعني هذا الفعل (يتجول) أو (يبتدئ) من البداوة، أو قد يكون (قزماك)[1].

وهذا الرأي قد يكون مما يؤخذ به، باعتبار أن شعب الخزر شعب بدوي يمارس الرعي والتجوال طلبًا لفرص العيش، إلا أننا نرى غير هذا؛ إذ إن الدراسات الجغرافية والبشرية أعطت طابعًا آخر، فهم شعب مستقر قد يمارس بعض الرعي، إلا أن طابع الزراعة والاستقرار هو الطابع الرئيس للخزر.

ومما يؤيد هذا ما يقوله المقدسي: «وتتكاثر في بلاد الخزر قطعان الأغنام، وتنتج من العسل كميات وفيرة، ويعيش فيها العديد من اليهود»[2].

ويرى ج. ديني J. Deny أن اسم (خزر) جاءت من Quzer أو Quazar ومعناه طرف الجبل المواجة لجهة الشمال، وإذا زدنا عليه (eri) فإنه يصبح شعب الشمال.

هذا وإن كان ما يعضد رأيه أن في لغة أرمينيا القديمة ولغة جورجيا غالبًا ما يطلق على ملك الخزر (بملك الشمال)، لكن الوثائق الخاصة بمراسلات الخزر والتي تعرف بوثائق كمبرج كان فيها (Kazar)، وهذا يقرأ (قزر)[3].

---

(١) دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

(٢) المقدسي، المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه د. محمد مخزوم، دار التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، ص ١٤٨.

(٣) دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠ – ٢١.


دولة الخزر وجيرانها

ثانيًا الموقع الجغرافي لإقليم الخزر

الخـزر اسـم إقليم مـن قصبة تسمـى (أتـل)، وأتل اسم لنهر يجري إليها من الروس والبلغار، وأتل مدينة، والخزر اسم المملكـة لا اسم المدينة، والأتل قطعتـان، قطعة على غربي النهر وهي الكبيرة، وقطعة شرقية، والملك يسكن الغربي منها، ويسمى الملك بلسانهم (يلك)[1].

و ذكـر المقدسـي في كتابـه أحسـن التقاسيـم في معرفـة الأقاليـم قوله: «وقد جعلنـاه خمسة كور، أولها من قبل خراسان قومس ثم جرجان ثم طبرستان ثم الديلمان ثم الخزر...»، حتى يصـل إلى قوله: «أتـل قصبة كبيرة على نهر يمتـد إلى البحيرة التي يقال لها أتل، وإليه أضيف اسم البلد، وكان ملكهم يهودي»، ويستمر بوصفهم إلى أن يصف مدنهم وهي سمندر، وبلقاء وباب

---

(١) حمـاد، أحمـد أحمد بن فضلان بن العباسي بن راشـد، رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهان، المجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا، (د. ت)، ص ١٦٩ — ١٧١.
وأحمـد بن فضلان هو رسول الخليفة العباسي المقتـدر إلى ملك البلغار الذي توجه بخطـاب إلى أمـير المؤمنين العباسي يطلـب منه أن يبعث إليه مـن يفقهه في الدين الإسلامـي ويسأله عن بناء حصن يتحصن به من هجمات ملوك الخزر، وكان ذلك عـام (٣٠٩ هــ) الموافق (٨٨٨ م)، ودامـت الرحلة عامًا كامـلاً، كتب ابن فضلان مـا لاقاه ورجالـه في رحلته من المصاعب والنـوازل، وذكر ما شاهـده من الأراضي والأقاليـم وتضاريسهـا والشعـوب التـي مرَّ بهـا وعاداتهـم وتقاليدهـم وأحوالهم الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسـة، وكانت رحلته هذه مرجعًـا تاريخيًّا رئيسًا في دراسة المناطق التي مر بها. والبغدادي مصدر سبق ذكره ص ٤٦٥.

الأبـواب، ويصف نهرهم الذي سماه (نهر الخزر)، ويضم إقليم الخزر ضمن إقليم الخزر ضمـن إقليم، إلا أنها لا تخرج بعضها عن موقعها الجغرافي فيقول: «هو إقليم حار إلا قومس، كثير المياه والأمطار، ليس فيه نهر تجري فيه السفن إلا بناحية الخزر»[1].

ويذكر لنا ابن الفقيـه في وصفه لبلاد أرمينيا التي قسمها على أربعة أقاليم: «إن مملكة الخزر تقع ضمن أرمينيا الرابعة، وذكـر فيمـا وصفـه ما طابـق غيره مـن أسمـاء المـدن وأهلها والأقاليـم وطبيعتها»[2]. ولم نجد اختلافًا بـين المؤرخين الذين

---

(١) المقدسي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧١ – ٢٧٧.

(٢) ابـن الفقيـه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني، مختصـر كتاب البلدان، دار إحياء الـتراث العربـي، بيروت، لبنـان، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م، ص ٢٤٨ – ٢٧٩، وبالطريقة نفسهـا يذكـر البـلاذري في حديثـه عن وصـف بلاد الخـزر في كتابـه (البلدان)، فيقـول: «والمسافـات بين بلاد بحر الخزر و نواحيها من آبسكون إلى بلاد الخزر عن اليمـين نحو ٣٠٠ فرسخ وعن اليسار ٣٠٠ فرسخ أيضًا، ومن أبسطكون إلى دهستان ٦ مراحـل، ويقطـع هذا البحر إذا طابـت الريح من طبرستان إلـى باب الأبواب في أسبـوع، ومـن أتل إلـى سمندر في ٣ أيام، ومـن أتل إلى برطاسـ ٢٠ يومًا، ومن أول برطاسـ إلى آخـره ١٥ يومًا، ومن برطاس إلى بجناك نحو ١٠ مراحل، ومن أتل إلى بجنـاك مسـيرة شهر، ومن أتل إلـى بلغار نحو شهر، ومن بلغـار إلى حد الروم نحو ١٠ مراحـل، ثـم يستمر في وصف البلاد فيصف نهر أتـل فيقول إنه يخرج من قرب خرخـير، ثم يجري بين الكيماكية والفزيـة و يتجه غربًا على ظهر بلغار ويعود شرقًا حتى يجوز الروس، ثم يعود راجعًا داخل البلغار، ثم على برطاس، ويبقى عمود النهر يجـري في الخزر حتى يقع في البحر، و للخزر مدينة تسمى سمندر، فيما بينها وبين بـاب الأبـواب، فيها بساتين كثيرة، ويقال إنها تشتمل علـى نحو أربعة آلاف كرم إلى حد السرير، والسرير اسم مدينة سميت على اسم سرير من ذهب كان لبعض ملوك الفرس، وأهلها نصارى، ويقال إن السرير تم عمله في سنين طويلة. =

اختلفت أجناسهم ومصادرهم وأزمان دراستهم بأن الخزر هم الشعب الذي يسكن بلاد القوقاز وحوض بحر قزوين ونهر الفولغا، وقد جرت دراسات حديثة متنوعة، جغرافية كانت أم تاريخية طابقت ما جاء به المؤرخون في القرون المتقدمة؛ فنرى قول الشمالي بهذا الخصوص «في مناطق القوقاز في الرقعة الممتدة بين نهري الفولغا والدون وحتى شواطئ بحر الخزر والبحر الأسود، كانت هناك في القرن الثامن الميلادي (مملكة) يهودية عاشت قوية ومنتعشة مدة طويلة من الزمن، ولقد كان أهل تلك المملكة خليط يعود بأصوله إلى أواسط آسيا وشرقها، وهم يعدون من أكبر الجماعات التي اعتنقت الديانة اليهودية خلال العصور المتعاقبة»[1].

= وبرطاس مدينة متاخمة للخزر، ولسانهم لسان الخزر، والخزر اسم الإقليم، وقصبته أتل...إلخ». راجع البلاذري، الإمام أحمد بن يحيى بن جابر، البلدان وفتوحاتها وأحكامها، تحقيق سهل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م، ص ١٣٢ — ١٣٧.

ويصف لنا المغربي بقوله: «ويقع هذا الباب (باب الأبواب) في مضيق يتكون من شاطئ بحر الخزر ومن الطرف الشرقي لجبال القوقاز، بينما يتصل بالأسوار التي ذكرها الكتاب العرب وقالوا إنها تمتد حتى شواطئ البحر الأحمر»، وذكر الأمير (كانتامير CANTAMIR) بأنها تمتد مسافة فرسخ ونصف، وأنها مبنية بأحجار مرصوصة دون الإسمنت والحديد، وأنها بنيت في أيام الخليفة هارون الرشيد عام (١٨٠ هـ - ٧٩٦ م). راجع بذلك المغربي، أبوالحسن علي بن موسى بن سعيد كتاب الجغرافية، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل المغربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د. ت)، ص ١٧٧.

(١) الشمالي، نصر، ملاحظات أساسية حول المسألة اليهودية، ط ٢، مكتب الخدمات للطباعة دمشق، ص ٧٢. وليلنتال، الفريد، ثمن إسرائيل، ترجمة حبيب غولي وياسر هواري، كتاب الملايين، ١٩٥٤، ص ٢٢٩.

أما كيستلر فيقول: «إن الغالبية العظمى من اليهود الباقين في العالم (المعاصر) هم من أصل أوربي شرقي، ومن ثم من أصل خزري، وإذا كان الأمر كذلك فهذا يعني أن أسلاف معظم اليهود المعاصرين لم يأتوا من وادي الأردن، وإنما من الفولغا، ولم ينحدروا من كنعان، وإنما من القوقاز»[1].

ويقول أيضًا: «حتى القرن التاسع الميلادي لم يكن للخزر منافس لسيادتهم على الأقاليم الواقعة شمال بحر قزوين وأقاليم السهوب والغابات المتاخمة لنهر الدنيبر؛ بل كانوا أصحاب السيادة العليا في النصف الجنوبي من أوروبا الشرقية طيلة قرن ونصف من الزمان، وشكلوا سدًّا منيعًا يحول دون أي زحف قادم من آسيا وأوروبا عبر المدخل القادم من أورال وبحر قزوين، واستطاعوا طيلة هذه المدة صد الهجمات القادمة من الشرق»[2].

(١) كيستلر، آرثر، القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم، ترجمة أحمد نجيب هاشم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١، ص٢٦. وكيستلر هذا مفكر صهيوني ولد في هنغاريا عام ١٩٠٥م، وانتقل إلى بريطانيا حيث عاش فيها منذ عام ١٩٤١، وقام بإعداد كتابه إمبراطورية الخزر وميراثها، ويعد هذا مرجعًا مهمًّا يفي فيه بالوقائع التاريخية لانتماء معظم يهود العالم إلى يهود أوروبا، وينفي علاقتهم بالعرق السامي، بل ويكشف أصولهم التركية دون أن يعني هذا تبدلًا في موقفه المؤيد لوجود إسرائيل.

(٢) الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد عبدالله بن إدريس الحموي الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مجلد ٢، عالم الكتاب للنشر، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، ص ٨٣٤ – ٨٣٧.

ويذكر اليعقوبي: «وكانت الخزر المتغلبة على عامة بلاد أرمينيا، وعليها ملك يقال له خاقان، وله خليفة يقال له (يزيد بلاش)، يحكم الران وحرزان والسفرجان والسيحان، وكانت هذه الكور تسمى أرمينيا الرابعة التي افتتحها قباذ ملك الفرس، ثم صارت إلى أنو شروان، إلى باب اللان مئة فرسخ، وفيها ثلث مئة وستون مدينة، وغلب ملك الفرس على الباب والأبواب (دربند) وطبرسران والبلنجر، وبنى مدينة قاليقلا ومدنًا كثيرة»[١].

ويروي لنا الطبري: «أن أنوشروان قسَّم إمبراطوريته إلى أربع مقاطعات كبيرة أو (اصيهزين)، وكان من بينها أصبهز أذربيجان وما والاها من بلاد الخزر، وقد كان منشغلًا في الحرب مع إحدى الأمم التي عرفت باسم (صول)، وهم بالتأكيد سكان الأصقاع الشمالية الشرقية القصوى لجبال القوقاز، وفي أحواز حمر صول (دربند)، وقهر أمة باسم (بلنجر)، وأمة عرفت (بنجر)، وهم البلغار وأمة أخرى لربما كانت هي الخزر»[٢].

ويذكر لنا أيضًا الدينوري بأن أنو شروان خلف ابنه هرمز [٥٧٩ - ٥٩٠ م]، وهرمز هذا شارك بالحرب ضد تحالف كبير كان يضم الخزر والإغريق[٣].

---

(١) اليعقوبي، أحمد بن واضح الكاتب، تاريخ اليعقوبي، طبعة النجف، ١٩٦٤، ص ١٦٨.

(٢) الطبري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٤ – ٢٦٦.

(٣) الدينوري، أبوحنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، المكتبة الأزهرية، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ص ٣١٤ – ٣١٨.

ويضيف في حديث آخر... إن الاسكندر الكبير -والذي سماه الفاتح الكبير- عندما رجع من فتوحاته في شمال إفريقيا عزم الرجوع إلى الشرق، لكن وزراءه حذروه من الصعوبات التي سيواجهها عند عبوره البحر الصفر ذي المياه الآسنة، لكن على الرغم من تحذيرات وزرائه اجتاز الأراضي الإغريقية ووصل بلاد الخزر واستمر حتى أراضي الترك»[١].

وأورد المسعودي أن الخزر كان موطنهم القوقاز وحوض الفولغا والأجزاء الجنوبية لروسيا[٢].

ويذكر ابن الفقيه عن الري ومكانتها الجغرافية والتجارية، وكيف كانت عروس البلدان، ويسرد لنا أسماء الأقاليم التي تليها فيقول: «فهي عروس الأرض، وواسطه خراسان وجرجان والعراق وطبرستان، وهي أحسن الأرض مخلوقة، ولها السُّرُّ والسربان، وإليها تقع تجارات أرمينيا وأذربيجان وخراسان والخزر وبلاد برجان؛ لأن تجار البحر يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق، حتى يذكر لنا أنهم يجيئون إلى خليج الخزر فيُعشِّرهم ملك الخزر»، وكتب ابن سعيد المغربي[٣]

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٢٥.

(٢) المسعودي أبو الحسن علي بن أبي الحسين بن علي مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ دار الأندلس بيروت ١٩٦٩ ص ٢١٢.

(٣) المغربي مصدر سبق ذكره ص ١٧٧.

وهـو مؤرخ إخبـاري عربي يقـول: «أما عن الخـزر فهم ينزلون شمال الأرض المأهولة قرب الإقليم السابع بحيث يقع برج الدب الأكبر فوق رؤوسهم وبلادهم باردة مطيرة؛ ولذلك فإن بشرتهم بيضـاء، وعيونهم زرقاء، وشعرهم كثيف ضارب إلى الحمرة في الغالـب، وأجسادهم ضخمة، وطباعهم بـاردة، وينم مظهرهم العام عن كونهم غلاظًا همجًـا...»، يصف بلادهم بقوله: «يقع هذا البـاب (باب الأبواب)[1] في مضيـق يتكون من شاطئ بحر الخزر ومن الطرف الشرقي لسلسلة جبال القوقاز، بينما يتصل بالأسـوار التي ذكرها الكتَّاب العرب، وقالوا إنها تمتد من الباب حتى شواطئ البحـر الأسود، وذكر الأمـير كانتامير Cantamir الـذي عاين هذه الأسوار ابتداءً من مدينـة دربند مسافة فرسخ ونصف غربًا، وقد ذكر أنها تمر بقمم الجبال وإنها مبنية بأحجار مرصوصة بدون إسمنت أو حديد، وكذلك لاحظ إنها لا يوجد لها أي أثر، إن هذه الأسوار تمتد حتى شواطىء البحر الأسود.

---

(١) القزوينـي، الإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للنشر، بيروت ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠ م، ص ٥٠٦، ويستطرد القزويني بحديثه عن مدينـة (باب الأبواب) فيصفهـا بأنها مدينة عجيبة على ضفـة بحر الخزر، مبنية بالصخـور يصيب مـاء البحر حائطها، طولهـا مقدار ثلثي فرسـخ، وعرضها غلوة سهـم، عليها أبواب مـن الحديد، ولها أبراج كثيرة، ولها سـور، وعلى السور حراس تحرس من العدو. بناها أنو شروان كسرى الخير، وهـي أحد الثغور العظيمة؛ لأنها كثـيرة الأعداء من أمم شتى، وإلى جانب المدينة جبل أرعن يجمع عليه حطب كثير، يُشعـل عنـد إنذار أهل آران و أذربيجـان و أرمينية بمجيء العـدو، وكانت الأكاسرة شديدة الاهتمام بهذا المكان لعظم خطره وشدة خوفه.

أمـا هذا الباب فقد بني في زمـن الخليفة العباسي هارون الرشيد عام ١٨٠هـ - ٧٩٦م[١].

ويصـف ابـن العـبري بلاد الخـزر حتـى يصل إلـى باب الأبـواب، ويرى أن هذه من آثـار (السد العظيم)[٢]، وأن موضع السـد العظيم هو نفسه (بـاب الأبواب)، ويقـع في مروج بلدان القنجـاق، وقد تم حفر موضع الأساس في الجبال حتى ألحق في بحر الروم، ولم تزل ملوك فارس في طلب هذا الأساس، وكذلك حكام وملوك جميع الأقاليم المجاورة من بلاد العراق وأذربيجان وآران وأرمينيا[٣].

ثالثًا: الأصول العرقية لشعوب الخزر

تباينـت آراء المؤرخـين ونتائـج الباحثـين في أصول الخزر العرقيـة وانتمائهم لأي جنس، وانقسمـت تلك البحوث والنتائج إلى قسمين:

القسم الأول: كان يشكل نظريات يضع أصحابها احتمالات مستندة إما على روايات أو أحداث تاريخية، أو على أمور توصَّلوا إليهـا عن طريـق دراسة شعوب أخرى، ومثل ذلـك ما كان يأتي

---

(١) المصدر نفسه ص ١٧٨.

(٢) يقصد بالسد العظيم سد يأجوج ومأجوج المصدر نفسه ص ١٧٩.

(٣) ابـن العبري العلامة غريغوريوس الملطي تاريخ مختصر الـدول دار الآفاق العربية القاهرة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ص٥٨.

من روايات عن علاقة الخزر بالإيغور[1]، أو بقبائل الهون أو عن أساطير ورد ذكرها أحداث تاريخية كالغزو والحروب، وقد يكون ذلك من خلال دراسة عن تنقل قبائل أو شعوب من مكان واستقرارها في مكان آخر، وهذه الطريقة لم تكن صالحة لأن يعتمد عليها الباحثون في موضوعٍ مثل هذا؛ إذ إن شعبًا أدى دورًا مهمًّا في التاريخ السياسي والديني لم تكن طبيعته من الشعوب المتنقلة أو المبتدئة، وهذا ما سنراه في دراستنا من خلال نشاط هذه الإمبراطورية في حقبة زمنية قد تتعدى ستة قرون.

---

(١) الإيغور قبائل مختلفة كانت تسكن مناطق مختلفة من أراضي الترك لاسيما الغربية منها، وهؤلاء الأقوام كان وجودهم قبل ظهور الترك، وبعد ظهورهم إذ اتحد الأتراك الشرقيون مع الغربيين آنذاك، وكان للإيغور أدوار سياسية بالمنطقة بخصوص النزاعات الإقليمية، وقد ورد هذا في المصادر الصينية، وأشارت تلك المصادر إلى علاقة هؤلاء بالروم وجيرانهم العرب، وقد أطلق عليهم في بعض المصادر الأتراك الغربيون، وتورد بعض المصادر أن الإيغور كان لهم دور في تقويض سلطة الأتراك الشرقيين وإقامة حكمهم على ضفاف نهر أورخون حتى عام (٨٤٠م)، و قد سبق القول عن قبائل إيغورية تسكن غرب نهر الفولكا، وأنهم شكلوا هجرات متتابعة استقرت غرب الأتراك، وهو أنهم لم ينسحبوا جميعهم نحو الغرب، إلا أننا نعرف أن شعبًا غربيًا كان يقطن هذه المناطق ويخضع لسلطة الأتراك، وقد كان هذا الشعب جزءًا مهمًّا في إتلاف قبضة الإمبراطورية التركية بشقيها الشرقي و الغربي،كان ذلك في القرن السادس الميلادي، وربما كان ذلك الائتلاف مع الخزر أنفسهم. وتذكر المصادر أن الخزر قد حلوا مكان الأتراك الغربيين أوقات عديدة نتيجة غارات يشنها البعض على الآخر.

راجع دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٦١ – ٦٥، والساداتي، حسن أحمد محمود (دكتور)، تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٦٢ – ٦٣.

القسم الثاني: وهي الدراسات التاريخية المعتمدة على الأحداث والوقائع الموثقة التي كانت بحد ذاتها شواهد تاريخية تدلل على حياة ونشاط الشعوب -مدار البحث- مثل: روايات الرحالة أو وقائع الحروب التي كانت تدور في المنطقة، ومن ثم ما تركته تلك الشعوب من موروث سياسي أو مادي أو ديني نستطيع بوساطته أن نتوصل إلى نتائج أقرب إلى الواقع؛ فاليعقوبي يرى أن الخزر هم أولاد يافث ثالث أولاد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن استقرارهم في هذا الركن من المعمورة جاء من خلال تقسيم فالخ بن عابر للأرض بين أولاد نوح، فقسمها فصار لأولاد يافث الصين والهند والسند والترك والخز والتيبت والبلغار والديلم وخراسان[1].

ويؤيد الطبري ما ذكره اليعقوبي في كتابه، إلا أننا لا نرى في هذا الرأي حجةً قاطعةً نستطيع أن نميل إلى ترجيحها، والدليل هو عدم تطابق أو توافق الأجناس البشرية للأماكن التي ذكرها اليعقوبي، ونحن نرى أن الأشكال البشرية في الصين تختلف اختلافًا كبيرًا عما هو موجود في الهند، كذلك التباين عند أهل الصين مع البلغار وأهل خراسان، ولا يوجد هناك ربط في لون البشرة أو معالم الوجوه وحتى المزايا والأطباع، فنحن نرى أن هذا الرأي لا يحتاج إلى أن نقف عنده، فلو نظرنا إلى العرب

(١) اليعقوبي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠ - ٤٢.

مثـلاً فإننا نجد هناك تقاربًا كبيرًا في شـكل أجسامهم و ألوان جلودهـم وما إلى ذلـك، وهذا ما يدعونا إلى القـول بأنهم على وفق ما ورد بانتمائهم لسلالة واحدة ولأب واحد[١].

ويروي لنا دنلوب[٢] عمـا يرويه جيبون بأن هناك معلومات وصلـت إليه عن طريق السجـلات الصينية والمنقوشات التركية القديمة وبعض المقاطع من كتـب البيزنطيين تحدثت عن وجود الإيغـور في الغـرب، وقد سيـق لنـا أن هناك علاقة بـين هؤلاء والخزر؛ بل إن العلاقة لم تكن علاقة طارئة، بل ربما تكون علاقة نسـب مع القبائل الخزريـة، حيث إنه قد ورد بـأن قبائل الخزر كان مـن الأسماء التي أطلقت عليها (كوسا) أو (كوسا الخزر)، ولمـا كان أحد أسماء قبائل الإيغور التسعة كوسا فهذا قد يدعونا إلـى الوقوف على أنه ربما يكون هؤلاء الخـزر أحد قبائل الإيغور التي وردت في الكتابات الصينية أو التي ذكرها الأسير الصيني الـذي وقع في أيدي العرب عام ٧٥١م، والذي ذكر أنه كان يسمع أن الخزر جيران العرب من الشمال.

وبمـا أنه هناك رواية بهذا الصدد جاءت في كتاب تانغ شو Tang – shu الصينـي ترجع إلى عـام ٩٥٤م مفادها أن الكوسا تـرك مقيمون في شمال الإمبراطورية البيزنطية وخوارزم وبلاد

---

(١) الطبري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٣٥.

(٢) دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٦١.

فارس، فقد أصبح من الممكن ربط هذه الروايات ببعضها والاستدلال على أن الخزر ربما يكونون من أصل إيغوري، ويدعم بداية هذه الرواية أن الكوسا ترك هم من الأصل نفسه الذي ترجع إليه قبائل الشادو ترك، وهؤلاء هم من الأتراك الغربيين، وهذا الرأي يدعمه المؤرخ بول بيللوت Paul – Pelliot الذي يقول إن كوسا هذه هي من القبائل الإيغورية[1]. وبما أن الإيغور كانوا موجودين أيام الإمبراطورية التركية بحدود ٧٤٢ م، وأنهم كما ذكر قد كونوا ائتلافًا عمل على تقويض سلطة الأتراك الشرقيين، وتسلم مقاليد الزعامة والسلطة على ضفاف نهر أورخون حتى عام ٨٤٠م، فإن هذا يدعونا إلى التساؤل عن صحة هذه الروايات مع ما هو موجود في سجلات الشرق الأقصى التي تذكر وجودهم بزعامة اتحاد الأقاليم التركية أيام وي WIE الأخير بين عامي ٢٢٧ – ٢٦٤م[2].

لذلك فنحن نعلق صحة هذه المعلومات كونها ضمن المعلومات الواردة عن تنقل القبائل وشعوب المناطق المتاخمة لبلاد الخزر؛ بل إن الهجرات المتعاقبة من وإلى المنطقة ذاتها كانت سببًا في عدم الجزم بهذه الأمور؛ وذلك لاختلاط الأخبار مع بعضها، وعدم وجود مصادر تستطيع القطع بهذا الأمر[3].

(١) المصدر نفسه، ص ٦٤.
(٢) مينورسكي، نقلًا عن دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣.
(٣) مرقوارت، نقلًا عن دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧.

وننقل هنا رأيًا لابن فضلان يقول فيه: «ويمكن أن يُعد هذا الوضع حالة من حالات الهجرات المتتابعة لمجموعات من الإيغور جاءت قبل عام ١٦٥م نزحوا بها غربًا حتى اقتربوا من حدود أوروبا، ونحن نقرأ عن قبائل إيغورية في غرب نهر الفولغا عام ٥٦٩م، وعن قوة من الإيغور تحاصر البوسفور عام ٥٧٦م، وفي كلا الحالتين فإن هؤلاء أتباع للأتراك الغربيين[١].

لكن دنلوب يقول: إن الإيغور لم ينسحبوا غربًا، لكن هناك شعب غريب كان يقطن في الأرض التي يسيطر عليها الأتراك، وربما وراءها، وقد عانى هذا الشعب من هزائم ومذابح كان يتوق بسببها إلى الانتقام، ولم يكن من قبيل الصدفة أن تم القضاء على الأتراك الغربيين بين عامي ٦٥٢ - ٦٥٧م، وكذلك القضاء على الأتراك الشرقيين فيما بعد على يد ائتلاف كوَّن الإيغور جزءًا مهمًّا منه، وبالوقت نفسه نحن نعلم أن الخزر قد حلو محل الأتراك فيما يخص السلطة بعد ذلك بقليل[٢].

ويبدو أن الخزر كانت تدعمهم مجموعات أخرى مثل الزبندر (سمندر) والبلغار، وأنهم أصبحوا يسيرون بخطى حثيثة نحو إنشاء إمبراطورية، ومن المفهوم أن فرض زعامة الخزر والإقرار بها عام ٦٥٧م أو بعده ما كان ليتم لولا أن

(١) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧١.

(٢) دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٦٦.

هؤلاء الخزر كانوا يمثلون قبيلة كوسا التي انتمت إلى شعب قديم حاكم، وعلى هذا فإن انتماءهم العرقي يجب أن يكون إلى أسلاف أقل أصالة من ذلك[١].

إن الرأي الذي يقول إن الخزر هم كوسا (إيغور) يعوزه الإثبات والبرهان الحازم، لكننا مع هذا نجد اعتبارات تدعم هذا الرأي، مما يدعونا إلى الوقوف عنده في الوقت الذي نكتشف طورًا من أطوار النمو القديم للإيغور في المنطقة المدعوة ببلاد الخزر، فقد كان هناك شعب يدعى (بوغوريا) أو (بانغوريا)، وهو أحد الشعوب التي احتلت أوروبا الشرقية قبل قدوم الخزر والبلغار، وقد بُذلت جهود كبيرة لإثبات صحة هذه الفرضية؛ إذ إننا نجد ناشري كتاب ابن العبري الأوائل برنز Bruns وكيرسش Kirsch يقدمان اسم (الهنغار)، وأما ولس بدج Waillis Budge فيقدم اسم البنغوريين، في حين يقترح ماركوت تعديلًا للنص بحيث يصبح شعب بلنجر، ويبدو أن هذا الرأي الأخير هو التفسير الأكثر معقولية وقبولًا، لكن بما أن ابن العبري يذكر كلمة مشابهة عند الإشارة إلى الإيغور؛ لذلك لا يسعنا الا إثباتها هنا، فقد جاء فيها ما يعني أن الإيغور هم الذي استقروا في أوروبا حسبما نجدهم في المصادر الإغريقية[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٧.

(٢) مرقوارت، نقلًا عن دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧.

هذا وإننا نجد بين أسماء الأعيان والشخصيات البارزة في دولة الخزر حامل لقب جاوشيغر، وذلك طبقًا لما ذكره ابن فضلان، ومن المحتمل أن يكون آخر جزء من هذا اللقب هو (إيغور).

وقد فسر هذا اللقب بـ (شاووش إيغور) الذي قد يكون معناه (مقدم الإيغور)، وهذا من التفسيرات البديلة التي تبدو مصنفة بشكل مفرط[1].

وهناك بعض التشابه بين المراسم المتبعة لدى خاقان الخزر كما يصفها ابن فضلان[2] وبين بعض القصص التي تروى عن ملك الطغز أوغز التي سوف نقدمها هنا؛ فالمصادر العربية على العموم تجيز إطلاق اسم شعب الطغز أو غز على الإيغور، وبصورة خاصة على أيغورتيان، شأن الذين تعنيهم هذه القصص منذ نحو سنة ٨٦٠م، فملكهم شأنه شأن ملك الخزر لا يحكم بنفسه بل «جميع شؤون مملكته كان يتم تصريفها على أيدي الوزراء والحجاب» «وكان خاقان الخزر يمتلك ستين جارية، أما ملك الطغز أو (الغز) فكان يمتلك ثلاث مئة و ستين جارية»[3].

(١) ابن العبري، نقلًا عن دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧.

(٢) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٢.

وكان ملك الطغز أو (الغز) يظهر أمام شعبه مرة كل سنة، أما خاقان الخزر فطبقًا لابن فضلان كان يظهر لشعبه علنًا كل أربعة أشهر، وكان يتقبل عند ظهوره خضوع شعبه واحترامهم عندما يسجدون أمامه، كما أن شعب الطغز أو (الغز) كان يسجد أيضًا. وإذا كان ما ذكرناه ممارسًا حقيقة بين (التيان شان) أيغور، علينا كما يبدو أن نفهم بأن هناك علاقةً وطيدةً بينهم وبين الخزر[١].

مما تقدم من الآراء والنظريات في أصول الخزر نجد أن هنالك اختلافًا كبيرًا في نظريات أصولهم، فمن ذاهب إلى أنهم من الإيغور، وآخرون يرون أنهم أتراك غربيون، وقال قسم آخر إنهم من المغول، وكثير من الآراء والاحتمالات التي تبدو للقارئ في بدايتها أنها هي الصواب ثم تحيد عن ذلك في نهاية الكلام عندما يلتقي هذا الرأي بما يعارضه أو يفنده بنظرية أخرى، فالمساحة التي امتدت إليها الفرضيات وصلت من الدانمارك غربًا إلى الصين شرقًا، وتحدث بعضهم عن هؤلاء الأقوام بأنهم اعتنقوا الإسلام في بعض الأوقات أو المسيحية، وقال آخرون إنهم كانوا يدينون بالوثنية، ثم إنهم استقرت ديانتهم على اليهودية، وخلاصة القول بأنه لم يكن هناك قول قاطع يذهب بالخزر إلى جهة محددة، ولكن من خلال تمحيص

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧٣.

الآراء وترجيحها يمكننا أن نرجح الرأي القائل أن الخزر هم من الأتراك الغربيين؛ وذلك لكثرة ميل المصادر وما أوردته من الأخبار التي تعضد آراءهم بأنهم من الأتراك؛ فعادات شعوبهم، وألقاب ملوكهم، وتقاليدهم كلها تتشابه مع العادات والتقاليد والمراسم عند الأتراك، ثم إن العلاقات السياسية مع الكيانات المجاورة من غير الأتراك -والتي وضعت الاحتمالات أن يكون الخزر منهم[1] كانت هذه العلاقات بمثابة دحض لأي رأي يقول إنهم مغول، أو إنهم من الهون أو من الإيغور، فطالما تعرضت مملكة الخزر إلى غارات هذه الشعوب وحروبها المستمرة، فيقول الأستاذ زكريا كتابجي في كتابه الترك في مؤلفات الجاحظ نقلًا عن بروكلمان في نشأة الأتراك: «إنه بين سكان التيبت والصين في الشرق، والجنس الآسيوي القديم (السيبيري) في الشمال والشعوب الفلندية والأغروية في الغرب نشأ الشعب التركي فوق سهول سيبريا الشمالية الواسعة والبوادي القائمة هناك وبين بحر الخزر (قزوين) وجبال التالي». وهنا نرى أن بروكلمان قد شمل هذه المناطق ولم يستثن منها أحدًا من الشعوب، فهو قد عدهم ضمن الأتراك طالما كان الحديث عن نشأة الأتراك، ثم يعود صاحب الكتاب نفسه وهو يتكلم في موضوع عنوانه قبائل

---

(١) العاني، رشدي محمود، الحقيقة التاريخية لعلاقة يهود الخزر والدونمة ببني إسرائيل، منشورات شركة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، مطبعة أنوار دجلة، بغداد، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣م، ص ٦٨.

الأتـراك فيقول: «أما قبائـل الأتراك وبطونهم، فـإن كثيرًا من مؤلفـي العرب قد عنوا بالحديث عنها منـذ بداية القرن الثالث الهجري، ولم يفت البعض منهم أن يسيحوا بين القبائل التركية ويصرفـوا أيامًا من عمرهم ويكتبوا أشياء غريبة عن عقائدهم وعاداتهـم، ونخلص من أقوالهـم إلى قبائل الأتـراك المشهورة بـين العرب هي الغز، والقرغـز، والخرخر، والخرلوخ، والخزر، والبجناكبة وغيرهم، وهكذا فإن جميع المعلومات أو أغلبها تؤكد لنا أن أصول الخزر تعود إلى العراق التركي»[1].

رابعًا الحـالات العامة للـخزر

أ – الحالة السكانية والاجتماعية

لابـدَّ لنا أن ندرس حالات هذه الشعوب منذ بداية ظهورها علـى مسـرح الحياة لكـي نطلع علـى الأوضاع المشتملـة لمناحي الحياة التـي كانت سببًا في ظهور هذه الشعـوب وتأديتها لأدوار مهمـة في حقب خلـت من الزمن الماضـي، إذ إن أساليب العيش والمستويـات المعاشية لكل مجتمع لها أهمية في قوة ذلك المجتمع أو ضعفـه؛ فـكان للموقـع الجغرافي الـذي شغلتـه قبائل الخزر أهميـة كبيرة في قوة ومركزية هذه القبائل في المنطقة، إذ كانت

---

(١) البـلاذري، الإمام أحمد بن يحيى بن جابر، فتـوح البلدان، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ص ٢٤٢.

مسرحًا لتفاعل نشاطات مختلفة بينهم وبين الذين يرتادون هذه المناطق من التجار القادمين عبر البلدان المجاورة؛ فضلًا عن نشاط السكان الأصليين.

جاءت رواية الأصطخري[1]: «وأما الخزر فإنه اسم لإقليم وقصبته تسمى (أتل)، وهو اسم النهر الذي يجري إليه من الروس والبلغار، و(أتل) قطعتان غربية وشرقية، والملك يسكن الغربي منها ويسمى الملك بلسانهم (بك) ويسمي أيضًا (باك)، وأبنيتهم فركاهات لبّود إلا شيئًا يسيرًا من الطين، ولهم أسواق وحمَّامات وفيها خلقٌ من المسلمين يقال إنهم يزيدون على عشرة آلاف مسلم، ولهم نحو ثلاثين مسجدًا، وقصر الملك بعيدٌ من شط النهر، وهو من الآجر، وليس لأحد بناء من آجر غيره، ولا يسوِّغ الملك لأحد أن يبني بالآجر غيره، ولهذا القصر سور له أربعة أبواب، والملك يهودي يقال إن له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل، والخزر مسلمون ونصارى ويهود، وفيهم عبدة أوثان، وأقل الفرق يهود وأكثرهم المسلمون والنصارى، إلا أن الملك وحاشيته من اليهود، والغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان، يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم، وللملك من الجيش اثنا عشر ألفًا، يجمعون إذا كان لهم حرب أو حزب لهم أمر،

---

(١) الأُصطخري، أبو إسحق محمد بن إبراهيم الفارسي، المسالك والممالك، بريل، ليدن، ١٩٢٧، ص ٢٦٩.

وأبـواب مال الملك من الأرصاد وعشور التجارة التي كانت توضع علي كل طريق من البر أو البحر.

وللملـك سبعة مـن الحكام اليهـود والنصـارى والمسلمين وأهـل الأوثان، إذا عرضت للناس خصومة قضى فيها هؤلاء ولا يصل من هذه الحوائج إلى الملك شيء منها.

وللخـزر قـرى فيهـا مـزارع مفترشـة يخرجـون في الصيف لزراعتهـا، وتجتمع بعضهـا على النهر، والأخرى علـى الصحاري، وقوتهـم الأرز والأسمـاك، وكما يُذكر أن العسـل والسمن كان ينقل منها إلى البلدان المجاورة لكثرة ما فيها من الأغنام والأبقار[1]. كما أن الروس والبلغار كانوا يحملون إليهم الجلـود والخز فتُحمل إلى آفاق أخرى عبرَ أنهار الخزر؛ أما الأوبار والدقيق فإنها تُحمل إليهم من نواحي جرجان وطبرستان وأرمينيا وأذربيجان والروم[2].

وللخـزر عظيم أجلُّ من الملك يسمى (خاقان الخزر)، وهو الـذي يقـوم بتعيين الملك ويقيمـه الشعـب إذا أراد، إذ يخنقونه بحريـرة، حتى إذا قـارب أن ينقطع نفسه قالوا له كم تشتهي أن تعيشـ؟ فيقول كذا سنه. فإن مـات دونها كان هكذا وإلا قُتل إذا بلغ تلك السنة[3].

---

(١) المقدسي، مصدر سبق، ذكره ص ٦٨.

(٢) دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٣.

(٣) فواز، مدهش، في الرواية الصينية العائدة إلى (تو – طويا) ترجمت في سان جوليان، المجلة الآسيوية، ١٩٦٤/٣/٦، ص ٣٣٢.

ولا تصلح الخاقانية إلا في أهل بيت معروفين، وليس للخاقان من أمر البلاد شيء سوى الذي ذكرنا في تعيين الملك. ويُعظَّم الخاقان ويُسجَد له إذا دخل عليه أحد، ولا يصل إليه أحد إلا نفر قليل مثل الملك ومن في طبقته، والملك لا يدخل عليه إلا في حادثة، فإذا دخل عليه تمرغ في التراب وسجد ولم يقم إلا أن يؤذن له. ولا يخرج الخاقان إلا لحادثة تلمُّ بالبلاد، أو أمر عظيم يحزُبها، فإذا قابله عدوٌّ انصرف عنه ولم يقاتله تعظيمًا له. ويُدفن الخاقان بعد موته في مقبرة خاصة، ولن يمر بقبره أحد إلا ترجل وسجد، ولن يركب حتى يغيب عن قبره، وبلغ من طاعتهم له أن أحدهم ربما يجب عليه القتل فيأمره أن يقتل نفسه فينصرف إلى بيته ويقتل نفسه هناك، ولا تعقد الخاقانية إلا لمن يدين باليهودية ويسكن في أرفع مكان في البلاد، وتُضرب فوق بيته قبة من ذهب(١).

يقول ابن فضلان: «أما فيما يخص ملك الخزر الذي يلقب بالخاقان فهو يظهر للجمهور مرة كل أربعة أشهر، ويطلق عليه اسم الخاقان العظيم. أما مساعده فيطلق عليه خاقان بك، وهو الذي يقود الجيوش ويموِّنها ويدير أمور الدولة ويظهر أمام الجمهور، وهو القائد في الحروب، ويُطاع من قبل ملوك

---

(١) دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥.

جيرانه، ثم هو يمثل أمام الخاقان يوميًّا في احترام وتواضع وهو حافي القدمين يحمل في يده عصا من الخشب، وعندما يدخل على الخاقان ينحني أمامه ويشعل العصا ولا يرفع رأسه حتى تحترق تمامًا، ويجلس إلى يمين الخاقان، ثم يليه رجلٌ يطلق عليه[1] (كندر خاقان)، ثم يليه رجل آخر يدعى (جاويش غر خاقان). ومن عادات الخاقان العظيم أن لا تكون له علاقات اجتماعية مع الشعب، ولا يتكلم معهم، ولا يسمح لأحد بالدخول سوى الذين ذكرناهم.

أما سلطة اعتقال الناس وإطلاق سراحهم وفرض العقوبات وحكم البلاد فقد كانت من اختصاص مساعده (الخاقان بك)، ومن عادات الخزر أنهم إذا مات الخاقان العظيم يُشيد له مبنى عظيم يحوي عشرين حجرة، وتحفر في كل منها مقبرة له، وتفتت أحجار حتى تصبح مسحوقًا يُنثر على الأرضية ويغطى بالقار، ويجري تحت المبنى نهر كبير تتدفق مياهه بسرعة، ويحولون ماء النهر إلى فوق القبر ويقولون إنما يفعلون هذا لئلا يصل إلى القبر شيطان أو إنسان أو دودة أو أي كائنات زاحفة، وبعد أن يتم دفن الملك تضرب أعناق من دفنوه حتى لا يعرف أحد في أي حجرة يقع قبره،

(١) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٩.

ويطلق على القبر اسم الجنة. ولهم في ذلك مأثور: «إنه دخل الجنة»، وكل الحجرات مكسوة بقماش مقصَّب يتخلله نسيج من خيوط الذهب[1].

واعتاد الملك أن يكون له خمسٌ وعشرون امرأة، كل امرأة منهن ابنة ملك من الملوك الذين يحاذونه يأخذها طوعًا أو كرهًا، وله من الجواري والسراري لفراشه ستون ما منهن إلا فائقة الجمال، وكل واحدة منهن في قصر مُفرد له قبة مغشاة بالساج، وحول كل قبة مضرب، ولكل واحدة منهن خادم يحجبها، فإذا أراد أن يطأ بعضهن بعث إلى الخادم الذي يحجبها فيوافي بها في أسرع من لمح البصر حتى يجعلها في فراشه، ويقف على باب قبة الملك، فإذا وطأها أخذها بيدها وانصرف[2].

وإذا ركب الملك الكبير ركبت سائر الجيوش لركوبه، ويكون بينه وبين الموكب مسافة ميل فلا يراه أحد من رعيته إلاَّ خرَّ على وجهه ساجدًا، ولا يرفع رأسه حتى يجوزه، ومدة ملكه أربعون سنة إذا جاوزه يومًا قتلته الرعية، وقالوا: «هذا نقص عقله واضطرب رأيه»[3].

وللملك مدينة كبيرة على ضفتي نهر آتل (الفولغا) يعيش المسلمون على إحدى الضفتين ويعيش على الضفة الأخرى الملك

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٣ – ١٧٥.

(٢) كيسستلر مصدر سبق ذكره ص ١٤٨.

(٣) ابن العبري مصدر سبق ذكره ص ٥٨.

وحاشيته، ويتولى حكم المسلمين موظف مسلم من موظفي الملك، يسهر على قضايا المسلمين المقيمين في عاصمة الخزر وكذلك قضايا التجار الوافدين إليها من الخارج، ولا يسمح لغيره في التدخل في أمورهم، أو الفصل في قضاياهم».

وينتهي تقرير ابن فضلان بقوله: «وإن الخزر وملكهم هم جميعًا من اليهود، ويخضع له البلغار وجميع جيرانهم ويبجلونه ويطيعونه طاعة عمياء، ويري البعض أنّ يأجوج ومأجوج هم من الخزر، وفي الأقاليم تمتد ضياعهم والمساحات المزروعة على نحو متصل لمسافة تزيد على ستين أو سبعين ميلًا، وكما أن لهم مزارع كروم منتشرة وبساتين من الفواكه والحدائق تكسو الريف الممتد من داربند إلى سرير[1]. وكانت التجارة الخارجية المصدر الرئيس لدخل الخزانة الملكية، وقد أشار ابن فضلان إلى حجم القوافل التي تزرع طريقها بين آسيا الوسطى وإقليم الفولغا أورال.

ونذكر أن القافلة التي انضمت إليها بعثته في جرجان كانت من خمسة آلاف رجل، وثلاثة آلاف دابة، وإن هذا الحجم الكبير من القوافل لطالما كانت تنتقل من مكان إلى آخر محملة بالسلع من المنسوجات والفواكه المجففة والعسل والشموع

(١) ابن فضلان مصدر سبق ذكره ص ٢١٧ — ص ٢٢٢.

والتوابل، وكان هناك طريق آخر كانت تقطعه هذه القوافل عبر القوقاز إلى أرمينيا وجورجيا وفارس وبيزنطة، والطريق الثالث الذي كان ينحدر من الروس عبر الفولغا إلى شواطئ بحر الخزر الشرقية حيث الفراء الثمينة التي كان يتهافت على شرائها صفوة من المسلمين، كما كانت تلك الأساطيل تحمل الرقيق من الشمال لبيعهم في سوق العاصمة آتل، ويذكر أن حاكم الخزر كان يُعشِّر جميع السلع المارة في بلاده بما في ذلك الرقيق[1].

كما أن البلغار والمجريين والبورتا كانوا جميعًا يدفعون الضريبة المفروضة على البضائع التي ترد إلى بلاد الخزر، مما جعل هذا البلد أكثر ازدهارًا من غيرها، مما ساعد على نمو قوتها العسكرية وما أضفته من هيبة ووقار على رجالها من محصلي الضرائب وموظفي الجمارك. وبصرف النظر عن الأقاليم الخصبة في الجنوب بكرومها وبساتينها إذ يسد ذلك ما في البلاد من نقص في مواردها الطبيعية.

ويعد غراء السمك من المحاصيل المهمة التي كانت تُصدر إلى بلدان العالم، والتي كانت في متناول يد التجار العرب، حيث غالبًا ما تُشاهد هذه البضائع والسلع في أسواق بغداد وسامراء، مما يدلل على أن بلاد الخزر لم تكن معزولة عن

---

(١) الأندلسي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٧.

العالم المتمدن؛ بل كانت بلادًا متحررة إذا ما قورنت بجيرانها، وعلى الرغم من تفاعل هذه الشعوب مع الثقافات والأديان للبلاد التي تتعامل معها فإنها ظلت تدافع عن استقلالها ضد القوتين العظيمتين للدولة الإسلامية والدولة البيزنطية، وهذا ما سنراه في الفصول القادمة سببًا للتطور المفاجئ والمثير الذي أرسى اليهودية دينًا رسميًّا للدولة[1].

ب - الحالة السياسية

إن ما توافر لدينا من معلومات عن القوة الاقتصادية للخزر يعطينا بلا شك وضوحًا بأنها السبب الرئيس في تأدية هذا الشعوب أدوارًا سياسية مهمة في بلاد الخزر وما جاورها، كما كان ذلك مؤهلًا لها للاستقلال وعدم التبعية لغيرها من الدول المجاورة، فنرى الروايات التاريخية تشير إلى حضور الدور السياسي لإمبراطورية الخزر بين القوى الأخرى الموجودة في العالم المجاور مثل الدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية، كما أن الوقائع التاريخية التي تسجل حدوث سفارات متبادلة مع الدول المجاورة خير دليل على وجود الدور السياسي لإمبراطورية الخزر عندما يخبرنا المؤرخ ثيوخيلاكت أن وقائع لهذه السفارات قد حصلت بحلول عام ٥٩٨م مع أقاليم آسيا وأوروبا[2].

(١) الأصطخري، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٣. وابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٩.
(٢) الساداتي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٢ - ٦٣.

وكان لانهيار إمبراطورية الهُون فراغًا كبيرًا في ميدان القوى الموجودة في شرق أوروبا، مما ساعد هو الآخر استغلال الخزر لهذه الفرصة التي وفرت لهم سهولة الغزو للأقاليم الغنية عبر القوقاز، مثل جورجيا وأرمينيا؛ إذ أصبحتا خلال النصف الثاني من القرن السادس الميلادي السلطة المهيمنة على المنطقة، وبين قبائل القوقاز مثل السابير والساجور والسامندر والبلان جار، لقد خضع هؤلاء جميعًا لحكم الخزر وامتُصت خيراتهم، ويُذكر أن البلغار الأقوياء قاموا بمقاومة عنيفة ضد هذه الهيمنة ولكنهم لقوا المصير نفسه؛ فهُزموا هزيمة ساحقة حوالي عام ٦٤١م[١].

وكان هناك اتحاد ضم قبائل توحدت على يد حاكم الخزر (الخاقان) استمر اتحادها أكثر من قرن من الزمان، إلا أنه تفكك دون أن يترك أثرًا يُذكر، ثم إن الخزر قد استفادوا من أفول سلطة الأتراك في منتصف القرن السابع الميلادي؛ مما ساعدهم على أن يأخذوا دور الأتراك في حكم الأقاليم الشمالية، ويؤيد هذا ما ورد أن الملك الفارسي (خسرو أنو شروان) خصص ثلاثة عروش ذهبية في قصره لضيوف أباطرة ثلاث هم: إمبراطور بيزنطة، وإمبراطور الصين، وإمبراطور الخزر[٢][٣].

(١) اليعقوبي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٩.

(2) Bernad Lewis the jews of Islam London 1984. P.61

(٣) وهناك مناظرة جرت في حقبة سبقت عصر النبي ﷺ يتحدث فيها ملك الحيرة النعمان بن المنذر عن كسرى أنو شروان، وقد أعلن الملك الفارسي بأنه =

إلاّ أن هناك مفارقةً تاريخيةً تتحدث عن زحف الخزر نحو الفرس، وإن الإمبراطور فيروز قد بنى دفاعات من الحجر لحماية بلاده من الهجمات القادمة من الشمال، كما أن الأخبار ساقت إلينا اتصال الخزر بالإمبراطور الإغريقي هرقل؛ إذ تذكر المصادر الإغريقية والأرمنية والجورجية أنه في عام ٦٢٧م كان هرقل في مدينة تفليس في إحدى حملاته ضد بلاد فارس؛ إذ استقبله الخزر بأربعين ألف رجل أُوقفوا تحت خدمته للانقضاض على الأراضي الفارسية، إلاَّ أن حلول فصل الشتاء ساعد الفرس على صد هذا التحالف العسكري الذي اضطر إلى أن يتراجع وينسحب، بل إن مصادر أخرى تقول: إن الانسحاب كان بسبب الأسلوب الإغريقي البطيء في إدارة دفة القتال، ومع ذلك فإن هرقل عاود زحفه حتى وصل إلى مسافة ثلاثة أيام من (المدائن) العاصمة الفارسية[1].

ويقول نصر شمالي إن في مناطق القوقاز وفي الرقعة الممتدة بين نهري الفولغا والدون وحتى شواطئ بحر الخزر

= يرى أن الإغريق والهنود والصينيين والترك والخزر أرقى من العرب، وأوضح أن الخزر، كانت لهم مؤسسات ومنظمات خاصة لملوكهم، ويلاحظ هنا أن الخزر قد جرى تصنيفهم مع الدول الشرقية العظمى، وتذكر الرواية أيضًا احتفاظ أنوشروان بالعروش الذهبية الثلاثة المخصصة لملوك الروم والصين والخزر. راجع الطبري، مصدر سبق ذكره، ص٩١.

(١) لانجر، وليام، موسوعة تاريخ العالم، ج ٢، أشرف على الترجمة د. محمد مصطفى زيادة، مكتب النهضة المصرية ١٩٥٢ م ص ٤٨٣.

والبحــر الأسود كانــت هناك مملكة قويــة ومنتعشة عاشت مدة طويلــة من الزمــن، وقــد أدت أدوارًا سياسية مهمــة بين القوى المحيطة في المنطقة[1].

ويذكر لنــا المسعودي في رواية مفادهــا أن الملك شيرازويه قد ســال أحد رجالــه إذا كان يروي الخدعــة الحربية الشهيرة التــي قام بهــا جده أرداشير بن بابك في حربــه مع ملك الخزر، وقــد قــام الآخر بروايتها كاملــة، مما يدلل لنــا أن الخزر كانوا موجوديــن في زمن أرداشــير، أي بالمدة المحصــورة بين ٢٢٦ – ٢٤٠ م، وإن لهــم آنــذاك كيانًا، وقد كانــوا بالفعل قوة معادلة أو منافســة للقوى الموجودة في المنطقة مثل الفارسية كما ورد آنفًا، ولــو أن المسعودي تفرد بهذه الرواية إلا أنــه لن يُستبعد أن يكون للخزر وجود في ذلك الحين.

ثــم إن الطبري قــد أورد لنا أخبــارًا تأخــرت أحداثها بما يقارب قرنين من الزمن دللت على وجود الخزر، وهي عندما بنى الإمبراطــور فيروز دفعات من الحجر قــرب (صول) (واللآن) بهدف حماية بلاده من الأمم الشمالية. و يذكر المؤلف الإغريقي برسكوس أن الإمبراطور فيروز قد أرسل في نحو ٤٦٥م رسالة إلى ملك الهون القيداريين[2] (قــون خان) يرغب مسالمته ومحالفته

(١) الشمالي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢.

(٢) القيداريــون هم قبائل الهون والهياطلة الذين يرتبــط نسبهم بالخزر. راجع دنلوبن مصدر سبق ذكره، ص ٤٤.

إلـى آخـر الرواية، وقد ربـط المؤرخون بين هـذه الرواية ورواية المسعودي، مما يدلل لنا على القناعة بوجود الخزر آنذاك[1].

أما برسكوس فإنه يذكر لنا أنه في عام ٤٦٨م التقى السرغور والفرس عند بوابة بحر الخـزر، وهذا المكان قد سبق للفرس أن أوقفوا فيه زحف القيداريين، والرواية هذه تقول بأن هذا الحدث قد كان بالمدة نفسها التي كان يعيشها الإمبراطور فيروز، كما أن اليعقوبـي المتوفى بعد عام ٢٧٨هـ - ٨٩٢م يروي لنا تغلب الخزر على جميـع بلاد أرمينيـا والسفرجـان والسيسجـان التي كانت تسمـى أرمينيا الرابعة التي فتحها ملـك الفرس (قُباز)، وبسط نفوذه على دربند وطبرستان والبلنجر ومدن كثيرة أخرى، وجلب مـن فارسـ أُناسًا أسكنهـم فيها، إلاَّ أن ذلك لم يـدم طويلًا، إذ تغلبت الخزر على فارس فأعادت كل شيء إلى أوله[2].

ومن ناحية أخرى، كان للخزر موقع إستراتيجي، في المدخل الحيـوي للبحـر الأسـود وبحر قزويـن، إذ كانـت هيمنة الخزر ونفوذهـا حاجـزًا يحمـي بيزنطة من غـارات البرابـرة الذين ينحدرون مـن السهوب الشماليـة كالبلغار والمجريـين والبشنج والفايغنـج والروس وحتى العرب -الذيـن كانت جيوشهم تطول

---

(١) المسعودي، مصدر سبق ذكره، ص.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٤.

شرقي البلاد وغربها- قد وجدوا صعوبة في اقتحام هذه المناطق الوعرة التي لو حصل لها ذلك لكان مفتاحًا لأوروبا الشرقية بأكملها[١].

وكما أنّ الخزر قد ازدادوا قوة بتحالفهم مع البيزنطيين عندما تزوج قسطنطين الخامس من أميرة خزرية سنة ١٣٧م والتي أصبح ابنها (ليو رابع) الذي اشتهر بـ (ليو الخزري) إمبراطورًا بعد أبيه[٢].

وقد أثبتت التقنيات الأثرية أن مملكة الخزر كانت محاطة بسلسلة من الحصون لحماية حدودها الشمالية المواجهة للسهوب المفتوحة وعبر السهول المنبسطة عند نهري الدونذ والدون وحتى نهر الفولغا، كما كان لجبال القوقاز أثرها في حماية المملكة من الجنوب، وكذلك البحر الأسود وبحر الخزر وبحر قزوين من الجهات الأخرى؛ إلاّ أن هذه التحصينات يتذبذب فائدتها تبعًا للظروف الداخلية السياسية وتبعًا لعلاقة المملكة مع القبائل الأخرى التي تسكن أطرافها كمناطق القوقاز وبحر آرال وجبال آرال ومدينة كييف والسهول الأوكرانية[٣].

(١) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

(٢) لانجر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٨٤.

ج – الحالة الدينية

قبل ظهور الإسلام وانتشاره في العالم على أيدي المسلمين الفاتحين أو الدعاة، كانت الديانات السائدة تتعدد وتختلف من بلد إلى آخر ومن شعب لشعب آخر، فهناك النصرانية واليهودية، وهناك الوثنية التي تتعدد اتجاهاتها من الأصنام إلى الظواهر الكونية والأنواء؛ بل تعدى ذلك إلى لعبادة الحيوانات أو الجمادات والأشخاص، وانتشر الإسلام بتوفيق من الله لدعاته وحملة ألويته وتعاليمه؛ إلاّ أن هناك أماكن تأخر وصول الإسلام إليها بسبب أو لآخر.

وقد أوردنا أن قبائل الخزر كانت تقف حائلاً دون عبور المسلمين إلى ما وراء تلك المناطق، أو بالأحرى الوصول إلى أركان تلك المملكة الخزرية وتبديد ظلماتها، وما كانت عليها من العقائد الدينية بعقيدة الإسلام؛ لتنعم به كما حدث لأرجاءٍ كبيرةٍ من المعمورة؛ ففي الأيام التي تنعم بها بلاد الأندلس وأرجاء إفريقيا وأرض فارس وما جاورها بنعمة الدين الجديد الذي جاء للعالم يحمل الحرية ووحدة المعتقد ونزاهته من المعتقدات الجاهلية، وإبدال حياة العبودية بحياة الحرية والتعايش واحترام حقوق الإنسان؛ بل السمو بها فوق ما لم يكن بحسبان البشر أنفسهم... كانت هناك معتقدات لدى

قبائل الخـزر يدينون بها شعوبًا وحكامًا، وقد أوردت إلينا بعض المصـادر التاريخية أن الخزر كانـوا قبائل وثنية يعبدون قضيب الذكر إذ يعدونه رمزًا لآلهة الخصب[1].

وكانـوا يعظمون ملوكهم ويسجدون لهـم، وأن القدسية التي يفضونها عليهـم تبقى حتى بعد وفاتهم، ويذكـر لنا ابن فضلان أن الملك عندما يموت يشيد له مبنى عظيم يحوي عشرين غرفة، وتحفـر في كل غرفة منهـا مقبرة له، وتفتت أحجـار حتى تصبح مسحوقًا ينثر على الأرض ويغطى بالقار، ويجري تحت المبنى نهر كبير تتدفق مياهه بسرعة، ويحولون ماء النهر فوق القبر ويقولون إنهـم يعملون هـذا حتى لا يستطيـع أن يصل إلـى القبر شيطان أو إنسـان أو دودة أو أي كائنـات زاحفة، وبعـد أن يتم دفن الملك تضرب أعناق من دفنوه حتى لا يُعرف قبره ويطلق عليه الجنة[2].

د – الحالة الاقتصادية

يقول المسعـودي: «وتتكاثر في بلاد الخـزر قطعان الأغنام وتنتج من العسل كمية وفيرة، ويعيش فيها العديد من اليهود»[3].

كان الموقـع الجغرافي لبلاد الخـزر يؤدي دورًا مهمًّا في قوة الحالـة الاقتصادية لسكان وشعوب المنطقـة، حيث وفرة المياه،

---

(١) الأصطخري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٠.

(٢) المسعودي، أبـو الحسـن علي بن الحسن بن الحسن بن علـي، التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٨١، ص ١٦٨.

(٣) المقدسي، مصدر سبق ذكره، ص١١٢.

وخصوبـة الأرض، واعتدال المناخ جعلـت للزراعة الحظ الأوفر للاقتصـاد الخزري إن صـح التعبير. يقـول الإدريسي في كتابه نزهـة المشتـاق في اختراق الآفـاق: «يتفرع من نهـر آسل نيف و سبعون نهرًا، ويبقى عمود النهر يجري إلى بحر الخزر، ويقال إن هذه المياه المفترقـة إذا تجمعت تزيد على مياه جيحان ونهر بلخ حيث تعمر الأشجار والكـروم أراضي الخزر بأعداد لا تحصى، كمـا أن التجار يركبون بأمتعتهـم مياه هذا النهر ويسافرون إلى جرجـان وغيرها من البلـدان الساحلية ثم يرجعـون إلى آسل، ويركبون في مراكب خفاف مستعملين النهر نفسه حتى يصعدون فيه إلى البلغار، ثم ينحدرون في أحد شعبه حتى يصلوا إلى بحر بنطـس، وهناك عدد كبير من عيون الماء التي تساعد على تربية الأشجـار والدواب حيـث الأراضـي الشاسعة التـي تسرح فيها المواشـي للتسمين. كمـا أن أهل تلك الأماكن يكـثرون من صيد السمـك الذي يُعد من أهم وجبات طعامهم، كما أنهم يدخرونه ويبيعونه إلى البلدان المجاورة[1].

ويقـول البـلاذري: «وللخزر مدينـة تسمى سمنـدر، فيما بينهـا وبين باب الأبواب، لها بساتين كثـيرة، ويقال: إنها تشتمل علـى نحو أربعة آلاف كرم إلـى حد مدينة السرير، والغالب على أثمارهـا الأعناب، ويرتفع من بلاد الخزر العسل والفراء وأنواع

---

(١) الإدريسي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣١ – ٨٣٧.

الجلود والشمع، ويُحمل إليها الخزُ والأوبار وأنواع الملابس وأنواع من الدواب التي تُحمل إليها في السفن، ويقصد بلاد الخزر خلقٌ كثير من النواحي يقيمون بها للصيد، ويأتي إليهم خلقٌ من الأتراك يقيمون في هذه البلاد ويتخذون منها مراعي لمواشيهم قرب العيون»[1].

لقد عاش شعب الخزر حياة تداخلت فيها أساليب العيش بين البداوة والحضارة، فهم قبائل محاربون رحل، وبالوقت نفسه نراهم من الفلاحين ومربي الماشية وصيادي السمك وزرَّاع العنب، وتجارًا نشيطين وحرفيين مهرة. وقد كشف علماء الآثار السوفييت عن أدلة تثبت وجود حضارة متقدمة نوعًا ما، إذ عثروا على آثار قرى تنساح أميالاً عدة، فيها منازل متصلة بأروقة تؤدي إلى سقائف فسيحة للماشية وحظائر الغنم، وأخرى للجياد، وهناك من المحاريث التي تجرها الثيران ما يدل على تقدم في الصناعة، وكما يتضح من المصنوعات الصغيرة التي وجدت مثل الأبازيم والأشابك والسروج والأواني المزخرفة، وتدل آثار بيوتهم على أن هؤلاء الشعوب يتحركون وراء العيش؛ إذ يتركون بيوتهم المبنية ليسكنوا في السهوب التي يقيمون فيها خيامهم حول حقول القمح والكروم التابعة لهم، كما أن قوة سلطانهم قد جعلتهم يفرضون الجزية على القبائل المختلفة والأقاليم الشاسعة الواقعة

---

(١) البلاذري، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨ – ١٣٥.

بين القوقاز وبحر آرال وجبال أورال ومدينة كييف والسهول الأوكرانية، وقد خضعت لسيادة الخزر شعوب البلغار والبورتا والغز والمجريين والقوت والإغريق والقبائل السقلبية، وهذا كله أعطى للحياة الاقتصادية نشاطًا كبيرًا ميزهم عن الشعوب الأخرى، وكان ملك البلغار يدفع الجزية السنوية إلى ملك الجزر بحدود خمسة آلاف (فراء سمور)، وهذا له قيمة باهظة، مما يجعل هذه الجزية أتاوة سخية يجمعها الخزر، ويمتد عندهم الريف لمسافة تزيد على ستين أو سبعين ميلًا، تكسوه حدائق ومزارع تنتشر حتى تصل إلى مدينة سرير.

ونظرًا لخصوبة أرضهم ووفرة محاصيلها فإن استغلالها بصورة مستمرة يعطي سكانها وافرًا من الغلة والمحاصيل[1]، ومع ذلك كله فإن التجارة الداخلية تُعدُ مصدرًا رئيسًا لدخل الخزانة الخزرية، وقد أشار ابن فضلان إلى حجم قوافل التجارة التي تقطع طريقها بين آسيا الوسطى وإقليم الفولغا تحمل معها السلع والمنسوجات والفواكه المجففة والعسل والشمع والتوابل، فضلًا عما يقوم به التجار الروس من نشاط في شواطئ بحر الخزر الشرقية ببيع أنواع الفراء الثمينة والرقيق والبضائع الأخرى، مما دفع حاكم الخزر إلى أن يفرض ضريبة قدرها

(١) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٥.

عشــرة بالمئة من قيمة هذه السلع المــارة في بلاده، وينطبق ذلك على التجار البلغار والمجريين والبورتا[1].

ويذكر الأصطخري قائلًا: «إن غراء السمك كان المحصول المحلي الوحيد الذي يُصدَّر من بلاد الخزر»[2]، ومن جهة أخرى تشير مصادر عديدة إلى سلع خزرية شوهدت في بغداد، وكذلك وجــود تجار خــزر في القسطنطينية والإسكندريــة بل في جهات نائيــة مثــل سامراء وعانة، ويبــدو أن للفنون والحــرف والأزياء الرفيعــة المبتكرة حظها في النشــاط الاقتصادي الخزري، حيث تذكر المصــادر أن الامبراطور قسطنطين الخامس عندما تزوج ابنة خاقان الحرير أحضرت مع مهرها ثوبًا رائعًا بلغ من إعجاب الحاشيــة البيزنطية أن اتخــذه أعضاؤها رداءً طقسيًّا، ويضيف العلامة توينبي بأن الأميرة الخزرية التي تزوجها حاكم أرمينيا المسلم قــد تضمن موكبها عشر خيام رُكبــت على عجلات، وقد صنعــت مــن أرقى أنــواع الحرير، ولهــا أبواب مكســوة بالذهب والفضــة، وأرضيتها مكسوة بفراء السمور، وكان معها من الآنية المزينة ما يدل على تقدم الصناعة والفن لدى شعوب الخزر[3].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٧.

(٢) الأصطخري، مصدر سبق ذكره، ص٢٧٥.

(٣) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠ – ٥٤.

وكانت تُحمل الفنون الخزرية نحو أقطار الشمال وبلاد فارس والبلدان المجاورة، وقد وصف العلماء الروس مكتشفات كثيرة من هذا القبيل صنعت في ورش الخزر التي اكتشفت أطلالها على مقربة من الحصن الخزري القديم.

وكان الخاقان يضع بنفسه مفتشين للإشراف على صناعة المنتجات من الذهب والفضة والحديد والنحاس. كذلك كانت الأسواق والتجارة ومواطن صيد السمك تخضع لمراقبته أيضًا وما يرد إلى البلاد من سلعٍ وبضائع مختلفة.

واستنادًا لما تقدم لدينا فإن الحالة الاقتصادية للخزر كانت متميزة عن غيرهم من الشعوب المجاورة، مما ساعدت المملكة بصورة عامة أن تفرض لنفسها موقفًا سياسيًا وعسكريًا لعدة قرون[١].

ﮬ

(١) ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة لبنان، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٩٨.

المبحث الثاني

تحول الخزر إلى الديانة اليهودية

لقد ترامت أطراف الدولة الإسلامية شرقًا وغربًا، واستظل العالم المجاور للبلاد العربية بظل الإسلام؛ إذ دخلت هذه الشعوب في دين الله تترى إلى أن أصبح نفوذ الخلافة الإسلامية يطول شمال إفريقيا وبلاد الأندلس غربًا وما بعد بلاد فارس شرقًا، وأصبح للخلافة الإسلامية من القوة والنفوذ ما يؤهلها للوصول إلى أبعد من ذلك[1]، بينما تسيطر المسيحية على أرض بيزنطة وتقف حائلًا أمام انتشار الدين الإسلامي من خلال أسلوبها الادعائي والتبشيري، نرى هناك قوة لا يستهان بها لطالما أوقفت زحف المسلمين نحو الشمال، وهذه القوة تتمثل بشعوب لم تكن لديها ديانة سماوية؛ بل كانت شعوبًا وثنية بعيدة كل البعد عن معتقدات المسلمين وأهل الكتاب، على الرغم من وجود أعدادٍ ليست بالقليلة من المسلمين

(١) توقف العرب المسلمون في فتوحاتهم الأولية عند جبال طوروس، وبقيت حدودهم على تخومها حتى القرن الحادي عشر الميلادي. وكانت جبال طوروس تفصل العالم الإسلامي عن العالم المسيحي آنذاك. وعندما جاء العثمانيون اجتازوا هذا الحاجز، إذ تم الاستيلاء على بلاد البلقان كلهِ ومحاصرتهم عام ١٥٢٩م.

وغيرهم من الديانات على أراضيها؛ ألا وهي إمبراطورية (الخزر)، أو ما سميت بمملكة الخزر، وكانت هذه المملكة تحتفظ باستقلالها، بل وتبسط نفوذها على المناطق المجاورة من خلال ممارسات أهلتها لها إمكانياتها وقوتها كفرض الضرائب والأتاوات، ولم يكن في خلد القائمين على السلطة في هذه الدولة التحالف أو الخضوع بطريقة أو بأخرى لأي من الكتلتين الإسلامية أو المسيحية، وقد حصلت هناك محاولات عدة من قبل الخلافة الإسلامية وبيزنطة على السواء لإخضاع أو تغيير معتقدات شعوب الخزر، إلا أن ذلك لم يأت بنتيجة، في الوقت الذي أصبحت فيه الديانات السماوية تحظى باحترام الشعوب وإضفاء الهيبة على معتنقيها من قادة الأمم بما لا يقارن مع الوثنية، وبما أن مملكة الخزر كانت تعتمد على قوتها العسكرية التي أهلتها أن تكون ثقلاً سياسيًّا مستقلاً؛ فقد سعى القائمون عليها أن يغيروا تلك المعتقدات الوثنية إلى ديانة تحافظ لهم على استقلالهم العقائدي كما هو الحال في استقلالهم السياسي فتحولت تلك الوثنية إلى ديانة يهودية؛ إذ أصبح ملك الخزر وحاشيته يدينون باليهودية ويتبعهم في ذلك شعوب الخزر كافة[1].

---

(١) زعرور، إبراهيم محمود، وأحمد، علي سلمان، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٩، ص ١٥١ –١٨٧.

وقد تباينت الآراء والنظريات في أسباب الانتقال السريع للخزر إلى الديانة اليهودية، وعلى الرغم من عدم وجود رأي قاطع لذلك، فإننا نستطيع القول بأن الأسباب التي دعت ملك الخزر وحاشيته إلى اعتناق اليهودية هي أسباب سياسية بحتة، وإن تعددت الطروحات بخصوص ذلك أو ربما قال آخرون إنها أسباب اقتصادية أو اجتماعية أيضًا[1].

يروي لنا المسعودي في كتابه مروج الذهب: «وفي هذه المدينة يعني (آتل عاصمة دولة الخزر على الفولغا) خلقٌ من المسلمين والنصارى واليهود والوثنيِّن، فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه، وكان قد تهوَّد ملك الخزر في خلافة هارون الرشيد، وقد أُضيف إليه خلقٌ من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم، وذلك أن ملك الروم في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة للهجرة- وهو أرمينوس (يعني رومانوس ليكابينوس) نقل من كان في ملكه من اليهود إلى دين النصرانية وأكرههم، فهاجر خلقٌ من اليهود

(١) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ٦١ — ٦٢، وهو الذي يقول: «إن الغالبية العظمى من اليهود الباقين في العالم هم من أصل أوربي شرقي، ومن ثم من أصلل خزري، وإذا كان الأمر كذلك فإن أسلاف هؤلاء اليهود لم يأتوا من وادي الأردن، وإنما من الفولغا، ولم ينحدروا من كنعان بل من القوقاز، ويصير من المعتقد أنهم يمثلون بدايات الجنس الآري، وأنهم أوثق انتماءً إلى قبائل الهون والبوجر والمجر منهم إلى ذرية إبراهيم وإسحق ويعقوب. وإذ صارت القضية على النحو الآتي ألا يصير معاداة السامية خاويًا من المعنى... المصدر نفسه، ص ١١٤ — ١١٥.

من أرض الروم إلى أرضه على ما وصفناه، وكان اليهود مع ملك الخزر في خبر ليس هذا موضع ذكره، وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا»[1].

ويرى العلامة بيوري أن أسباب تهوُّد ملك الخزر كان ببواعث سياسية؛ إذ يرى أن اعتناق الإسلام سيجعله التابع الروحي للخلافة الإسلامية، وبمثل ذلك يكون تابعًا كنسيًّا للإمبراطورية الشرقية إذا اعتنق المسيحية، وأن اليهودية في نظره ديانة لها كتبٌ مقدسة يحترمها المسلمون والمسيحيون على حد سواء، وهو بذلك يرتفع عن الوثنية من جهة ويصون مملكته من تدخل الخليفة أو الإمبراطور البيزنطي من جهة أخرى، وهكذا سمح لعامة شعبه باعتناق اليهودية مع بقائهم في عالمهم الوثني وشامانيتهم المزيفة[2].

(١) المسعودي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٣.

(٢) الشامانية ديانة تركية قديمة تقوم على السحر والشعوذة، كان الخزر يؤمنون بالشامانية في الوقت الذي اعتنقت الطبقة العليا وأركان السراي اليهودية، فضلًا عن وجود المسيحية الأرثوذكسية بين صفوفهم والتي وردت إليهم من القوقاز، وليس من بيزنطة، ومما يلفت النظر أن أيًّا من ملوك الترك لم يعتنق اليهودية سوى (ملك الخزر)، والتي وردت إليهم أيضًا من الجنوب عن طريق القوقاز، ويرى الباحثون أن اليهود قد تعرضوا بين سنتي (٧٣٠ – ٧٤٠ م) في بيزنطة والدولة العباسية إلى ملاحقات شديدة لجؤوا بسببها إلى بلاد الخزر والقوقاز، وفي هذه الأثناء بالذات تمكن اليهود الذين وفدوا إلى هذه البلاد من التأثير على كبار الخزر وأدخلوهم في اليهودية، وعلى الرغم من ذلك فإن بعض المصادر تذكر أن سبب تحول الخزر إلى اليهودية هم الحيادية بين الإسلام والمسيحية، والبعد عن النفوذين السياسيين لبيزنطة وبغداد، وعلى الرغم من ذلك فإن مصادر أخرى ذكرت اعتناق يهود الخزر للإسلام إثر هزيمتهم أمام العرب المسلمين، إلا أن تاريخ ذلك قد اختُلف =

إلا أن شبهات المؤرخين تدور حول سرعة انتقال هذه الأمة الكبيرة إلى ديانة كانت معتقداتها مجهولة لديهم في الوقت الذي يرفضون دخول الإسلام الذي يقدمه بين أيديهم دُعاته، فضلاً عمَّا يرونه من مزايا للدين الإسلامي، كما أنهم في الوقت نفسه يرفضون المسيحية التي تنادي بها الحملات التبشيرية القادمة من روما، ولا يجد المؤرخون سببًا لذلك إلا دوافع انتهازية قد توصف بأنها مناورة سياسية بارعة أدت إلى تغيير وجه السياسة القائمة آنذاك[1].

ويذكر لنا البكري الأندلسي في كتابه (الممالك والمسالك) أن سبب تحول ملك الخزر إلى اليهودية بعد أن كان وثنيًّا يتلخص في ما يأتي: كان الملك قد اعتنق المسيحية، ثم أدرك بهتانها، فناقش هذه المسألة مع أحد كبار موظفيه فأجابه قائلًا: «أيها الملك، إن من لهم كتب مقدسة ينقسمون إلى جماعات ثلاث، فأرسل في استدعائهم واطلب إليهم أن يوضحوا قضيتهم، ثم اتبع من يمتلك الحقيقة». وعلى هذا

= فيه ما بين السنوات (٧٤٠ – ٨٠٠ – ٨٦٣)، ثم عادوا إلى اليهودية مرة أخرى. وإذا أخذنا بالحسبان أن اليهودية قد انحسرت في الطبقة العليا في الخزر فإن الدولة الخزرية لا يمكننا أن نعدها دولة يهودية، وهذا في نظرنا خلافٌ للواقع؛ إذ إن الديانة اليهودية قد شملت جميع طبقات المجتمع الخزري.. راجع ذلك في:

Akdes Nimet Kurat IV – XIII yu2yillarda Karda Karadeniz Kuzeyindki Turk Kamimleri Ve Devletteri Anb 1972 (p.37).

(١) د.م دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٦.

الأساس استدعى ملك الخزر أسقفًا ويهوديًّا وأدخلهما في مناظرة، فسأل اليهودي الأسقف: «ماذا تقول في موسى بن عمران والتوراة التي نزلت عليه»؟ فأجاب الأسقف: «إن موسى رسولٌ وإن التوراة تنطق بالحقيقة»، وعند ذلك قال اليهودي للملك: «لقد اعترف فعلًا بصدق عقيدتي، فلتسأله الآن بما ذا يؤمن هو، فسأله الملك، وأجاب الأسقف: «أقول عيسى بن مريم هو الكلمة، وأنه أوحى بالأسرار باسم الرب»، وهنا قال اليهودي للملك: «إنه يبشر بمذهب لا أعرفه علي حين يقرأ أقوالي»، لكن الأسقف لم يكن قويًّا في إبراز حجته، بعدها أرسل الملك في طلب مسلم ليسأله عن الإسلام، فأرسلوا له عالمًا ذكيًّا بارعًا في المناقشات، لكن اليهودي أستأجر شخصًا دس له السم فمات وهو في طريقه إلى الملك. وهكذا نجح اليهودي في كسب ملك الخزر إلى عقيدته اليهودية[1].

من هذه الرواية نستدل على أن النفوذ اليهودي قد تغلغل في بلاط الملك الخزري، ونرى أثره واضحًا في عدم تريث الملك أو التردد في قبول اليهودية من دون أن يتحرى مبادئ هذه الديانة أو أن يحرص على سماع من يعرض له الدين الإسلامي، فيقارن بين ما دخل فيه والإسلام، وهذا إن دلَّ علي شيء فإنه

(١) الأصطخري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٨.

يدل على سذاجة الملك وعدم جديته في البحث عن الحقيقة وأماكن وجودها، وإن الرأي القائل بأن اعتناق ملك الخزر لليهودية سببٌ سياسيٌّ هو الرأي الأقرب للصواب، يعضد ذلك ما قيل عن اعتناق الخزر للإسلام حين انكسروا أمام المسلمين ثم عادوا إلى اليهودية، وإن التخلص من الشامانية البدائية (الوثنية) هو الهدف الرئيس كذلك فيه محاولته إضفاء الهيبة الروحية والشرعية على رجال الحكم كما هو الحال عند المسلمين والمسيحية[١].

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن سبب اعتناق (خاقانات) الخزر لليهودية لم تكن إلا طلبًا للحيادية وخوفًا من ذوبان سيادتهم أمام الخلافة العباسية الإسلامية والدولة المسيحية، وإن اعتناق ديانة سماوية تجعلهم أكثر احترامًا من عبادة (الذَّكَر)، وفي الوقت نفسه فإنهم سيحتفظون بكيان متميز مستقل عن الدولتين العظيمتين، وهذا مايؤيده الدكتور أحمد سوسة في كتابه (العرب واليهود في التاريخ) والذي يرجح حدوثه سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة للهجرة[٢].

ولعل ما وصل إلينا من معلومات بهذا الشأن عن الرحالة العربي أحمد بن فضلان الذي أوفده الخليفة العباسي المقتدر

---

(١) الأصطخري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٨.

(٢) سوسة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٥.

بـالله سنة ٣٠٩ هجريـة – ٩٢١م في بعثة إلى ملك البلغار والتي عُـدت بعثته هذه وما دوَّنه فيها من أخبـار أفضل ما يُعتمد عليه مؤرخـو العـالم، إذ أخبرنا أن الملـك وحاشيته وإن كانـوا يهودًا لكـن الغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثـان، وهذا القول إن دلَّ علـى شـيء فإنه يدل على أن الهدف الـذي سعى إليه الخزر في تهودِّهـم هـو هدف سياسـي بدليل أنهم احتفظـوا بعاداتهم وتقاليدهـم وثقافتهم الوثنية، ونـرى أن هناك تباينًا فيما أورده المؤرخـون حـول السنة التي انتقل بها الخـزر إلى اليهودية، لكن الـذي نرجحـه مـا أورده المسعودي بـأن ذلك حـدث بين عامي ١٧٠هـ – ١٩٣هـ، أي ما يوافـق ٧٨٦ – ٨٠٩م، وأن هذه البلاد قـد أصبحت مـأوى لليهود الفاريـن من اضطهـاد إمبراطورية الـروم لهم، إذ إن أعـدادًا كبيرة قد جاءت إلـى الخزر في عهد الإمبراطور (ريمانوس) ٩١٩ – ٩٤٤م[1].

ويقـول الدكتور حسن حدة في كتابه (الجذور اليهودية) في يهود الخزر: «لقد كان الصراع بين الدولة العربية التي مركزها بغداد والبيزنطية التي مركزها القسطنطينية داعيًا لقلق ملوك الخزر من أن يبسط أحد هاتين القوتين سيادتهما على المنطقة، ممـا حـدا بملوك الخـزر أن يفضلـوا الديانة اليهوديـة المتمثلة بالتـوراة البابلية التي انخدعت بها كثير من الشعوب، فأصبحت

(1) D.N.Dunlop "The Jewish Khazavs" N Y (Sscheckeb Books) 1967. p. 57.

نتيجة ذلك أن احتفظ الخزر بأنفسهم من أن يقعوا فريسةً لإحدى القوتين، وهذا ما يدعونا لأن نجعل أسباب ذهاب الخزر إلى اليهودية سياسية وعسكرية واجتماعية، فضلًا عن استمرار السلطة المطلقة لملك الخزر الذي كان لسقوط الدولة الأموية عاملًا مهمًّا من عوامل ظهور الخزر»[١].

أما ما وصل إلينا من معلومات بهذا الخصوص عن طريق الخزر أنفسهم وكيف كانت عملية انتقالهم من الوثنية إلى اليهودية ما نصت عليه الرسائل المتبادلة بين حسداي بن شبروط[٢] وزير الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر في الأندلس

(١) حدة، حسن (دكتور)، الجذور اليهودية (تاريخ اليهود)، العربي للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، بلا سنة طبع، ص ١٩٤.

(٢) هو أبو يوسف حسداي بن إسحق بن شبروط، من كبار يهود الأندلس، ولد سنة ٩١٠م، وتثقف ثقافة عالية في اللغة العربية وآدابها، وإلى جانب ذلك فقد كان طبيبًا ماهرًا جذب انتباه الخليفة إليه تلك الأدوية الشافية التي كان يصفها لمرضاه وهو يمارس مهنة الطب، فعينه الخليفة الناصر طبيبًا في بلاطه، ووثق به ثقة تامة إلى حد أنه طلب إليه أن ينظم شؤون الدولة المالية، ثم جعله وزيرًا للخارجية، وخبيرًا لحل المنازعات الدبلوماسية بين الخلافة الجديدة وبيزنطة وقشتالة ونافارا وأرجوان وغيرها من الممالك المسيحية في شمال إسبانيا، وكان حسداي صاحب نزعة عالمية سبق عصر النهضة بقرون، واستطاع وسط زحمة شؤون الدولة أن يجد وقتًا لترجمة بعض الكتب الطبية إلى اللغة العربية، وأن يراسل العلماء من أحبار اليهود في بغداد، وكان شخصية مستنيرة على نحو بيِّن، كما أنه كان يهوديًا متعصبًا استغل اتصالاته الدبلوماسية بجمع معلومات عن الجماعات اليهودية في العالم، وكثيرًا ما كان يتدخل لصالحهم إن أمكنه ذلك، ثم إنه كان مهتمًا بشكل خاص بموضوع اضطهاد اليهود في الإمبراطورية البيزنطية على عهد الإمبراطور (ريمانوسي)، ويذكر أنه كان ذا نفوذ كبير في البلاط البيزنطي الذي كان مهتمًا =

فقد كتب حسداي إلى ملك الخزر عندما علم من بعض القوافل التجارية الواردة من نواحي خراسان بأن هناك مملكة يهودية مستقلة، لكنه لم يصدق هذا الخبر، حتى راح يسأل أعضاء بعثة دبلوماسية بيزنطية وردوا إلى قرطبة، فأكدوا له صحة ذلك وقدموا له قدرًا كبيرًا من التفاصيل عن المملكة الخزرية بما في ذلك اسم ملكها (يوسف)، وعلى هذا الأساس قرر أن يبعث رسُلًا يحملون خطابًا منه إلى الملك (يوسف)، يحتوي هذا الخطاب جملة من الأسئلة عن دولة الخزر، وشعبها ونظام حكمها، وعن جيشها، وإلى أي سبطٍ من الأسباط الاثني عشر ينتمي الملك وشعبه، وقد ظن حسداي أن هؤلاء اليهود هم أصلًا من فلسطين، وإن شأنهم شأن اليهود الإسبان، بل ربما يمثلون إحدى قبائل بني إسرائيل الضائعة.

إلا أن جواب الملك يوسف لم يكن جوابًا شافيًا للوزير حسداي بسبب عدم استعداد الملك يوسف لمثل هذه الأسئلة، بل إنه لم يكن يتوقع أن يقف في موقف إحراج يوجب عليه أجوبةً مقنعةً لاسيما عندما علم مكانة الوزير حسداي واهتماماته بهذا،

= كثيرًا بجعل قرطبة موقفًا محايدًا في أثناء الحملة البيزنطية ضد المسلمين في الشرق. راجع: مؤنس، حسين (دكتور) معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٣٢١.

إذ كان عليه أن يُعِد أجوبة مقنعة تصبح قواعد يستند عليها أبناء وأجيال الخزر لتمرير هذا الانقلاب العقائدي السريع[١].

إن الرواية التي يقدمها الملك يوسف في رسالته إلى حسداي تخبر أن الملك قد رأى فيما يراه النائم مرات عديدة أن ملكًا كان يخبره بقبول الخالق لنواياه، إلا أن أعماله التي كان يمارسها مع شعبه الوثني من أعمال تعبدية وتقديم للأضاحي مرفوضة، ثم يؤكد له أن هذا الملاك قد ظهر له ليلًا وهو منشغل بتعبده وأكد له قائلًا: «نواياك مقبولة، ولكن أعمالك مرفوضة» مما حدا به أن يبحث عن الإيمان الصحيح والديانة الحقة، وهكذا أصبح يهوديًّا ومعه جميع الخزر.

ثم أفاد بأنه عرض على أحد مستشاريه ما كان يراه في منامه أو ما سمعه من الملاك عندما قابله ليلًا، فأجابه بأنه سيسأل له أصحاب الديانات الثلاث لعله يجد ضالته عند أحدهم، وهكذا حدثت المناورة التي وردت قبل قليل في هذا الفصل[٢].

---

(١) المصدر نفسه ودنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٩، وكيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩.

(٢) دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٩، وعبد المجيد محمد بحر (دكتور) اليهود في الأندلس، ص ٧٤ – ٧٦ نقلًا عن كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ٨١، ولنا أن نذكر هنا بعض الروايات التي تعضد ما ورد من عدم استيعاب الخزر للديانة اليهودية، وأن اعتناقهم لها جاء ليس عن طريق الاعتقاد أو الاقتناع بسماوية هذا الدين؛ فيروى عن الرحالة اليهودي الألماني الحاخام بتاكيا (pe Tachia) الذي زار شرق أوروبا وغرب آسيا بين سنتي (١١٧٠ – ١١٨٥ م)، وذكر في وصفه لأسفاره في كتابه حول العالم كيف صُدم حين شاهد يهود الخزر يمارسون طقوسًا بدائية عزاها إلى =

وهناك رواية أخرى عن إجابة الملك يوسف للوزير حسداي، وهذه الرواية ترينا أن ملك الخزر يجيب بأسلوب يَبْعُدُ كل البعد عما ابتغاه الوزير من خلال أسئلته، فهو يستطرد في مدح جده ويصفه بالعظمة والحكمة، وأنه هو الذي كان سببًا في اعتناقه لليهودية، إذ قام بطرد السحرة والأوثان من بلاده، وعلى أثر ذلك فإن الرب طلب من الملك يوسف أن يعبد الإله الصحيح الوحيد، وإنه سوف يبارك ذريته ويلقي بأعدائه بين يديه ويبقيه على مملكته حتى نهاية العالم.

وهكذا فإن ما قدمه الملك في رسالته إلى الوزير حسداي لم يكن إلا وقائع من نسج الخيال لا يملك غيرها، ومما يدعم هذا الكلام بأنها حقائق من نسج الخيال أن الملك يوسف بعد هذه الرسالة قد أرسل إلى عالمٍ من علماء اليهود وصار يوجه له أسئلة عن مكنونات الديانة اليهودية بما في ذلك أسئلة عن اسم الرب وكينونته وعن طبائع الديانة اليهودية وأسرارها، ويذكر أن العالم كان اسمه (إسحق سنجري)، وهو يهودي بيزنطي غادر

= تأثرها بهرطقة القرائين، ولما سألهم الحاخام عن سبب ذلك فأجابوا أن آباءنا لم يعلمونا أمور ديننا، مما يدلل أن ذلك نتج عن عدم اهتمام الآباء بما اعتنقوه من ديانة، وإنما كان لأسباب سياسية، ويضيف الحاخام بأنه فعلًا قد وجد من عادات وتقاليد القرائين ما تأصل في المجتمعات اليهودية، وذكر أنه حين زار بغداد شاهد مبعوثين من مملكة الخزر يبحثون عن طلاب يهود فقراء يذهبوا معهم ليعلموا أطفالهم التوراة و التلمود.

الأراضي البيزنطية وذهب إلى الخزر، وكان له الأثر الكبير في عملية تهويد الخزر حسبما جاءت به المصادر اليهودية[1]، ولنا أن نذكر هنا ما كتبه (بنيامين فريدمان) في كتابه يهود اليوم ليس يهودًا إذ يقول: «قد تكون الظروف التي اعتنق في ظلها الخزر اليهودية زخرفت بخرافة، لكن الحقيقة ذاتها قد أثبتت على نحو واضح من جميع الأطراف لتحول من دون شك أي حول واقعها وصحتها... فاليهود العقلاء الذين أَغووا نظموا حياة مستقرة، وكرروا كلماتهم السابقة؛ أنشؤوا مدارس ومعابد يهودية لتدريس الوصايا في الكتاب المقدس والتلمود، وأحدثوا طرازًا من الخدمة الدينية على غرار المنظمات القديمة؛ ووفقها للقانون الأساسي للدولة فإن لليهود وحدهم اعتلاء عرش مملكة الخزر، وظل يهود الدول الأخرى لبعض الوقت لا يعرفون تحول هذه المملكة الكبرى إلى اليهودية، وأخيرًا انتشرت إشاعة غامضة عن هذا الواقع وامتدت إلى أسماع يهود العالم، واعتقد هؤلاء أن خزاريا؛ أي (مملكة اليهود) كانت آهلة ببقية القبائل العشر السالفة»[2].

ويضيف فريدمان معلقًا: «من المستحسن عند هذه النقطة من دراستنا أن نفسر للقراء الذين قد يكونون غير محيطين كليًّا

---

(١) المسعودي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥١..

(٢) فريدمان، بنيامين، يهود اليوم ليسوا يهودًا، إعداد زهدي الفاتح، دار النفائس للطباعة والنشر، والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٧ – ١٩.

بهـذا الموضوع أن نوضح لهـم مصطلح (من يزعمـون أنفسهم يهـودًا) الـذي استعمل تكـرارًا في هـذه الدراسـة، وأن دراسته ستكـون مركز نشاط وفعالية لكل الحقائق الشاهدة على أسلوب (الكذبـة الكـبرى) للخداع المـروع الذي لم يشهـده التاريخ من قبل»[1].

«إن مصطلـح (من يزعمون أنهم يهـود) يعترف به علماء اللاهوت والتاريخ على اعتبار أنه المصطلح الوحيد الذي يوصف بـه هـؤلاء الذيـن (يزعمون أنهـم يهـود)؛ ففي القـرن الثامن الميـلادي سطـا المنحـدرون مـن سلالة الخـزر علـى مصطلح (يهـودي JEW)، وفرضوا أنفسهم بالحيلـة والخداع، وفي حالة اللاوعي على مسيحيي العالم على أساس أنه عشيرة يسوع»[2].

ونـرى الفريد ليلنتيـال في كتابـه (ثمن إسرائيـل) يقول: «كانت الموجـة التي اعتنقت اليهودية أكـبر الموجات في التاريخ، والتـي تمثلت (بمملكة الخزر)، ولا تزال هـذه القصة عالقة في أذهـان يهود العالم، فقد قامت هـذه المملكة في القسم الجنوبي من روسيا بين نهري الفولغا والدون، وامتدت حتى شواطئ البحر الأسـود وبحر قزوين، وعرفت بالمملكـة الخزرية، وكان يحكمها ولاة حملـوا لقب (خاقان)، وقد أدت هذه المملكـة دورًا سياسيًّا

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠ – ٤٥.

في أوروبا الشرقية من القرن الرابع حتى الثامن الميلادي، وكان لها جيش قوي مدرب، وكانت ملجًا لليهود الفارين من حاكم بيزنطة (ليو الثالث)، وفي عام ٧٤٠م اعتنق بولان حاكم المملكة الديانة اليهودية، وتبعه أشراف دولته، ومن ثم شعبه، وقد شيدت عشرات المعابد وأنشئت المدارس لتعليم التوراة والتلمود، كما أصبح لا يحق لغير اليهودي أن يعتلي عرش الحكم، وفي عام ٩٦٩م تعرضت الدولة لغزو من قبل بيزنطة وروسيا، فاقتحمتا عاصمتها (أتيلا)، واقتسمتا أجزاءها بينهما، وتشتت أبناء الخزر في أنحاء أوروبا الشرقية والقوقاز»[١].

ﮧﮨ

(١) ليلينتال، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.



تصوير
احمد ياسين
@Ahmedyassn90

المبحث الثالث

علاقة يهود الخزر بدول الجوار

أولًا العلاقات العربية الخزرية

لقد كان للموقع الجغرافي الذي تشغله بلاد الخزر أثر بالغ في توطيد أركان هذه الدولة وإعطائها القدرة على بناء كيان مستقل سياسيًّا واقتصاديًّا؛ بل تعدى الأمر إلى أن أصبحت مملكة الخزر قوة طالما وقفت في طريق الفتوحات الإسلامية، فقد توغل العرب والمسلمون بجيوشهم في الأطراف الجنوبية المجاورة للقوقاز خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، وكان لهم أن يصلوا إلى البلاد الواقعة في شمال المنطقة الجبلية لتلك الأقاليم، إلا أن نفوذ الخزر التي كانت تهيمن على تلك المناطق الواقعة شمال باب الأبواب (دربند) حال دون ذلك.

وقد نجح المسلمون في بعض الأحيان من توطيد أقدامهم في شمال تلك الجبال على الرغم من وعورتها؛ لكنهم لم يصلوا إلى حلٍّ نهائي للصراع مع الخزر؛ للأسباب التي أوردناها آنفًا من استقلال قوة الخزر وإمكانياتهم المادية والبشرية.

وكان أول القادة العرب المسلمين الذين وصلوا إلى مدينة باب الأبواب هو بكير بن عبدالله الذي أرسل سنة ٢١هـ - ٦٤١م) إلى أذربيجان، ثم تبعه سُراقة بن عمرو وعبدالرحمن بن ربيعة الباهلي[1]، وكان ذلك في عهد الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إذ تحقق للمسلمين نجاحات كبيرة في تلك المناطق، إذ أقر الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بولاية عبدالرحمن بن ربيعة للمناطق المفتوحة وأمره بمتابعة الزحف شمالاً ضد الخزر، ويروي لنا الطبري أن المسلمين آنذاك توغلوا في تلك الأقاليم حتى وصلوا البيضاء التي كانت عاصمة للخزر، وهي نفسها (آتل)؛ إلا أن هذه الرواية يشك بها بعض المؤرخين، ودارت معارك ضارية بين الأطراف، وأبدى فيها المسلمون عجائب في القتال، دعت الخزر أن يفضوا عن قناعة بأن المسلمين لن يموتوا إذ لم يكونوا مخلوقات خارقة للطبيعة، واستمرت الحروب بين الخزر والمسلمين حتى وقعت معركة بلنجر العظمى التي استشهد فيها عبدالرحمن بن ربيعة وعُين مكانه الوليد بن عقبة، وقد قام الوليد بحملة داخل أذريجان وأرمينيا، واستدعى معه سلمان بن ربيعة، وكان معهم نحو أربعين ألف مقاتل، لم يستمر زحفهم على ما كان عليه بسبب تعرضهم لهجمات كبيرة من قبل الخزر أثر تجمعات ونجدات حصلوا عليها، مما اضطر

(١) الطبري، مصدر سبق ذكره، الجزء الأول، ص ٢٦٤.

سلمان بن ربيعة إلى سحب جيوشه والنجاة بهم، وبهذا توقفت الفتوحات الإسلامية بهذا الاتجاه.

ويروي لنا الطبري أيضًا بأن مسلمة بن عبدالملك قام بالاستيلاء على عدد من القلاع والبلدان في أذربيجان، وشق طريقه حتى وصل مدينة باب الأبواب التي كانت تحت نفوذ الخزر، وهذا حدث سنة ٩٩ هـ- ٧١٧ م[1].

وفي سنة ٧١٧ م أيام الخليفة عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام الخزر بهجوم على المسلمين الذين كانوا يسيطرون على إقليم أذربيجان، إذ قُتل عدد كبير من المسلمين، اضطر الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى إرسال حاتم بن النعمان لنجدة المسلمين فهزمهم وأسر منهم العدد الكبير. وفي عام ١٠٣هـ - ٧٢١م قام الخزر في الهجوم على إقليم اللان، فقابلهم المسلمون بقيادة ثبيب النهراني في مرج الحجارة في أرمينيا، إذ دار بينهم قتالٌ عنيفٌ كان الخزر في ثلاثين ألفًا من الجند استطاعوا أن يوقعوا الخسائر بالمسلمين الذين انسحبوا إلى بلاد الشام، مما اضطر الخليفة يزيد بن عبدالملك إلى تعيين الجراح بن عبدالله الحكمي واليًا على أرمينيا، وأمره أن يحارب العدو من داخل أرضه، وكان ذلك سنة ١٠٤هـ - ٧٢٢م، وقد

---

(١) المدور، مروان، الأرمن عبر التاريخ، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٩٧ - ٢٠٤.

زحف الجراح على رأس جيش قوي وأخذ يفتح البلاد حتى وصل إلـى بلنجـر وحاصرها واستولـى عليها بعد قتـال عنيف، وغنم المسلمون غنائم لم يسبق لهـا مثيل من الأموال وغيرها. وزحف الجـراح إلى حصن مدينـة ويندر إذ استسلـم أهلها دون قتال، وبعـد وفاة يزيد قام خليفتـه هشام بإقرار الجـراح في منصبه وبعث يعده بإرسال مساعدات لتقوية موقعه هناك، وبعد حملات ضد الخزر انتصر فيهـا الجراحتثم استدعاؤه من قبل الخليفة وإسنـاد ولاية أرمينيـا وأذربيجان لأخيه مسلمـة بن عبد الملك، فقام مسلمة بإنابة الحارث بن عمرو ليقود الجيوش ضد الخزر، وفعلاً قام عام ١٠٧هـ باحتلال بعض أراضيهم، إلا أنهم في عام ١٠٨هـ قاموا بحملة معاكسة[١] بقيادة ابن الخاقان هُزم الخزر وفقدوا خسائر كبيرة، وقُتل منهم ما لا يُحصى[٢].

وفي سنـة ١١١هـ عاد الجراح إلـى ولايته ثانية فزحف نحو عاصمة الخزر، وقام باحتلالهـا، إلا أن عام ١١٢هـ-٧٣٠م كان عام نكبة علـى المسلمين، إذ قام الخـزر بالهجوم على المسلمين بجيش تعداده أكثر من ثلاث مئة ألف رجل، دارت بين الطرفين معـارك دامية استشهد فيها خلـقٌ كثير من المسلمين ومن بينهم الجـراح نفسه، وكانت تلك نكبة أثرت في نفوس المسلمين ودفعت

(١) المسعودي، مصدر سبق ذكره، ج ٢ ص ٤٢، وكيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥ – ٩٠.
(٢) ابن أعثم، مصدر سبق ذكره، ص٢٤٧ – ٢٧٩.

بالخــزر للاستيلاء على أذربيجان وديــار بكر وأطراف الموصل، عندهــا اضطر الخليفة إلــى إرسال سعيد ابــن عمرو الحرشي الذي قــام برد الخزر والزحـف نحو ديارهم ودمَّــر حصونهم، وتكــررت انتصارات المسلمين علــى الخزر في مواقع عديدة، قُتل فيهــا من الخزر ما يزيـد على عشرة آلاف، وهــرب الباقون[1]، وهكذا استمر المسلمون بزحفهم باتجاه أقاليم الخزر حتى وصلوا إلــى سمندر، وعند ذلك علم المسلمون بأن أعدادًا لا تحصى من الخزر تجمعـت لغزوهم، فآثــروا الانسحــاب ليتحصنوا بالمدن الإسلامية، وكان على رأس جيش الخزر الخاقان نفسه، إذ جُرح في المعركة وهرب بجيشه، وحُسم الموقف للمسلمين[2].

وكان حســم الموقـف لصالــح المسلمــين عامــلًا مشجعًــا للتخطيــط في السيطرة على الأقاليم المتاخمــة لمناطق استقرار الجيوشـ الإسلامية؛ ممــا دفع مسلمة بن عبدالملـك إلى إعادة تنظيــم قواتــه بشكل كامـل، وأوجد أحيــاءً خاصــةً للدمشقيين والكوفيــين والجزريــين والحمصــين، وبنــى مخــازن للأغذيــة والأسلحــة، وعين لها واليًا، ووضع لهــا تحصينات وأبواب حديد تحسبًــا لحــرب مقبلــة مع الخــزر، بعدها قــام مسلمــة بتسليم الأمــور إلى مــروان بن محمد وعاد إلى الشــام. وفي عام ١١٤هـ قام مروان بن محمــد بحشد جيش من أربعين ألف رجل وزحف

(١) ابن الأثير، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨، واليعقوبي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٦.
(٢) البلاذري، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨ – ١٣٢.

مجتازًا بلنجر ومتوغلًا في بلاد الخزر مسيطرًا على مدن عديدة بعد أن قتل وأسر الكثير وغنِم أموالًا لا تُحصى.

بعدها عُين مروان واليًا على أرمينا، وبعد عامين من ولايته واستقراره قام بإعداد جيش يتألف من مئة وخمسين ألف رجل، وبخطة مُحكمة زحف على رأسه عبر ممرات دريل، وبالوقت ذاته زحف جيش آخر تحت لواء أبي يزيد أُسيد بن ظافر السُّلمي، والتقى الجيشان في سمندر، وجرى عرضٌ عظيم للقوات الزاحفة لاسيما بعد الانتصارات التي أحرزتها في هذه المناطق، مما اضطر خاقان الخزر إلى الهروب والانسحاب نحو الجبال، ووصل مروان إلى مشارف العاصمة، لكنه لم يدخلها، وانحرف نحو الشمال على طول الضفة اليمنى لنهر الفولغا التي تسكنها قبائل بلرطاس والبلغار؛ إذ سيطر المسلمون على هذه الأقاليم وأسروا عشرين ألف أسرة[1]، وبعدها قاموا بإجلاء القبائل الأسيرة نحو الجنوب، واستمر المسلمون بملاحقة جيوش الخزر تحت قيادة (هزار طورخان) حتى عبروا نهر الفولغا[2]، فاستعملها المسلمون للعبور؛ مستعملين الخطط والفنون العسكرية في التمويه والاستدلال على إمكانيات العدو

(١) ابن أعثم، العلامة أبو محمد أحمد الكوفي، الفتوح، مجلد (٧ – ٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا سنة طبع، ص ٢٣٧.

(٢) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٧.

ومعسكراتـه، ممـا دفع بخاقـان الخـزر إلى طلـب الصلح من المسلمـين، فعرض عليـه مروان خياريـن واضحـين الإسلام أو السيـف، فاختـار الخاقان الإسلام وطلـب في رسالة إلى مروان أن يبعـث مـن يعلمـه الإسـلام، فأرسـل إليـه نـوح بـن الثائب وعبدالرحمن الخولاني، عندها أعلن الخاقان إسلامه[1]، إلا أن عـودة مروان إلى دمشق بعد ظهور الخلاف السري بين الأمويين والعباسيـين ودخول الجيش الإسلامي بحـروب دامية في شمال جبـال البارانس وفيما وراء جبال القوقـاز وخسارة المسلمين في معركـة بلاط الشهداء أعطت هـذه الأحداث للخزر الفرصة في استعـادة قواهم وترتيب أوضاعهـم العسكرية، لتقف الحملات الإسلامية الكبرى على الدُون والدنيبر وجميع مدن شرق أوروبا، ولعلـه مـن الممكن قوله إن إسـلام الخزر لم يكن وقـت ذاك إلا للضائقة السياسية والعسكرية التي أوقعوا بها أمام المسلمين[2].

وعندما تمكن العباسيـون سنة ١٣٤هـ- ٧٥١م من توطيد أقدامهم في إقليم الهنـد النائي وأُلحقت الهزيمة بممثل الحكم السابق منصور بن جمهور فهرب خليفة منصور إلى بلاد الخزر، وهـذا يدلنا على أن دولة الخزر كانـت مستقلة بتلك الآونة، وفي

(١) البلعمي نقلًا عن دنلوب مصدر سبق ذكره ص ١٢٤ – ١٣٠.

(٢) المصـدر نفسـه، ص ٥٤١، وابن فضـلان، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٧ والبلاذري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٩، وابن الأثير، السنة ١١٤، نقلًا عن دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٤ – ١٢٥.

سنة ١٤١هـ - ٧٥١م تولى يزيد بن أُسيد السلمي آرمبنيا أيام المنصور العباسي، وقد شجع المنصور يزيد بمصاهرة ملك الخزر، وفعلًا تزوج يزيد من أميرة خزرية، إلا أنها توفيت في أثناء ولادتها، وأثارت هذه الحادثة شكوكًا لدى الخزر بأنها قتلت، فزحفوا نحو أراضي الخلافة العباسية، وانسحب يزيد تجنبًا للصدام، إلا أن الخليفة المنصور بعث قوة قوامها عشرون ألفًا من أهل الشام وأهل الجزيرة، إلا أنها لم تُجْد نفعًا، فعزز الخليفة الموقف بقوة أخرى استطاعت إيقاف الزحف الخزري، أما في زمن الخليفة هارون الرشيد والخلفاء الذين جاؤوا قبله فإن الهدوء كان يسود العلاقات الخزرية الإسلامية، وأن ثمة محاولات لتطبيع العلاقات بين الطرفين قد قامت من دون جدوى، وقد شهدت خلافة هارون الرشيد اضطرابات في أرمينيا عند ثورة الأرض إثر وفاة المهدي وتمردهم على حكم الهادي، إلا أن الخزر قد لزموا الهدوء ولم يصدر منهم حيال خلافة العباسية أي تمرد أو اضطراب[1].

ثانيًا: العلاقات الخزرية البيزنطية

لقد مرَّ بنا الحديث عن لجوء أعداد كبيرة من يهود بيزنطة إلى يهود الخزر، وكان السبب من هجرة هؤلاء ما يعانونه من

(١) ابن أعثم، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٥ – ٣٨٥.

ضغط عقائدي يتمثل في إجبارهم على اعتناق المسيحية، وتذكر لنا المصادر بأن أعدادًا كبيرة قد تعرضت لمثل هذه الممارسات من ملك الروم، ويذكر لنا المسعودي قوله: «وحقيقة الأمر أن ملك الروم الحالي ٣٣٢هـ - ٩٤٣م أجبر اليهود في مملكته على اعتناق المسيحية، ومن ثمَّ فرَّ كثير من اليهود من بلاد الروم إلى بلاد الخزر»، وتشير هذه العبارة التي تذكر أحداثًا بعد مئتي سنة من تحول الخزر إلى اليهودية بأن بلاد الخزر كانت ملاذًا للفارين من اضطهاد روما لهم، وأن أعدادًا كبيرة من اليهود كانت تلجأ إلى الخزر قبل سنين من هذا التاريخ، أي قبل انتقالهم إلى الديانة اليهودية، فكان لهؤلاء اللاجئين أثر كبير في موطنهم الجديد، لاسيما وهم يحملون ثقافات وفنونًا أرفع من ثقافات الشعوب المضيفة لهم، فكان لا بد لأثرهم أن يظهر بين طبقات المجتمع الخزري، إذ جلبوا معهم أنواعًا من الفنون والحرف البيزنطية والطرق المتقدمة في الزراعة، ويذكر لنا ابن النديم في كتابه الفهرست[1] أنهم جلبوا معهم الأحرف العبرية المتقنة، ويبدو أن الكتابة العبرية انتشرت من بلاد الخزر إلى البلاد المجاورة، وقد تحدث المؤرخون عن صلات بين الخزر والبيزنطيين في حوالي ٦٩٥م أيام جستنيان الثاني بن قسطنطين الرابع الذي تم خلعه ونفيه إلى بلاد القرن، فاستطاع

---

(١) ابن النديم مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩.

هنـاك أن يقابل خاقان الخزر وتـزوج أخته، وبدأ يُعلن نواياه في استرداد عرشه في بيزنطة، ممـا دفع الإمبراطور البيزنطي أن يبعـث برسائل متواليـة إلى خاقان الخزر يعرض فيها مكافآت سخية مقابل جستنيان حيًّا أو ميتًا، واستجاب خاقان الخزر إلى ذلك، إلا أن جستنيان شعر بالمؤامرة ففر ولجأ إلى ملك البلغار، ثـم استطاع أن يعيد عرشه في رومـا، ويستدعي زوجته الخزرية وولده إلى بيزنطة.

ثـم قام سنة ٧١٠م بتجهيز أسطـول كبير حمل على ظهره مئـة ألف مقاتـل، وأمر بـه أن يتجه إلى منفاه الـذي احتفظ له بمشاعر العدائيـة نتيجة المعاملة التي لقيهـا هناك، ولاسترداد أراض انتقلـت إلى أيدي الخزر، وعلى الرغـم من انتصاراتهم التـي حققوهـا من خلال هذا الغـزو إلا أن غرق عـدد كبير من الأسطول المحمل بالجند والأسرى الذين عادوا إلى بيزنطة، قد قلب النصر إلى هزيمة، ثم حدثت محاولات صلح بين الطرفين، إلا أنها باءت بالفشل.

واستمـرت الغـارات مـن الروم على هـذه البلـدان، إلا أن الخزر كانوا ثقـلًا عسكريًّا كبيرًا أمام الروم، و تتوالى الأحداث في بيزنطـة ليتولى عرش الإمبراطورية ليـو الأيزوري الذي زوَّج ابنــه قسطنطين أمـيرة خزرية، وحكم قسطنطـين سنة ٧٤٠م، ثم جـاء بعد ولده (ليـو الرابع) الذي لُقب بالخـزري، إذ كانت

أمه مـن الخزر، وقد تزوج هو أيضًا بأمـيرة خزرية وعقد حلف مصاهـرة مع خاقان الخزر، تحسنت العلاقات إلى درجة كبيرة بـين الدولتين إلى حد أن خاقان الخـزر طلب من بيزنطة تقديم العـون لبناء حصن علـى الدون، وقام الإمبراطـور وقتها بتلبية طلبه وأرسل بعثة قامت ببناء الحصن، وتشير مصادر أخرى أنه في سنة ٨٣٣م قام رسول خزري بزيارة القسطنطينية يناشدون البيزنطيـين لبناء ساركيـل، وهو حصنٌ يحمـي عاصمتهم من الشمـال، كما وصـل في أواخر القرن نفسه رسـول من الخاقان إلـى الإمبراطـور ميخائيل الثالـث يتساءل عن إمكانيـة إرسال رجل يشرح له المسيحيـة، فأرسل له رجلًا يدعي قسطنطين، إذ أقام قسطنطين مدة من الزمـن لقي خلالها الخاقان وعاد إلى القسطنطينيـة، ونحن هنا نقول ربمـا كان استدعاء قسطنطين لأجـل المناظرة مع اليهودي والمسلم التـي أُشير إليها سابقًا عند تحـول الخزر إلـى اليهودية، لاسيما وأن المـدة التي حدثت فيها المناظرة كانت قريبة من أيام تحول الخزر إلى اليهودية[1].

ثالثًا: العلاقات الخزرية الروسية

لم تكـن هناك علاقات قائمة بين الشعب الخزري والشعب الروسي؛ ذلك لأن الفواصل الطبيعية والجغرافية قد تكون سببًا

(١) غريمـال، بيـار، وآخـرون، موسوعة تاريخ أوروبـا العام، ترجمة أنطـون أ. الهاشم، منشورات عويدات، لبنان، بيروت، ١٩٩٥، ص ٣٦٠ – ٣٧٠.

في ذلك، إذ لم تكن بين هذين الشعبين قواسم مشتركة أو امتداد عرقي يجمع بينهما، وقد مرَّ بنا الحديث عن طلب ملك الخزر من بيزنطة مساعدته في بناء حصون لبلاده من ناحية الشمال ليحتمي بها من هجمات الروس.

ومن هذا نستنتج أن بلاد الخزر كانت تتعرض لهجمات من قبل الروس مما دفعهم إلى بناء ما يحمون به أوطانهم، وقد وردت فقرة من رسالة ملك الخزر إلى الوزير حسداي يقول فيها: «بفضل معونة المولى جلَّ شأنه فإني أتولى حراسة مصب النهر (الفولغا)، ولا أسمح بالمرور للروس الذين يفدون في سفنهم لغزو أرض العرب...، وإني أقاتلهم -أي الروس- في حروب عنيفة؛ ذلك لأني إذا تركت لهم الحبل على الغارب فسوف يدمرون أرض إسماعيل -يقصد العرب- حتى بغداد نفسها»[1].

من هذه العبارة تبدو الخصومة واضحة ومتأصلة بين الخزر والروس، ويروي لنا توينبي قوله: «في القرن التاسع، وهو القرن الذي اعتدى فيه الروس على الخزر وعلى الروم الشرقيين، كان الإسكندنافيون يغيرون ويفتحون و يستعمرون جزءًا من الأرض شكَّل قوسًا هائلًا امتد في نهاية الأمر نحو

---

(١) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ٧٨.

الجنـوب الغربي إلـى أمريكا الجنوبية، ونحـو الجنوب الشرقي إلى بحر قزويـن»[1]. ويبدو أن الشعوب التي تسكن شمال الخزر كانـت خليطًا من الفايكنغ الشرقيـين والفايكنغ الغربيين الذين أطلـق الروم علـى قسم منهم بالروس، وهؤلاء كانـوا يتغلغلون في المسالـك المائية الرئيسة لأوروبا، ويغـيرون على مدن الموانئ للنهب والسلـب منحدرين في نهر الدينبر وعـبر البحر الأسود، واختلفت التسميات بين ما أطلقه العرب على هؤلاء (الفرنجة) وما أطلقه الـروم بأنهم الروس، ويبـدو أن الروس كانوا مزيجًا فريـدًا حتى بـين أشقائهم من الشعوب فقـد جمعوا بين صفات القراصنة واللصوص وسمات التجار المخادعين الذين يتاجرون بشـروط يفرضونها بالسيـف، ولطالمـا كان الصقالبة وغيرهم ضحايـا لهـؤلاء، وهكذا كانـت قوافل الروس المبحـرة جنوبًا في فصل الصيف بمثابة أساطيـل تجارية وحربية في الوقت نفسه؛ إذ تقـوم بالعمليتين معًا، ويحدثنا المسعـودي عن قوة تألفت من خمس مئة سفينة، تحمـل كل واحدة مئة شخص قد دخلت بحر قزوين من الفولغا سنة ٩١٢م[2].

وكان لهـذه الممارسات من الروسـ دافعًا قويًّا لقيام الخزر بمحاولات تفادي هؤلاء ببنـاء الحصون وتبادل السفارات، فقد

---

(١) توينبي، مصدر سبق ذكرهن ص ٣٦.

(٢) المسعودي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٧

كانت العلاقات بين الطرفين تتحسن ببطء شديد، وقد اجتهد الخزر بطرائق عديدة لبناء العلاقات مع الروس في أروقة التجارة والقنوات السياسية، كما أن الخزر استطاعوا أن يؤثروا في ثقافات الروس تأثيرًا كبيرًا من خلال الاحتكاك الثقافي المتبادل، وأن تتحول سذاجة الروس إلى ثقافات اجتماعية أفضل بكثير مما كانوا عليه، وقد ظهرت تلك الأمور من خلال العادات والتقاليد المكتسبة لدى الروس حتى شملت الألقاب والأسماء لحكامهم وملوكهم، فأصبحوا يلقبون حكامهم (خاقان الروس) [1]، ويذكر ابن فضلان أنه كان للروس مراكز للتجارة في آتل عاصمة الخزر، وكانت هناك جالية من اليهود الخزر في كييف[2].

ومما يؤيد لنا أن الشعب الروسي قد تأثر بالثقافة الخزرية ما يكتبه المؤرخون الروس أنفسهم بأن مدينة كييف القديمة تدين بالكثير للشعوب الخزرية، وهذا ما كان قد كتبه المؤرخ الروسي أرتامونوف في أحد كتبه سنة ١٩٣٧م، وهذا الكتاب كان قد نشرت فيه مقالات عدة من هذا القبيل؛ ومن خلال حديثه عن تاريخ الخزر القديم[3]، كما أن العلاقات الروسية

---

(١) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ٩٢.
(٢) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٨.
(٣) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ١١٥ – ١١٨.

الخزرية بدأت بالتطور والاندماج بأسلوب يختلف عن الماضي الذي كان الهدف منه هو معاهدات الصلح وتجنب الحروب بين الطرفين[1].

لذا فإننا نجد أن تطورًا قد حدث إلى حدٍّ ما في فرض الهيمنة على المناطق المحيطة للدولتين؛ فبعد أن كان الخزر وحدهم يفرضون الرسوم والأتاوات والضرائب على تجار الأقاليم المجاورة، نرى أن ذلك قد أصبح يتقاسمه الطرفان، لاسيما الأتاوات المفروضة على الشعوب السلافية، ثم إن هناك بعض المدن التي كانت تحت نفوذ الخزر قد تنازلوا عنها للروس أمثال المدن الواقعة على نهر الدنيبر ومن أهمها مدينة (كييف) التي أصبحت فيما بعد عاصمة الروس، واستمرت الأحوال في تقوية شأن الروس وعلى حساب الخزر حتى تغيرت العلاقة الروسية الخزرية التي كان لحروب الروس والبيزنطيين لها الأثر البعيد في ذلك، وتذكر سنة ٩٦٥م الحملة التي قام بها الروس على بلاد الخزر وسيطروا على كثير من المدن والإمارات التابعة لهم، مما أفقد سلطتهم عليها وعلى الأقاليم الممتدة أدنى نهر الفولغا وحول بحر قزوين مثال: أذربيجان وجيلان وشروان وطبرستان وجورجان، إلا أن بعض الطرق التي كانت تؤدي

(١) الشمالي، نصر والدجاني، هشام، الظروف التاريخية للهجرات اليهودية، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٠، ص ٢٥ – ٣٠.

إلى بحر قزوين عبر دلتا الفولغا بقيت تحت سيطرة الخزر[1]، ويروي لنا المسعودي وقائع حدث بالغ الأهمية والخطورة، هو أن الروس طلبوا من ملك الخزر أن يسمح لسفنهم بعبور البوغاز إلى بحر الخزر مقابل إعطائه نصف ما سيحصلون عليه من غنائم، وقد منحهم الإذن، «وسفك الروس الدماء وقتلوا النساء والأطفال، وسلبوا الغنائم»[2].

ومنذ تلك الغزوة – الروسية البيزنطية – التي أشار إليها المؤرخ البيزنطي (سيدرينوس)، فقدت خازاريا إلى الأبد ذلك الشكل البدائي الجنيني للدولة، وغاب ذكرها[3]، وقد حدث ذلك عبر الانهيارات الكبرى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الإسلامي، وأمام الموجات المغولية العاصفة والمتتابعة في أواسط آسيا وغربها، إذ اتجه تيار قوي من تلك الموجات المغولية إلى مناطق الأقوام التركية والسلافية، وبلغ قلب روسيا وأوكرانيا؛ ونتيجة لذلك حدثت حركة كبرى من الهجرات من الأقوام الواقعة على طريق الغزوات المغولية، ومن هذه الهجرات الكثيرة كانت هجرة يهود الخزر.

---

(١) شمالي، نصر، ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية، مصدر سبق ذكره، ص ١١٧ – ١١٨.

(٢) الشمالي والدجاني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨.

(٣) شاكر، عبدالرحمن، دولة الخزر الجديدة (إسرائيل)، دار مصباح الفكر، لبنان، بيروت، ١٩٨١، ص ٣٥ – ٣٦.

لقد اندثرت خازاريا تمامًا، من دون أن ينتبه أحد لاندثارها، عندما انهار النظام الاقتصادي في المجتمعات الإسلامية، وفي المجتمع المسيحي البيزنطي أيضًا؛ لأنها كانت دولة تتنفس من رئة تلك المجتمعات المتحضرة، ولم تكن تمتلك رئتها الخاصة بها[١].

رابعًا: العلاقات الخزرية بالأندلس

لقد مرَّ بنا في المباحث السالفة ما جرى بين (حسداي ابن شبروط) وزير الخليفة الناصر في الأندلس، وبين (يوسف) ملك الخزر؛ إذ كان الحاخام (حسداي) من يهود الأندلس الذين يسمون (السفرديم)[٢]، وهذه التسمية جاءت

(١) بيبتي، جون، الصهيونية لعبتها أمريكا، دار النشر للجامعيين، لبنان، بلا سنة طبع، ص ١٧ – ١٨.

(٢) يقسم اليهود في العالم إلى قسمين: سفارديم وأشكنازم يهود الشرق، وهم من رعايا الدولة العثمانية، وأصل هؤلاء من جزيرة إيبريا، وعندما طردوا منها لجؤوا إلى الدولة العثمانية واليونان وشمال إفريقيا، وكانوا يتكلمون (اللادنيو)، ثم تكلموا العربية، والتحق بهم عدد كبير من يهود المسارانو بعد طردهم من إسبانيا، وكانت نسبة كبيرة منهم تمتلك رأس المال الذي يؤهلها لإقامة شبه تجارة دولية استطاعت من خلالها السيطرة على الحياة الاقتصادية في أوروبا وغيرها، وللسفارديم طقوس وعبادات تختلف عن غيرهم من اليهود، كما أن عبريتهم تختلف عن عبرية الأشنكازيم، وهناك عداء تقليدي بين الاثنين، إذ يمثل السفارديم الطبقة الاستقراطية للمجتمع اليهودي، وقد يتسبب الحرج لهم باستقرار الأشكنازيم في مناطق سكناهم، وكانوا لا يتعبدون معهم ولايتزاوجون بينهم، ويحلو لهم الاحتفاظ بمسافة بينهم، إلا أن هذا الأمر قد انقلب على عقب لاسيما بعد قيام دولة إسرائيل وتحول السفارديم إلى أقلية تتسلط عليها الجماعات الإشكنازيمية. =

مـن أصل الكلمـة بالعبرية (سفاراد)، وهـؤلاء اليهود هـم من سـكان إسبانيا القدمـاء، ويتكلمون لغة إسبانيـة عبرية تسمى (الرادينـو)، وهم يختلفون عن الصنف الآخر من اليهود الذين يسمون (الأشكنازي)، وهذا اللفظ ينطبق على اليهود الحديثي النشـأة الذين جاؤوا من أقاليـم نهر (الراين)، وهؤلاء طبقًا لرسالة يوسف يكون جدهم (بولان)[1].

مـن هذه المقدمة يتبين لنـا بأنه ليس ثمة علاقة بين يهود إسبانيـا ويهود الخزر مـن النواحي العرقيـة أو المواطنة أو أي علاقـة مشتركـة قد تكـون مصيريـة أو شبه ذلك، لقـد بدأت العلاقـة برسالة من الوزيـر حسداي يستفسر بهـا عما فوجئ بسماعـه من أن مملكة تسمى الخزر تُدين باليهودية، ومع أنه من اليهود المتزمِّتين والمتابعين لأخبار وأحوال الأقليات اليهودية

= أمـا الأشكنازيم فهم يهـود الغرب، وهم أساسًا يهود أوروبـا (روسيا و بولندا) الذيـن يتحدثون (الييديشـ)، وتعود أصولهم إلى الألمانية، ويعـد هؤلاء من الرعايا الأوربيـين، وحينمـا يهاجر هـؤلاء إلـى هولندا وإنكلـترا أو الولايـات المتحدة كانت المجتمعات المضيفة لهم تنظر إليهم على أنهم متخلفون، فتحصر بهم المهن الواطئة كالعتالـين والباعـة المتجولـين وصغـار المرابين، وكانـوا يحضرون معهـم الأمراض الاجتماعيـة التـي سببـت لهـم بغض تلـك المجتمعـات المضيفـة كالدعـارة والغش التجـاري، وقد ظهـرت جميع الحـركات الفكرية الحديثة في صفوفهـم مثل: حركة الاستنارة، واليهودية المحافظة، والرياسبـورا، والبوندا، وأخيرًا الصهيونية. راجع: النعيمي، أحمد نوري، اليهـود والدولة العثمانية، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٩٠، ص ٧٢.

(١) كيستلر مصدر سبق ذكره ص ٦٧.

بالعالم، وبحكم وظيفته الدبلوماسية، فمن المفترض أن يكون له علمٌ بهذا الشعب اليهودي الكبير.

لكنه عندما وصله الخبر من قوافل تجارية بيزنطية نال هذا الخبر اهتمامه، فقام بإرسال اثنين من يهود الأندلس هما الحاخام يهودا بن مائيير بن ناثان، والحاخام يوسف بن هجريس، وحملهما رسالة إلى ملك الخزر، وهناك رواية أخرى أنه أرسل رجلًا اسمه مار إسحق بن ناثان إلى القسطنطينية وأمره أن يتابع طريقه من هناك إلى الخزر، لكنه بحسب ما أوردت المصادر التاريخية لم يصل وعاد الأندلس(١).

ثم قام حسداي بدراسة إمكانية توصيل الرسالة إلى بلاد الخزر عبر القدس، فبلاد الرافدين فأرمينيا، إلا أن حضور اثنين من اليهود السقالبة سهل له ذلك، إذ عرضا له خدماتهما في إيصال ذلك، وبالفعل وصلت الرسالة وتسلمها ملك الخزر، وكان مضمونها أسئلة واستفهامات عن شعب الخزر ونظام حكومته وجيشه، ومن أي أسباط بني إسرائيل هم، حيث إنه كان يظن أن هؤلاء (إحدى قبائل بني إسرائيل الضائعة)، ولما كانت هذه الأسئلة في موقف إحراج لملك الخزر، فبلا شك إن أجوبتها كانت أجوبة غير شافية، وقيل إن فيها من عدم الصحة ما لا يحتاج إلى

---

(١) ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، نقلًا عن دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٠ – ١٩١.

نقاش أو عـودة للماضي، فقد وردت بعض العبارات التي أدهشت الوزيـر حسداي عندما قال له الملك يوسـف: «إن ما أخبرتنا عن بلادك (أي الأندلس) وأصل ونسب ملكك قد وصل إلينا من قبل، فلقـد جرى تبادل الرسائل والأصداء الحضارية بين آبائنا، وهذه الأمور محفوظة في كتبنا ومعروفة من من جميع الشيوخ في بلادنا وفي جميع بلاد الشرق حسبما ذكرت، وكما أننا سنجدد الصداقة القديمة التي كانت قائمة بين آبائنا ونورثها لأبنائنا».

لقـد حـاول الملك يوسـف أن يجيـب عن أسئلـة الحاخام حسداي بطريقة فيها شيءٌ من التمويه عن واقع مملكته وأصول شعبـه، فجـاءت الإجابة تحتـوي على فقـرات تنم عـن انعدام اللون اليهودي والأسلـوب المتعارف عليه في المراسلات بين أبناء الطوائـف اليهوديـة، ثم إدراج مـا لم يكن منطقيًّـا، فضلًا عن عبـارات الغموض والهجوم العنيـف على الإسـلام والمسلمين، فنقـرأ مثلًا ما يقولـه: «منذ ذلك اليوم الذي اجتمـع فيه آباؤنا على هذه الديانة، أخضع رب إسرائيل جميع أعدائهم لهم، وأذل كل أمـة ولسان من حولهم من ملـوك إدوم وملوك بني إسماعيل وجميـع ملـوك الأمم، وما مـن إنسان يستطيـع أن يتصدى لهم وكانوا جميعًا يدفعون الجزية له»[1].

(١) ابـن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨، وثيوناتس، نقلًا عن دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٥.

كما أن الرسالة كانت خالية من عبارات بالعبرية أو إشارات من التوراة أو التلمود أو أنها متأثرة بأدبيات الديانة اليهودية، ويواصل الملك يوسف في حديثه، فيروي كيف ظهر له الملاك وأمره أن يشيد مكانًا للعبادة يمكن للرب أن يقيم فيه؛ لأن السماء والسماوات التي تعلوها ليست متسعة لتحويه، وتحتوي الرسالة على عرضٍ لهيمنة الخزر على الأقاليم المحيطة بهم وأنهم يجمعون الذهب والفضة من خلال الغارات التي يغيرونها عليهم.

ثم يواصل فيقدم بيانًا لسلسلة نسبه وأصل سلالته، وعلى الرغم من أنه يهوديٌ متعصبٌ فهو لا يرجع بأصله إلى سام، بل يرجعه إلى يافث الابن الثالث لنوح، إذ يقول: «لقد عثرنا في سجلات الأسرة التي تركها آباؤنا أنه كان لتارجوما عشرة أبناء، وإن أسماء ذريتهم هي كالآتي: أودجور - دورسو - آفار - هون - بازل - تارينساخ - خزر - زاجور - بلغار - سابير - وإنني نحن أبناء خزر أي الذرية السابعة).

ثم يورد بعض الفتوحات الحربية التي قام بها أسلافه، وما قاموا به من إصلاح للقانون وبناء للمعابد والمدارس وطرد السحرة وعبدة الأوثان، ولم يذكر المؤرخون أنَّ علاقات قامت بين الخزر ويهود الأندلس سوى المراسلات التي اقتطفنا مقاطع منها؛ إذ إن يهود الأندلس كانوا ينعمون في ظل الخلافة الإسلامية، ولم تربطهم بيهود الخزر روابط رسمية أو مصيرية

لعدم وجود مصير مشترك للطرفين سوى الذي حصل لهم بعد سقوط الخلافة الإسلامية[1].

خامسًا: علاقة الخزر بالسلاجقة

يُعد السلاجقة المؤسسون الحقيقيون لتركية الإسلامية، وهم فرع من (الغز)[2]، كانوا قد ارتحلوا في أواخر القرن العاشر إلى المدن المجاورة لمدينة بخارى، ثم انطلقوا منها فيما بعد إلى آسيا الصغرى البيزنطية واستعمروها، وكانوا على اتصال وثيق بالخزر، إذ كان (توكاك) والد سجلوق قائدًا في جيش خاقان الخزر، وبعد موته نشأ ابنه سجلوق (مؤسس الأسرة السجلوقية) في بلاط الخاقان، ولكنه كان على غير سيرة أبيه، إذ كان شابًّا طائشًا لم تتوافق تصرفاته مع البلاط الخاقاني، مما اضطر إلى الابتعاد والرحيل عن الإمبراطورية الخزرية[3].

ويذكر لنا ابن العديم بأن سلجوق كان أحد أعيان الخزر والأتراك، يؤيده بذلك أحمد بن فضلان في رسالته إذ يقول: إن

(١) عبد المجيد، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤ – ٧٦.

(٢) الغز إحدى هم القبائل التركية التي تضم أعدادًا كبيرة من البشر، تنطلق بين حين وآخر من أواسط آسيا، وتنحرف نحو الغرب. راجع: رايس، تامارا تالوب، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة: لطفي الخوري وإبراهيم الداقوقي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨، ص ٨٣ – ٩٠.

(٣) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٤.

العلاقة التي كانت بين السلاجقة والخزر كانت علاقة حميمة، لكنها سرعان ما انقلبت إلى قطيعة، وسبب ذلك اعتناق السلاجقة للدين الإسلامي[1].

بينما يذكر أبوالعلاء بن حسول في كتابه (تفضيل الأتراك) أن سلجوق جد السلاجقة قد تحدى ملك الخزر شخصيًّا وضربه بسيفه، وفي رواية أخرى رماه بدبوسه الذي كان بيده حتى أنهك حصانه ورماه على الأرض منكبًّا على وجهه[2].

أما ابن الأثير فيروي لنا غير ذلك إذ يقول: بأن هذه الحادثة قد حدثت بين (تقاق) أبو سلجوق وملك الترك الذي يدعى (يبغو) وليس مع خاقان الخزر[3].

بينما يروي لنا ابن العِبري أن تقاق كان قائدًا في جيش الخزر، وأن ابنه سلجوق قد تربى في بلاط الخاقان، وقد حدثت بينه وبين الخاقان خلافات اضطره إلى الابتعاد عنه والاتجاه إلى المجرى الأدنى لنهر سيحون، ثم إلى منطقة بخارى، وهذا الرأي يؤيده (بارثولد) في بيانه لأسباب انفصال السلاجقة عن الخزر.

---

(١) دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٢، وكيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣.

(٢) زكي، وليد نقلًا عن كيستلر، مصدر سبق، ذكره ص ١٣٢.

(٣) فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى الحاضر، ترجمه وعلق عليه دكتور أحمد محمود الساداتي، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٨٧٢، ص ١٢٧ – ١٤٥.

وتــورد بعض المصــادر التاريخيــة أن أبناء سلجــوق كانوا يحملون أسماء إسرائيلية مثل: ميكائيل وإسرائيل وموسى ويونس وداود، رابطــين بذلك التفاعل الاجتماعــي السلجوقي الخزري، ويــرى بعضهــم أن السلاجقة ربما كانوا يدينــون بالمسيحية قبل أن يعتنقــوا الإسلام، لكــن هذا الرأي يرفضــه بعضهم الآخر، بحجة أن هذه الأسماء لم تكن أسماء مسيحية، وأن سبب تسمي السلاجقــة بها كونهــا أسماء شائعة في تلــك الحقبة الزمنية، وهذا ما اعتاد عليه النــاس[1].

ومــن الناحية السياسية فإن هناك مــن المؤرخين من يرى أحــد أسبــاب اضمحــلال مملكة الخــزر وسقوطها علــى أيدي السلاجقــة[2]، إذ كانت لهــم أدوارٌ أساسية في تمــرد وانفصال الأقاليــم المجاورة التي كانــت تخضع لنفوذ مملكة الخزر وتدفع لها الضرائب والرسوم وتحمي تخومها من الغزوات والاعتداءات الخارجيــة، إلا أن آخريــن يرفضــون هــذه الفكــرة ويــرون أن

---

(١) ابن العبري، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠، وبشور، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٠.

(٢) إسكنــدر، فايــز نجيب، استيلاء السلاجقــة على عاصمة أرمينيــة (آني) (٤٥٦ هـ - ١٠٩٤ م)، دار نوبــار للطباعــة، دار الفكر الجامعي للنشــر، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٧. وفي هــذا الصدد يــروي إسكندر عن المؤرخ المسلم سبــط بن الجوزي أنه في رمضــان (٤٥٦هــ) أن السلطان نظام الملك أوغل في بلاد الخــزر وبلغ فيها مواضع لم تجــر العادة ببلوغها، وفتح بلدًا عظيمًا، وقتل مايزيد على ثلاثين ألفًا، وسبى نحو خمســين ألف مملوك، وغنم غنائم لا تحصى، وقد عــاد منصورًا، ونزل بعدها إلى (آني) العاصمة الأرمينية... إلخ. ص ٩ — ١١.

السلاجقة لم يكونوا قوةً توازي قوة الروس لكي يكون لهم هذا الدور في إسقاط الإمبراطورية الخزرية، وإن السلاجقة عندما انفصلوا عن مملك الخزر اندفعوا نحو الشرق وفي بلاد ما وراء النهر، ثم في خراسان بعد ذلك أخذوا يتجهون نحو الغرب، وإن هذه التوسعات بلا شك تضعف من قوة السلاجقة المركزية، ولو كان لهم من القوة كما ذكر في خلخلة وإضعاف كيان الإمبراطورية الخزرية لأمكنهم من تأسيس كيان لهم في غرب بحر قزوين، ثم إن القوة الموجودة على الفولغا كانت كافية لمنع توسعهم في هذا الاتجاه[1].

ഌ

(١) ابن العديم، أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله زبدة الحلب، من تاريخ حلب، ج٣،تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق ١٩٥١، ص ٢١١، وإسكندر، فايز نجيب (دكتور)، أرمينيا بين البيزنطيين والأتراك والسلاجقة في مصنف أريستاكيس اللسيتفرتي المطبعة العصرية، الإسكندرية، ١٩٨٣م، ص ١٠ -١١، وحلمي، أحمد كمال الدين (دكتور) السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار السلاسل، الكويت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٦٧ — ٦٩.



تصوير
احمد ياسين
@Ahmedyassn90

الفصل الثالث

نهاية إمبراطورية الخـزر

المبحث الأول: انحلال وسقوط الإمبراطورية الخزرية

الحروب الخزرية

١- الحرب الخزرية الروسية.

٢- الحرب الخزرية البيزنطية.

٣-التحالف البيزنطي الروسي ضد الخزر.

٤- الغزو المغولي لمملكة الخزر.

المبحث الثاني: يهود الخزر والشتات

١ -يهود الخزر في أوروبا.

٢ -يهود الخزر في المجر.

٣ - يهود الخزر في بولندا وأدوارهم السياسية في تقسيمها.

٤ -يهود الخزر في روسيا - تجمعات - هجرات.

٥ -هجرة يهود الخزر إلى إنكلترا.

٦ - الأدوار السياسية ليهود الخزر في فرنسا.

٧ - الأدوار السياسية لليهود في الولايات المتحدة الأمريكية.

المبحث الثالث: يهود الخزر واغتصاب فلسطين.

المبحث الأول

انحلال وسقوط الإمبراطورية الخزرية

أولًا: الحرب الروسية الخزرية

بـدأت بـوادر انهيـار الإمبراطورية الخزريـة في المئة عام الأخـيرة من حياتهـا، وتمثلت في فقـدان الإمبراطوريـة أجزاء مـن أطرافها، إذ حـدث في عام ٢٨٢هـ أن احتـل الروس مدينة (كييـف)؛ ممـا أدى إلى خـروج الإمارات الغربيـة عن سيطرة الخـرز عدا أجـزاء مـن القـرم، وصار سـكان هـذه الإمارات يرفضـون دفع الأتـوات إلى الخزر بمن فيهـم القبائل السلافية (الصقلبية) التي تقطن حوض التدبير[١].

وهناك نقطة مهمة نود الإشارة إليها، وهي أن قوة عسكرية من المسلمين كانت ضمن جيوش الخزر، وكانت هذه القوة بمثابة قـوة ضاربة يستعين بها الخزر على تلافي الهجومات ومعالجتها حـال تعرض أركان الإمراطورية لاعتداء خارجي، وكان ما يقوم بـه هؤلاء المسلمـون مقابلًا لإحداث علاقة طيبـة يقيمها الخزر مـع الأقاليم الجاورة لهم، والتي تمثـل المناطق الشرقية الممتدة

---

(١) كسيتلر، مصدر سبق ذكره، ص ١١٣ – ١١٤.

إلى أدنى الفولغا والأقاليم المطلة على بحر قزوين، والتي كانت تمثل أطراف الخلافة الإسلامية، وهي: (أذربيجان، جيلان، وشيروان، وطبارستان، وجورجان)، وكان الروس يعتدون على هذه الأقاليم، مما يسببون إحراجًا لحكام الخزر تدفعهم غالبًا لخوض معارك دامية، فضلًا عن الأزمات السياسية التي تحدث بين الطرفين جراء ذلك، وتتمثل ممارسات الروس بالسلب والنهب وأسر عدد من المسلمين، ويصف لنا المسعودي في مؤلفه (مروج الذهب) كيف كان الروس يصلون بسفنهم إلى مضائق بحر الخزر، وكيف كانوا يتجاوزون حدود الإذن الذي يحصلون عليه من الخزر للمرور بتجارتهم مقابل العشرة بالمئة التي يدفعونها كرسوم مقررة، وقد أشار المسعودي إلى سرايا قراصنة هاجمت أقاليم جيلان وجورجان وطبرستان وأباسكون، وسفكوا دماء كثيرة، واستباحوا النساء، وأخذوا الغنائم الكثيرة بعد أن خربوا البلاد وأشعلوا الحرائق في كل الجهات، وبلغ بهم الأمر أنهم استباحوا مدينة أردبيل ونهبوها وقتلوا كثيرًا من أهلها، إلا أن أهلها جمعوا إمكانياتهم ومقاتليهم وحاولوا طردهم، لكن معارك كبيرة استمرت بين الطرفين أدت إلى قتل وغرق آلاف المسلمين[1].

وتقول المصادر التاريخية إن هناك تواطؤًا كان يقدمه ملك الخزر إلى الروس بخصوص تجاوزاتهم ضد الأقاليم

(١) المسعودي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٢.

الإسلامية، وهذا ما يذكره المسعودي بأن المسلمين الذين كانوا يشكلون قوة ضاربة داخل الإمبراطورية الخزرية أرادوا أن يثأروا لما فعله الروس بإخوانهم المسلمين، فطلبوا من ملك الخزر أن يصرح لهم بذلك فلم يستطع ردهم، إلا أنه بعث إلى الروس يخبرهم بما عزم عليه المسلمون، وقتل منهم أكثر من ثلاثين ألفًا، وهرب الباقون، إلا أنهم لم ينجوا من رجال البورتا والبلغاء فقتلوا جميعهم ولم ينج أحد، وكانت هذه سنة ٩١٢م[(١)].

ويذكر ابن فضلان الحادثة نفسها مشيرًا إلى الخيانة والغدر الذي أبداه ملك الخزر من خلال شراكته السلبية مع القوة الإسلامية التي ساعدته مرات عديدة، في الخروج من مآزق كانت متمثلة بصد هجمات تعجز عنها جيوشه لولا مساعدة المسلمين؛ لاسيما التي تأتي من الأقاليم المجاورة للخزر، ولم تتكرر حادثة عام ٩١٢م إلى أن قام الروس في عام ٩٤٣م بغارتهم على بحر قزوين وبأسطول أكبر؛ إذ استطاعوا من خلالها أن يحتفظوا لهم بقاعدة عسكرية استقرتبها قواتهم مدة سنة كاملة، إلا أن الأذربيجانيين طردوهم من دون أن يكون للخزر دورٌ في ذلك سوى أعمال السلب والنهب التي قاموا بها عقب انكسار الروس[(٢)].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢١٤.

(٢) ابن فضلان، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧.

ويبـدو أن ممارسـات الروس وتعرضاتهـم المستمرة ضد الخـزر ومـن عُدّ مـن حلفائهم قـد أصَّلت عِـداءً مستمـرًا دفع الطرفـين إلى دخول حروب وحملات عسكريـة مستمرة كان في قمتها الحملة التي قادها الأمير (سفياتوسلاف)[1] سنة ٩٦٥م، إذ تروي الحولية الروسية: «إن سفياتوسلاف تحرك نحو الفولغا والأودكا، وعلـم الخـزر بقدومـه فخرجوا إليه بقيـادة الخاقان نفسـه، والتقـى الجيشان وهزم الخـزر، واحتـل سفياتوسلاف مدينـة (بييلافيـزا) التي تسمى القلعـة البيضـاء، وهو الاسم السـلافي لقلعة (سـاركل) الشهيرة على نهر الـدون، وتعد هذه الحادثة بدايةً لانهيار الخـزر، لكن الخزر بقي لديهم السيطرة على الطرق المؤدية إلى بحر قزوين[2].

ويقـول توينبـي إن الروس قـد نجحـوا في القضـاء على إمبراطورية السهوب الخزرية، ولكن كان الإقليم الخزري الوحيد الذي كسبوه هو إقليم (تموتوركان) الواقع في شبه جزيرة تامان (المواجهة للقرم)، وكان هـذا الكسب سريع الزوال، والواقع أن

(١) سفيا توسلاف أمير كييف وابن أجور القائد المشهور لدى الروس. كان مشهورًا بخفة حركته، ويذكر المؤرخون أنه قاد حملات كبيرة لبلاده، وأنه قضى معظم أيام حكمه بالحـروب، وكان من صفاتـه التقشف في أثناء حملاته، فهو لا يصحب معه العربات أو الخيـام أو أواني الطبخ، وكان يأكل ممـا يصطاد أو يحصل عليه في أثناء غزوه، ويـروى أنـه كان لا يباغت أعداءه بل يرسل إليهم «إني قـادم إليكم». راجع: كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ١١٧ – ١١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٩.

الروس لم يحققوا فتوحات دائمة لصالح روسيا قبل منتصف القرن السادس عشر حين شملت فتوحاتهم نهر الفولغا حتى مصبه في بحر قزوين[1].

وتتغير سياسة المنطقة تغيرًا جذريًّا عندما تسلم (فلادمير) الولاية عقب مقتل أبيه على يد البيزنطيين واستيلائه على مدينة (خرسون) التي كانت فيما قبل موطن صراع دائم بين الخزر والبيزنطيين، وبعد هذا الانتصار اتصل فلادمير مع إمبراطور بيزنطة قائلًا له: «لقد استوليت على مدينتكم الرائعة، وعلمت أن لكم شقيقة لم تتزوج بعد، فإذا لم تزوجوها لي فإنني سوف أتصرف بمدينتكم التي أنتم فيها كما تصرفت بمدينة خرسون»[2]. ورد الإمبراطور عليه قائلًا: «إن عُمِّدتَ فستكون لك زوجة، وسوف ترث مملكة الرب، وسوف تكون لنا زميلًا في الدين».

وهكذا بدأ التغيير الكامل في روسيا نحو المسيحية بعد زواج فلادمير من الأميرة البيزنطية (آنا)، بل كان هذا انتصارًا مهمًّا لبيزنطة، إذ لم تكن المسيحية الدين الرسمي للحكام الروس فقط بل للشعب الروسي أيضًا، وصارت الكنيسة

---

(١) توينبي نقلًا عن كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ١١٩.

(٢) عبد اللطيف، محمد عبدالرحمن، وعبدالله، ليس لبني إسرائيل، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١، ص ٧٧.

الروسية منذ عام ١٠٣٧م تابعة لنفوذ بطريرك بيزنطة، كما أن هذا الحدث قد ألغى التحالف البيزنطي الخزري وأحل مكانه تحالفًا بيزنطيًّا روسيًّا قام سنة ١٠١٦م بهجوم مشترك ضد الخزر، وبعد معارك دامية بين الطرفين كان النصر للقوى المتحالفة[١]، لكنها وإن سقطت بأيدي جيوشها مدن كبيرة من مدن الخزر إلا أنها لم تكن النهاية، إذ يروي المؤرخون أن الخزر في عام ١٠٣٠م استطاعوا أن يهزموا جيشًا غازيًا قتلوا منه أكثر من عشرة آلاف مقاتل، كما أن الخزر استطاعوا فك أسير لهم في (تموتوراكان) من أيدي الروس فضلًا عن غارات لهم على مدن غرب كييف[٢].

أما بنيامين فريدمان فإنه يتحدث عن دور روسيا في انحلال وسقوط مملكة الخزر فيقول: «منذ قيامها سنة ٨٢٠م وإمارة الروس البالغة الصغر منهمكة باستمرار في حروب مع معظم جاراتها القوية وعلى جميع حدودها على الرغم من ضآلة عدد السكان ومحدودية الموارد في إمارة الروس التي لا يمكن أن تشجعها على خوض أي حرب. وفي حروبها المتواصلة للاستيلاء على مزيدٍ من الأراضي، كان صدامها الرئيس مع جارتها الجنوبية الأكبر والغنية لكن المنقسمة التي تبلغ

(١) المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٢) ابن الأثير، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥١، ودنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٣.

مساحتها (٨٠٠) ألف ميل مربع، وأعني بها مملكة الخزر، التي عُـدت أعظم وأقوى دولة في أوروبا حتى القرن العاشر الميلادي، وقـد هزمت إمارة الروس هذه المملكة من خلال غارات وحروب مواصلة قاتلها دون شفقة؛ من أجل الاستيلاء على أراضيها.

لقـد استمرت هذه العلاقـة قرونًا عدة مـن دون انقطاع، ومـن ثمَّ وخـلال ثلاثة قرون قضـت إمارة الروس على مملكة الخزر مستولية على هذه المساحات الشاسعة، ليغيب كيان مملكة الخـزر السياسي والعسكري من أجواء أوروبا بعد أن كانت دولة ذات سيادة مستقلة[1].

ويصـف لنـا عبدالرحمـن شاكـر في كتابه (دولـة الخزر الجديـدة) الأدوار المهمـة التـي أداها الروس في انهيار الخزر فيقـول: «والـذي قضـى علـى دولـة الخـزر هـم أمـراء كييف الفرغانيون الذين جاؤوا من فرغانة غرب سيبيريا، وهو الأصل نفسـه الذي جاء منه الخزر، وأولهـم كان (روريك) الذي أقام بين قبائل الروس السلافيه في عام ٨٥٥م، وكانت تلك هي بداية الدولة الروسية. وفي عام ٩٦٥م استولى أحد خلفائه وهو الأمير (سفياتوسـلاف) على قلعة (سـاركل) الخزرية في عام ٩٦٩م، واستولـى على (إتـل) عاصمة الخـزر وعلى (سمينـدر) ثانية

---

(١) فريدمان، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧ – ٣٨.

مدنهـم الكبرى، بعد ذلك انسحبت دولة الخزر إلى شبه جزيرة القرم، ودامت فيهـا (٥٠) عامًا حتى استطاع (ستيلاف) أمير كييـف أن يقضي عليهـا بالتحالف مع بيزنطـة في عام ١٠١٦م، وقبـل ذلك بأعـوام قليلـة كان سلفـه (فلاديمير) «قـد اعتنق الديانة المسيحية وأصبح لكييـف، (وللرس) من رعاياها مكانة أدبيـة، خاصـة إذ يعدُّهم رعـاة المسيحية ولاسيمـا بعد سقوط بيزنطة في أيدي العثمانيين»[١].

ويقـول (جون بيتـي) في كتابه الصهيونيـة لعبتها أمريكا: «لقـد هبط من التـلال المنخفضة غـرب موسكـو جماعات من المحاربين استوطنوا البلاد، وعرفت بلادهم (بروسيا)، وعرفت ديانتهم بالمسيحية، وطائفتهم (بالأرذثوكسية).

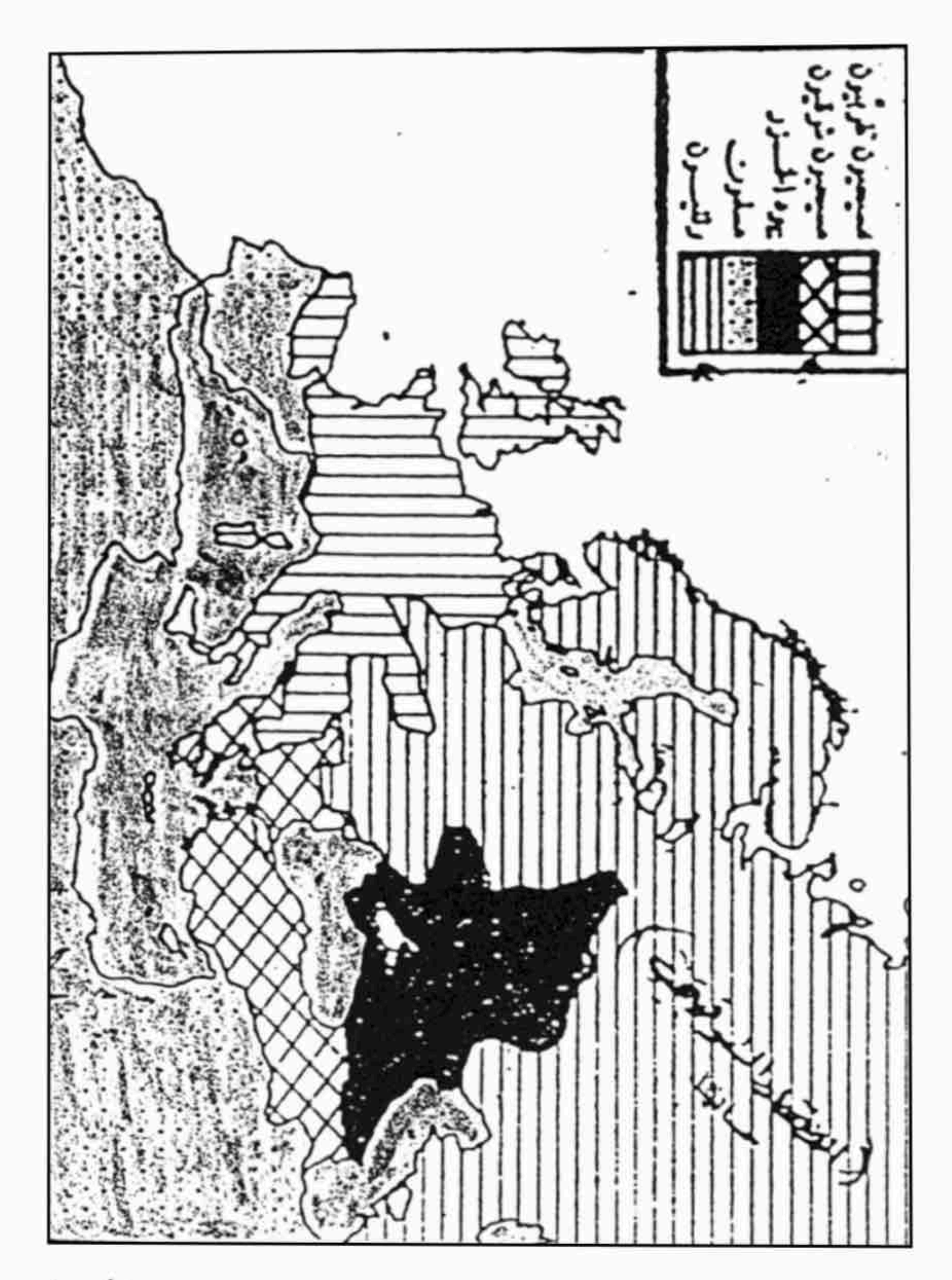
ومـع أن لغتهـم كانت تختلـف عن اللغـة السلافيـة إلا أن أصلهـا كان واحـدًا وعباراتهـا في كثير مـن المواضيـع غالبًا ما تكـون متشابهـة، واندمـج (الروسـ) في الأهلـين السلافيـين، ونظمـوا البلاد تنظيمًـا دوليًّا، وجاهدوا لكـي يوطدوا حدودهم ويوحدوها، وكانت تتصل بحدود الخزر على (كييف)، فجعلوها مركزًا تجاريًّا خطيرًا ومدينة مرموقة تعيش فيها طبقة مستترة مثقفـة، واشتبك السلافيون ولاسيما أولئك الذين كانوا يغيشون

---

(١) شاكر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥ — ٣٦.

في المنطقة المعروفة (بأوكرانيا) بحرب طويلة دائمة مع الخزر، وتمكنوا في سنة ١٠١٦م من سحق دولة الخزر وانتزاع مناطق شاسعة من بلادهم، وهكذا أخذت تلك البلاد الفسيحة التي احتلتها هذه القبائل تتقلص مع الأيام، وأخذت دول أخرى تتكون في هذه البقع المترامية لتوانيا وبولونيا ودوقية موسكو وسواها من البلدان السلافية، وشرع الخزر يهاجرون من ديارهم بعد تلك الأحداث[١].

(١) بيتي، إسرائيل لعبتها أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص ١٧ – ١٨.



خريطة منقولة عن دائرة المعارف اليهودية تبين التوزيع الديني في أوروبا عام ٩٠٠ ميلادية وفي وسطها تظهر إمبراطورية الخزر اليهودية، التي دامت ثلاثة قرون، وكانت كبرى دول اليهود في التاريخ ولا تمت بأية صلة عرقية إلى دولتي إسرائيل ويهوذا التاريخيتين على أرض فلسطين.

ثانيًا الحروب الخزرية البيزنطية:

لقد تباينت الأخبار عن علاقات الإمبراطورية الخرزية والإمبراطورية البيزنطية؛ إذ كانت تلك العلاقات خاضعة للظروف التي تعيشها كل منهما، لاسيما أن المصالح الموجودة في المنطقة تدفع أحيانًا إلى علاقات ودية، وإلى علاقات سيئة أحيانًا أخرى، فنرى أن (يوسف) ملك الخزر يذكر في رسالته للوزير حسداي بن شبروط -كما مرَّ بنا في الفصل السابق- أنه يتبجح في مركزه ومركز إمبراطوريته بين جيرانه، ذاكرًا أموالًا وهدايا ثمينة كان يرسلها الأباطرة البيزنطيون في بعض المواسم، ولو أنه كان يشير إليها في رسالته بأنها كانت تأتيه من باب استرضائه أو خوفًا من بطشه، إلا أنها بحسب ما تذكره الوثائق التاريخية أنها مجرد تبادل ودي كان يحصل بين ملوك الدول المجاورة[1].

يقول آرثر كيستلر: «ولعب الخزر دورًا مهمًا في السياسة الدولية، وحَرص حكام الإمبراطورية الرومانية الشرقية على

(١) دنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٤، كما يذكر دنلوب أن هناك أخبارًا تتحدث عن حرب قام بها الخزر ضد البيزنطيين تحت قيادة بنيامين جد يوسف، وحرب ثانية تحت قيادة هارون والد يوسف، وقد قيل: إن الإمبراطور البيزنطي قد حرض اللان ضد الخزر، وفي ظل يوسف نفسه قام الخزر بمهاجمة الأراضي البيزنطية. المصدر نفسه، ص ١٢٢.

التحالف معهم طول المدة الممتدة من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلاديين، وكثيرًا ما اشترك الخزر في الحروب ضد أعداء الإمبراطورية البيزنطية التي تدين لهم في كثير من الفضل في بقائها صامدة أمام الهجمات المتتالية التي شنها عليهم الفرس من جهة والعرب من جهة أخرى، ووقف الخزر سدًّا منيعًا حال دون زحف العرب نحو القوقاز أيام فتوحات الخلافة الأموية، ويقول بعض المؤرخين: «لولا وجود الخزر في الإقليم الشمالي لطوق العرب بيزنطة»[1]، وقد ذكر الإمبراطور البيزنطي المؤرخ قسطنطين بورفير وجينيتوس ٩١٣ – ٩٥٩م أن الرسائل الموجهة من الروم إلى إمبراطور الخزر كانت تحمل خاتمًا ذهبيًّا قيمته ثلاثة صولدات، بينما الرسائل التي كانت توجه إلى غيره كانت تحمل خاتمًا ذهبيًّا قيمته صولدان، ويعلق المؤرخ بيوري على ذلك فيقول: «وفي المدة التي نعالجها يحتمل أن خاقان الخزر لم يكن في نظر السياسة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية أقل شأنًا من شارل العظيم وخلفائه»[2].

كما أن زواج الإمبراطور البيزنطي (قسطنطين الخامس) بأميرة خرزية ٧٣٢م والتي أصبح ابنها (ليو الرابع) الملقب ليو الخزري إمبراطورًا سنة ٧٧٥م له أثره في تاريخ العلاقات

(١) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١.

بين الإمبراطوريتين، وتذكر المصادر قبل هذه الأحداث إرسال سفارة من الإمبراطور البيزنطي تيودوسيوس الثاني سنة ٤٤٨م إلى الخزر كان من بين أعضائها الدبلوماسي بريسكس، وكان هذا يأتي الإمبراطور بوصف دقيق للمفاوضات الدبلوماسية وما يحدث في بلاط الخزر من أمور تخص الإمبراطورية البيزنطية، ويذكر بريسكس أن الإمبراطور البيزنطي حاول أن يكسب إلى جانبه شعب الخزر لكنه لم يفلح في ذلك[1].

من جانب آخر نرى أن الإمبراطور البيزنطي جيستينيان عندما عُزل من عرشه ونكّل به من قبل منافسيه لجأ إلى خاقان الخزر الذي رحب به وعقد معه حلفًا وزوجه شقيقته وأحسن ضيافته، ومنها أعدَّ جستنيان العدة لغزو بيزنطة واستعادة عرشه بمساعدة ملوك الخزر؛ إلا أن إمبراطور بيزنطة الجديد تبيريس قدم رشوة سخية لملك الخزر دفعه فيها إلى الغدر بضيفه؛ إلا أن جستنيان علمَ بما دُبِّر له فهرب على ظهر سفينة عبر البحر الأسود إلى مصب نهر الدانوب واستطاع أن يعقد حلفًا جديدًا مع قبيلة بلغارية قوية زودته بخمسة عشر ألف فار استطاع أن يعيد بهم عرشه المسلوب، ثم إن جستنيان أراد أن ينتقم ممن أساؤوا له في منفاه فأرسل جيشًا دمر مدينة

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣١.

خرسون، وقتل كثيرًا من أبرز أهلها حرقًا وغرقًا، ثم أراد أن يعيد الكرة على المدينة نفسها ولكنه لم يفلح هذه المرة، إذ تصدى له جيش خزري قوي استطاع أن يستغل ضعف معنويات الروم، وأن يقنع قائدهم باردانيس بالانضمام إليهم والعودة إلى محاربة الروم، وفعلًا تم خلع جستينيان وانتخاب باردانيس إمبراطورًا، ولقب بالإمبراطور فيلبكس[١]، وهذه القصة تعطينا مدى البعد الذي كان عليه في أرجاء الإمبراطورية الرومانية الشرقة، فقد كان فيلبكس إمبراطورًا من صنع الخزر، وكانت نهاية حكم جيستنيان على يد شقيق زوجته خاقان الخزر وفي هذا يقول دنلوب: «لا بد وأن هناك مبالغة في القول بأن خاقان الخزر كان في هذه المرحلة قادرًا فعلًا أن يقدم حاكمًا جديدًا للإمبرطورية الرومية»[٢].

من ناحية أخرى فإن الإمبراطورية البيزنطية كانت ترغب في السلام مع الخزر، يدفعها إلى ذلك موقعها الجغرافي بين الدينبر والقوقاز، واستمرت هذه السياسة من قبل الروم طوال ثلاثة قرون، إلا أن التغيرات السياسية التي طرأت على الساحة الروسية والتقارب الروسي البيزنطي ودخول الروس حكامًا وشعوبًا في الديانة المسيحية، أدى كل هذا إلى تغيير واضح في

---

(١) وليام، لانجر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨٣.

(٢) دنلوب، نقلًا عن المصدر نفسه، ص ٣٩.

العلاقـات الخزريـة الروسية؛ لا سيما عندما بـدأ النحول يدب في جسـد المملكة الخزرية، وفقدان الخـزر لأطراف عديدة من المملكـة كانـت لها الأهميـة في وارداتهـا الماليـة المتمثلة في دفع الضرائـب والرسوم الجمركية، كما أن للسلاجقة دورًا كبيرًا في إضعاف إمبراطور الخزر.

ثالثًا: التحالف البيزنطي الروسي ضد الخزر

قبـل أن نتحـدث عن الـدور الـذي أداه التحالـف الروسي البيزنطي لابد أن نذكر طبيعة العلاقات الروسية البيزنطية.

لقـد تناوبـت العلاقـات البيزنطيـة الروسيـة بـين حروب وغزوات ومعاهدات صداقة وسلم؛ ففي عام ٨٦٠م أوشك الروس علـى الاستيلاء علـى القسطنطينية مستغلين حـرب الإمبراطور (ميخائيل الثالث) مع العرب، فقد هاجم الروس بأسطول ضخم مكـون مـن مئتي سفينـة بعد دخولـه الفوسفـور، وتعرض للمدن والضواحـي القائمة علـى شاطئيه، ونهب ما فيهـا واحتل جزيرة الأمراء، إلا أن البطريك (فوتياس) استطاع أن يجمع الناس حوله ويعمـل على تقهقر وإرجاع الروس، وفي سنة ٩٤١م هاجم الأمير الروسـي أيجور البيزنطيين بأسطول ضخم قام رجاله بأسر عدد مـن الناس، حيث قتل بعضهم وجعلوا مـن بعضهم الآخر أهدافًا لسهامهم، واعتقلوا آخرين وقيدوهم ودقوا المسامير في رؤوسهم،

كما أشعلوا النيران في كثير من الكنائس والأديرة، لكن الأسطول البيزنطي استطاع أن يهزمهم في النهاية بأساليب متتالية لم يألفها الروس من قبل؛ إذ هاجم أسطولهم البحري بنيران كانت تتدفق من أنابيب في مقدمة السفن، مما جعل الروس يلقون بأنفسهم إلى البحر خلاصًا من هذه النيران[1].

لكننا نرى أن بعد كل معركة أو غزوة بين الطرفين تحدث معاهدة صلح، فبعد حرب ٨٦٠م حصلت معاهدة صلح في عام ٨٦١م، وبعد حرب عام ٩٤١م، وحرب ٩٤٤م حدثت معاهدة سنة ٩٤٥ م، كما حدثت حرب ٩٦٩–٩٧٩ م، نرى أن معاهدة صلح حدثت في عام ٩٧١م، أما سبب عدم استقامة هذه المعاهدات فإن المؤرخين لا يجدون ما يبررون نقض هذه المعاهدات؛ بل إن العلاقات تصل إلى أبعد من معاهدات الصلح؛ فبعد سنوات قليلة من حرب ٨٦٠م نرى أن الروس أرسلوا سفراء إلى القسطنطينية، وبمثل ذلك فإن أقاليم روسية كثيرة قد وصلتها بعثات دبلوماسية من البيزنطيين، وكان الهدف من ذلك كله إصلاح ذات البين بين الطرفين وإطلاق الأسرى. وإن طمع الروم في جلب حكام الروس وشعوبهم إلى اعتناق المسيحية كان دافعًا قويًّا يدفع الروم إلى هذه المعاهدات، وقد تطورت

(١) توينبي، نقلًا عن كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ١١٠.

العلاقات السليمة بين الطرفين إلى أن حدث تجنيد سبع مئة بحار أسكندفاني في الأسطول البيزنطي، وذلك عام ٩٠٢م، ثم حدث تطور في العلاقات وهو تزويد الإمبراطور البيزنطي بالجنود الروس عند الطلب، وفعلاً كان هناك أيام الإمبراطور قسطنطين أي في منتصف القرن العاشر أساطيل روسية تجوب البوسفور تحمل على ظهروها أعدادًا كبيرة من الجند يلبون طلبات الحماية للبيزنطيين[١]، كما ازدهرت التجارة بين الطرفين، وصار للحملات التبشيرية البيزنطية الحرية والتبشير في الأقاليم الروسية، كما أن معاهدة قد أُبرمت بين الإمبراطور البيزنطي ليو وحاكم كييف أولج، وأقسم فيها الطرفان على احترام بنودها، وهو دخول الأميرة (أولغا) أرملة الأمير أيجور المسيحية، فتغيرت العلاقة نحو الأفضل، وأصبحت الهدايا والوفود تتبادل بين الطرفين.

لكن ابن الأميرة أولغا (سفياتوسلاف) ارتد إلى الوثنية، ورفض التزامات أمه مع الروم، وجمع حشدًا كبيرًا من الجند وهاجم البيزنطيين سنة ٩٨٨م، وعلى إثر ذلك تنازل البيزنطييون عن ميناء خرسون للروس كمبادرة حسن نية للسلام، وكانت حملة سفياتوسلاف كغيرها من الحملات تعقبها معاهدات الصلح والسلام.

---

(١) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٧ – ١٠٨.

لكن الذي حدث أخيرًا يمكننا أن نسميه انتصارًا دبلوماسيًّا للبيزنطيين عندما تزوج فلاديمير الحاكم الروسي من الأميرة البيزنطية (آنا) واعتناقه المسيحية، وجعل الكنيسة الروسية تابعة لنفوذ بطريك القسطنطينية، وولد هذا الحدث تحالفًا روسيًّا بيزنطيًّا نتجت عنه حملة عسكرية قام بها التحالف الجديد عام ١٠١٦م ضد مملكة الخزر، اشتملت الحملة على أسطول بيزنطي يعاونه جيش من الروس، استطاعا أن يهزموا الخزر ويبددوا جيوشهم، كما يذكر المؤرخ البيزنطي (سيد رينوس) الغزوة التي اشترك فيها الروس والبيزنطييون ضد الخزر والتي فقدت على أثرها خازاريا قوتها وعظمتها بين دول المنطقة وغاب ذكرها[١]، وأصبحت الأقاليم المجاورة للقوتين المتحالفتين خاضعة لهيمنة الروم والروس وتدفع لهم الضرائب وأتاوات، وصارت الأقاليم السلافية والمدن الواقعة على نهر الدنيبر تابعة للروس، وكذلك الأقاليم الممتدة إلى أدنى نهر الفولغا وحول بحر قزوين، وبذلك تختفي إمبراطورية أدت دورًا سياسيًّا وعسكريًّا مهمًّا في قرون عدة من دون أن تترك أثرًا من آثار تلك الأدوار يمكن أن تعيد على أطلاله قوام الإمبراطورية مرة ثانية[٢].

---

(١) الشمالي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥ — ٣٠.

(٢) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٨، ودنلوب، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٥ — ٣٣٥.

رابعًا: الغزو المغولي للخزر

«نشأ المغول في هضبة منغوليا شمالي صحراء جوبي، وهي أراضٍ واسعة تتقدم المياه في بعض جهاتها وتكون حاجزًا منيعًا بين الأقاليم الصينية الحارة وبين الأراضي الباردة في سيبيريا، وقد جعلت الظروف الجغرافية من هذا الإقليم جدبًا، حيث تمتنع الرياح الدافئة عن هذا الإقليم بفعل الجبال المحيطة به، وفي الشتاء يصير المناخ شديد البرودة، فنتج عن ذلك ندرة الزراعة في غالبية تلك الأراضي، وهذا ما دفع السكان إلى الحياة الرعوية والجري وراء الرزق، وصارت حياتهم حياة التنقل وعدم الاستقرار، وعفت نفوسهم عن الزراعة؛ ولذلك فحياتهم المفضلة في الجبال طالما وُجد فيها العشب، فإذا انعدم العشب هجروا الجبال، ولكنهم لم يألفوا معنى الحضارة، وكثيرًا ما لجؤوا إلى التنافس والمشاحنة على الأراضي العشبية، لكن ذلك لم يمنع تكاتف قبائل المغول التي امتازت حياتها بالخشونة والعنف، وامتد طموحها نحو السيطرة على ما في يد الصينيين المجاورين لهم في الجنوب، وإزاء تلك الظروف اتجه الصينيون إلى بناء السور العظيم لوقف غارات المغول»[١].

---

(١) السيد، محمود (دكتور)، التتار والمغول، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر، ٢٠٠١م ص ٣٩.

ولم يظهر نفوذ قبائل المغول إلا بعد أن استطاع (جنكيز خان)[1] أن يجمع شمل قبائل قومه التي كانت تقطن شرق آسيا، وبأساليبه الذكية تربع على عرش المغول، واتخذ مدينة (قره قورم) عاصمة لدولته، ثم راح يُهذب قبائل التتر المجاورة لدولته في جيش قد أعده لذلك يصل تعداده إلى عشرة آلاف مقاتل، ولم يكن خطر لجنكيز خان أن يهدد جيرانه من قبائل التتر وحسب، بل أصبح يهدد أطراف الدولة الإسلامية في غرب آسيا.

كما أن حروبًا كثيرة قامت بين المغول وجيرانهم الخوارزميين، وقد تقارب الطرفان بعد عقد معاهدة صداقة وعلاقات تجارية تخللتها الوفود والهدايا المتبادلة؛ إلا أن حادثة (قتل الوفد المغولي)[2] من الخوارزميين أدى إلى تدهور العلاقة،

(١) كان يُعرف باسم تيموجين، أي الصلب المتين، تعلم في صباه إجادة الصيد والسباق والمصارعة وشظف العيش، وتفوق على أقرانه برجاحة العقل والمهارة، وامتاز في رسم الخطط وتدبير الأمور والانفراد بفكرة خطيرة خلاصتها بأن الحياة للقوي وحده لا للضعيف، وأصبحت هذه نظرية يختص بها، توفي والده الذي كان شيخ القبيلة نتيجة سم دسه له أحد أعدائه، مما دفع بأفراد القبيلة أن ينفضوا عن تيموجين وعائلته، وانتخبوا زعيمًا آخر عليهم، حيث قال أحدهم في الاجتماع: «لا حاجة للقوم إلى امرأة ضعيفة وأطفال مساكين». وكان هذا القول الشرارة الأولى التي أشعلت جذوة النشاط عند تيموجين، فجمع أنصاره وتمكن من جمع قبائل المغول تحت زعامته، ولقب جنكيز خان؛ أي (أعظم الحكام) سنة (٦٠٣ هـ - ١٢٠٦م)، راجع: المصدر نفسه، ص ٥ - ٦٠، وحطيط، أحمد (دكتور) حروب المغول، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤، ص ٤٠ - ٤٥.

(٢) أرسل المغول وفدًا إلى الخوارزميّين يتكون من عدد كبير من المفاوضين لأجل حل بعض الخلافات، إلا أن وشاية بهم قد وصلت إلى السلطان علاء الدين اتهمتهم =

وعزم جنكيز خان على محاربة الخوارزميين والانتقام منهم، وفعلاً تم ذلك في عام ٦١٥هـ - ١٢١٨م، إذ استولى جنكيز خان على الأراضي الواقعة بين نهري جيحون وسيحون، وكذلك جزر بحر قزوين وأذربيجان وجورجيا وبلاد ما وراء النهر، ثم استولى على بخارى وسمرقند، ليحول دون وصول إمدادات الخوارزميين إلى المدن المحاصرة شرق نهر جيحون، ولم تكن تلك الحملات التي كان يقوم بها المغول والتي كانت تطول هذه الأقاليم المذكورة حملات مخططًا لها مسبقًا، إنما كانت حملات مطاردة لجيوش السلطان علاء الدين خوارزم وملاحقته من إقليم إلى إقليم، ومن مدينة إلى أخرى، وكانت جيوش المغول تقوم بتجنيد أهالي تلك المدن الواقعة تحت سيطرتهم وتسويقهم للقتال قصرًا مع جيوش المغول، وبذلك أصبحت لدى المغول أعداد كبيرة جدًا من المقاتلين يصعب على الآخرين ردها والسيطرة عليها.

وقد طالت تلك الجيوش المغولية الدولة الخزرية، كما طالت غيرها من الممالك والأقاليم، لاسيما وأن الخزر قد فقدوا قوتهم أمام الروس سنة (٩٦٥م)، ولو أنهم ظلوا وقتًا ليس قليلاً يحاولون إعادة ما ذهب من هيبتهم خلال القرن الثالث عشر، محتفظين بحدود أضيق ببعض الاستقلال، ومتمسكين

= بالتجسس، وتقدير قوة السكان لغرض الإغارة واحتلال البلاد، فأقدم السلطان علاء الدين على قتلهم جميعًا، وإرسال خبرهم إلى جنكيزخان. راجع: حطيط مصدر سبق، ذكره ص ٤٣.

بيهوديتهم وممارسات طقوسها، وفي ذلك يقول (بارون): «وبوجه عـام ثابرت مملكة الخـزر المصغرة على البقـاء، ودافعت دفاعًا فعالًا تقريبًا ضد جميع أعدائها حتى منتصف القرن الثالث عشر حـين سقطت فريسة لغـارات المغول العاصفة التـي شنها جنكيز خـان، وجدير بالذكر أنها قاومت مقاومـة عنيفة إلى أن استسلم جميـع جيرانهـا، وامتصت حشـود (القبيلة الذهبيـة – Golden Horde) جزءًا كبـيرًا من سكانها، إلا أن الخزر كانوا قد أرسلوا قبل الزحف المغولي فروعًا لهم من سلالتهم في البلاد السلافية التي لم تخضع للمغول وهذا مما ساعدهم في النهاية على إقامة تجمعات يهودية ومراكز كبيرة في شرق أوروبا»[(١)].

ويقـول جون بيتـي: «وهكذا أخـذت تلك البـلاد الفسيحة تتقلص مـع الأيـام، وأخـذت دول أخـرى تتكون في هـذه البقع المتراميـة كلتوانيـا وبولونيا ودوقيـة موسكو وسواهـا من البلاد السلافية، وشرع الخزر يهاجرون من بلادهم، الأمر الذي عجل هجرتهم الغزو المغولي تحـت قيادة (جنكيز خان) الذي سيطر علـى البلاد بأكملها، وانتشر اليهود الخـزر في نواح متعددة من غربي روسيا والبلدان الأوروبية الأخرى»[(٢)].

---

(١) ويلـز، هـ. ج، معالم تاريخ الإنسانية، ج٣، تعريـب: عبدالعزيز توفيق جاويد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٥٩٨ – ٥٩٩.

(٢) جون بيتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧-١٨.

ويقول كيستلر: «وكان لنشوء إمبراطورية جديدة بدوية امتدت من المجر إلى الصين أثر كبير على اختفاء مملكة الخزر لاسيما وهي في أيامها الأخيرة؛ نتيجة ما طرأ عليها من عوامل الانحلال، وذلك بعد ظهور التحالف الروسي البيزنطي، وانضمام روسيا إلى العالم المسيحي، وفقدان دولة الخزر أهم الأقاليم التي كانت خاضعة لها وتمدها بواردات الضرائب والجمارك وتحمي تخومها من الغارات والحروب الخارجية»[١].

كذلك يذكر لنا عبدالرحمن شاكر في كتابه دولة الخزر الجديدة: «إلا أن المغول وحسبما يصفه المؤرخون اليهود كانوا متسامحين مع أبناء مملكة الخزر؛ إذ لم يتعرضوا لعقائدهم الدينية، مما ساعد هؤلاء اليهود على أن يحافظوا على معتقداتهم الدينية من خلال ممارسة الشعائر والتجمعات الطائفية بين الشعوب المسيحية»[٢].

ويؤكد نصر شمالي في قوله: «ويمكننا القول إن اجتياح جحافل المغول لأواسط آسيا وغربها الذي سبب انهيار تشكلات سياسية واجتماعية بدائية أمثال يهود الخزر كان له الأثر الكبير في تدفق أبناء هذه التشكيلات المنهارة إلى الدول المجاورة وإحداث مستجدات تمثلت بالتجمعات العرقية والسياسية والدينية.

---

(١) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ١٣١.

(٢) عبد الرحمن شاكر، مصدر سبق ذكره، ص ٤١.

وهذا ما حـدث فعلًا في دول أوروبـا عندما انهارت مملكة الخـزر اليهودية؛ إذ هاجر اليهود الخـزر بعد تدمير تجمعاتهم علـى أيدي المغول نحو مناطق الانتعاشـ الاقتصادي الجديد في أوروبا الوسطى والشمالية، وتربعوا على طريق المدن التجارية في بولونيا وشرق ألمانيا وروسيا ودول البلطيق وفنلندة»[1].

٭٭٭

(١) نصر شمالي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨.



تصوير
احمد ياسين
@Ahmedyassn90

المبحث الثاني

يهود الخزر والشتات

أولًا: الخزر في أوروبا

لقد عرفت أوروبا موجة من المهاجرين اليهود لم يسبق لها مثيل من قبل، وهذه الموجة قدمت إلى أوروبا الشرقية إبان انهيار دولة الخزر اليهودية وإعفاء ذكرها عقب الحروب والاحتياجات المغولية، وكان على هؤلاء اليهود المشردين أن يبحثوا لهم عن بلاد تلم شتاتهم وتجمع شملهم؛ لذلك رأيناهم يقصدون أماكن الانتعاش الاقتصادي في أوروبا الوسطى والشمالية وجزءًا من أوروبا الشرقية مثل بولونيا وشرق ألمانيا ودول البلطيق وفلندة، تاركين وراءهم أسطورة إمبراطورية ظهرت طوال قرون عديدة ثم انهارت من دون أن تترك أي أثر، وكان نصيب المدن الأوربية الرئيسة تجمع هؤلاء اليهود في مراكزها، يقول آرثر كيستلر: «بدأت مناطق أوروبا الوسطى والشرقية التي كفلت لمهاجري خزر اليهود وطنًا جديدًا وأمنًا معلنًا تكتسب أهمية سياسية نحو نهاية الألف الأولى من الميلاد فقط»[1].

---

(١) كيستلر مصدر سبق ذكره ص ١٣٢.

لقـد أصبحـت هنـاك روابـط سياسيـة بين هـذه البلدان الأوربية حـال وصول هؤلاء اليهود المهاجريـن إليها، وسنرى في هذا المبحث كيـف أن اليهود أدوا هذا الدور السياسي من خلال تجمعاتهم العنصرية هناك[١].

يقول نصر شمالي في كتابه ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية: «لايعنينا هنا الأصل العرقي لليهود، وقد عرفنا أن بضـع مئات من الآلاف وربما أقل من ذلك بكثير هاجرت من سواحل بحر قزوين الى أوروبا الشرقية في القرن الحادي عشر، وأن هجرة أخرى تمت بعد مئات السنين في أواخر القرن الخامس عشر كانت أقل عددًا من الأولى بكثير أيضًا، وقدمت من إسبانيا لتستقـر في أوروبا الغربية. لقـد تحققت كلٌّ من الهجرتين قسرًا وفي ظل تحولات تاريخية خطيرة عُظمى، ولم تكن تلك التحولات تتناول اليهود تحديدًا وإنما هي تناولتهم ضمنًا.

لقـد انتُزع اليهود في كلا الهجرتين مـن مواطنهم الأصلية انتزاعًـا، واقتلعوا من وسطهم الطبيعـي، الثقافي والاقتصادي، وقـد حمـل المهاجـرون الخزريون معهـم إلـى أوروبـا الشرقية تجربتهـم الطويلة في التماس والتعامل مع النظام الإسلامي؛ إذ كانـو يعيشون على تخومه، وهؤلاء قـد أصبحوا يُدعون فيما بعد

---

(١) زعرور، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٧.

بالأشكنــازيم، وحمل المهاجرون الأندلسيــون[1] معهم إلى أوروبا

(١) في عـام (١٤٩٢ م) استلـم الملك فرديناند وزوجته أزبيلا حكـم إسبانيا حين انتهى الحكم الإسلامـي فيها، وكان الملك فرديناند وزوجته كاثوليكيين شديدي التعصب، يحمـلان وجهتي نظر عـن اليهود بسبب سيدنا عيسى عليه السلام، فضلاً عن ذلك تجـد أن قيـام اليهـود بمحاولات التغلغـل في مجتمعـات وحريم ومصـارف الشعب الإسبـاني، بقصـد التخريب قد زاد من غيـظ الملك والملكة، وزيـادة إلى ذلك قيام اليهـود بتفسـير الفلسفـة اليونانيـة، مدعـين بأنها قطعة مـن الشريعـة اليهودية، قاصدين بذلك نشر أحكام الثورة تحت هذا الشعار؛ مما جعل الملك فرديناند يعمل علـى تنصير اليهود للتخلص مـن أفكارهم هذه، ووضع نهايـة لأفكارهم وحركتهم الهدامـة ضد المسيحية تحت قنـاع العلم والفلسفة، وقد تنصـر بعضم ظاهرًا، وفي الوقت نفسه قام الملك بطرد أكثرهم من ثلث مئة ألف يهودي من إسبانيا؛ وذلك في ٢ آب ١٤٩٢، وكان مـراد الثاني على كرسي السلطنـه العثمانية، إذ استجاب لطلب تقـدم به حاخامات يهـود أوروبا يستعطفونـه في السماح ليهـود إسبانيا المطرودين باللجـوء إلـى الدولـة العثمانية، وفعـلاً تم لليهود ذلـك عندما وافـق بايزيد الثاني دون قيـد أو شـرط أن يرسل له قسمًا منهم إلى جزيـرة ساقز ليعيشوا بحرية تامة، كذلـك عندما فتح السلطان سليمان القانوني جزيرة رودس عام ١٥٢٢م أتى اليهود الذيـن استقـروا في جزيـرة ساقز إلـى رودس ومنحهـم امتياز معـدن الكبريت في (أينجـر لي) ليصبح هؤلاء أهـل الثراء والمال بعد أن عاشوا حياة البؤس والفاقة في مناطقهم السابقة.

ثم بعـد وصول الأتراك العثمانيون إلى بودابسـت سنة ١٥٢٥ واقتحام الجيش العثمـاني المجـر سنـة ١٦٧٤ وجد الأتـراك أمامهـم جماعات من اليهـود تعيش في الفقـر والفاقة والأوضاع الرديئة، فحملوهم إلى المـدن الرئيسة في الدولة العثمانية كالقسطنطينية وأدرنة وأزمير وسلانيك وبلوانه وغيرها، وبالتالي فقد سيطر هؤلاء على مفاصـل الاقتصاد في الدولة العثمانية، وتدخلـوا في مجتمعات وحرم السلطنة بعـد أن تمتعـوا بقـدر من الاستقـلال الذاتـي والرفاهيـة التامة التـي تمكنهم من الحصول على مناصب مهمة في المراكز الحساسة، بل وصل الأمر إلى زواج السلطان سليم الثاني من اليهودية (نورباتو)، وهكذا كانت نهاية الخلافة الإسلامية في تركيا علي يـد اليهود... راجع: النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧ — ٢٨. وللمزيد من التفاصيل راجع: النعيمي، أحمد نوري، الدور السياسي ليهود الدونمه في تركيا، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، طرابلس، ٢٠٠١، ص ١١— ٢٠.

الغربية خبرتهم الإسلامية العميقة في المجالات كافة؛ إذ كانوا جزءًا لا يتجزأ ولا يتميز في النظام الإسلامي.

وهؤلاء هم من أصبحوا يدعون فيما بعد بالسفارديم، وقد كان كلاهما الخزريون والأندلسيون متفوقين في وظائفهم الاقتصادية والثقافية والدينية على الأوربيين في الغرب والشرق، ولم يكن ذلك التفوق في جوهره سوى شكل بسيط من أشكال تفوق النظام الإسلامي في طوره العالمي، وقد رأينا كيف استوطن اليهود في أوروبا على خطوط مواصلات اتحاد المدن التجارية الأوربية، وما كان لهم بالطبع أن يفعلوا غير ذلك، نجد أن مثل هذا الاستيطان لا يعني شيئًا في إطار النظام الإسلامي المتقدم، لكنه كان يعني الكثير فيما يخص التشكيلات الاجتماعية المتخلفة في أوروبا الإقطاعية، ومن هنا بدأت المسألة اليهودية بالظهور في تلك المناطق بعد أن تلاشت تمامًا خلال ثمان مئة عام تقريبًا في معظم مناطق العالم المتحضر(١).

تقول المصادر التاريخية إن اليهود السلافيين بصورة عامة وكذلك يهود هنغاريا يعودون في أصولهم التاريخية إلى ليهود الخزر، وكان هؤلاء قد أسسوا في العصور الوسطى ما يعرف بالمجتمع اليهودي الشرقي الذي كان يشكل غالبية يهود العالم،

---

(١) نصر شمالي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢١ - ١٢٢.

أما يهود بولونيا فغالبيتهم من الإشكينازيم الذين هاجروا من ألمانيا إلى بولونيا بعد سلسلة أعمال الاضطهاد التي رافقت انتشار الطاعون الأسود عام ١٣٤٩م، والتي تلت ذلك، يقول إسحاق دويتشر: إن يهود أوروبا الشرقية بصورة عامة ويهود روسيا بصورة خاصة، خلافًا ليهود أوروبا الغربية لم يندمجوا خلال القرن التاسع عشر في مجتماتهم، لقد عاش الملايين في شرقي أوروبا جماعات منفصلة يرتدون ملابس مميزة، ويتكلمون لغتهم الخاصة، ويطورون ثقافتهم وأدبهم، وبقيت البديشية لغتهم[1]، ويتابع دويتشر: ولم يكن انعزالهم هذا

---

(١) لغة الييديش (Yidish) هي اللغة العامية لمعظم اليهود الأشكنازيم في وسط وشرقي أوروبا، وكانت منذ عام (١٨٠٠)م منتشرة من هولندا حتى أوكرانيا، ومن لاتفيا حتى رومانيا، بينما أهملت هذه اللغة في ألمانية وهولندة في القرن التاسع عشر، وحملها المهاجرون إلى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية وفلسطين وباقي القارات. وفي عام ١٩٣٩ كان تعداد الناطقين بها أحد عشر مليونًا، تناقص عددهم جدًا بعدما قتل النازيون من ثلاثة إلى ستة ملايين يهودي في أوروبا، والبديش خليط لغوي منذ بدايتها في القرن التاسع وخلال ألف سنة من وجودها، فيها العبري وجرمانية القرون الوسطى ولاتيني وآرامي وسلافي، وتكتب بالحرف العبري، وهي في طريقها إلى الاندثار. في دول أوروبا الشرقية دخلت كلمات من اللغات السلافية وتأثر الصرف والنحو واللهجة منذ القرن الرابع عشر. وقد تسربت الكلمات الألمانية إلى الييديش من المناطق الشرقية من ألمانيا (النمسا وبافاريا) المجاورة للحزام السلافي لأوروبا الشرقية لغة القرن الخامس عشر وهذه اللغة عدة لهجات متقاربة الغربية والوسطى والشمالية والشرقية والجنوبية الشرقية حسب التوزيع الجغرافي لليهود في أوروبا، ولم تبرز لهجة خاصة في الولايات المتحدة، لكنها تأثرت بالإنكليزية، وفي نهاية القرن الثامن عشر كانت الييديش ترتكز على اللهجات الغربية، بينما تحولت في القرن التاسع عشر إلى اللهجات الشرقية. راجع: بشور، مصدر سبق ذكره، ص ١٦١ — ١٦٢.

بتأثير مـن الصهيونية، فقد ظلت الأغلبيـة العظمى منهم حتى نهاية الحرب العالمية الثانية معارضة للصهيونية، ومع هذا فإننا نجد يهود أوروبا الشرقية -وبحكم الظروف التي خلفتها الحرب العالمية- كانوا هم قوام الدولة الصهيونية في فلسطين فيما بعد، والتـي وصفت بأنها (مستعمرة روحية ليهـود أوروبا الشرقية)، وظلـت أوروبا الشرقية إلى وقـت قريب، وعلى وجه التحديد إلى ما قبيـل الحرب العالميـة الثانية أحـد أكبر مراكـز الجماعات اليهودية في العالم، وقد أسهمت ظروف نشأة الاتجاهات الفاشية في ألمانيـا، وخضـوع دول أوروبـا الشرقية للسيطـرة النازية في تشتيـت وتقليص حجم الجماعات إلى حد بعيد، وقد كان ظهور التيـارات المناهضة لليهوديـة في ألمانيا وأوروبـا الشرقية بمثابة الفرصـة الذهبية التي استغلتهـا الصهيونية لتوجيه جانب كبير من سبل الهجرة إلى فلسطين تحت الانتداب، أولًا ثم إلى (دولة إسرائيـل) بعد عام ١٩٤٨، كذلك استغلت المنظمات الصهيونية عطف الرأي العام الأوربي على اليهود نتيجة المحنة التي تعرضوا لهل في أيـام السيطرة النازية على أوروبا، ومساعدة الحكومات الغربية وخاصة حكومتي بريطانيـا والولايات المتحدة[١] لتوجيه

(١) يقول وليام شيرر: لم يكتف النازيون من حرمان اليهود من كماليات الحياة وطرائفها، بـل حرموهم أيضًا مـن ضروراتها، فكان اليهودي يجد مـن الصعوبة بمكان العثور علـى الطعـام عن طريق الشـراء، فهناك على أبـواب حوانيت البقالـة وبيع اللحوم ومحـلات الألبان لافتات كتب عليها: «يمنـع دخول اليهود»، وقد استحال على اليهود أيضًا الحصول على الحليب لتغذية أطفالهم، كما أن الصيدليات كانت تمنع عليهم =

أكبر عدد ممكن من يهود أوروبا الشرقية ومن اليهود الذين تم ترحيلهم من معسكرات الاعتقال النازية إلى أرض فلسطين.

والغريب أن حكومات أوروبا الشرقية حتى بعد دخولها في النظام الاشتراكي تركت باب الهجرة أمام مواطنيها اليهود

= بيع الدواء، و كانت الفنادق ترفض مبيتهم فيها، وحيثما ذهبوا كانوا يجدون لافتات مؤلمة تحمل عبارات مثل: «يمنع على اليهود منعًا باتًا دخول هذه المدينة» أو مثل: «إذا دخل اليهود هذا المكان فعليهم أن يتحملوا مسؤولية هذه المجازفة»، وارتفعت لوحة عند منعطف حاد وخطر على مقربة من لودفيغر هافن تقول: «قد سيارتك بعناية! منعطف حاد وخطر، أما اليهود فعليهم السير بسرعة ٧٥ ميل في الساعة».

لقد سن هتلر قوانين صارمة ضد اليهود أحالتهم إلى مرتبة (الرعايا) لا المواطنين، وحظرت التزاوج بين اليهود والآريين، والعلاقات غير الزوجية معهم،كما شرع قانونًا يعد اليهود أناسًا لا شرعية لوجودهم كليًّا، وحرموا من الوظائف العامة والخاصة والعمل في الصحافة والإذاعة والزراعة والتعليم، كما أخرجوا من أسواق البورصة، ومنعوا من ممارسة المحاماة والطب والتجارة. راجع بذلك: شيرر وليام، تاريخ ألمانيا الهتلرية، تعريب: خيري حماد، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ط٢، ١٩٦٦، ص ٤٢٧ — ٤٢٨.

يرد على هذا الرأي أدولف هتلر قائلا: «اكتشفت مع الأيام أن ما من فضل مغاير للأخلاق، وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد، واستطعت أن أقيس مدى تاثير الشعب المختار في تسميم أفكار الشعب وتخديره وشل حيويته، بتتبعي نشاطه في الصحف وفي ميادين الفنون والآداب والتمثيل، فقد امتد أخطبوط اليهود إلى هذه الميادين جميعًا، وفرض سيطرته عليها ووسمها بطابعة... و عجّل في بلورة موقفي من اليهود تكالبهم على جمع المال، وسلوك معظمهم السبل الملتوية لبلوغ هذه الغاية، وترويجهم سوق الدعارة، وفي الإتجار بالرقيق الأبيض، وهذا الدور الذي يؤديه أبطاله مهارة لم ينتبه إلى خطورته الشعب الألماني إلاّ في الحرب العالمية الكبرى. أما أنا فقد سرت القشعريرة في جسدي عندما اكتشفت أن اليهودي هذا المخلوق الوديع هو الذي يستثمر البغاء السري والعلني، ويجعل منه تجارةً رابحة...». راجع: هتلر، أدولف، كفاحي، دار بيروت، ص ١٩ — ٢٠ ٢٠٠ — ٢٠٧ ٢٠٨ — ٢١٢.

مفتوحًا، وقاد ذلك إلى تصفية جاليات يهودية بأكملها تقريبًا في أوروبا الشرقية مثل: بلغاريا ويوغوسلافيا، وإلى انخفاض عدد هذه الطوائف بصورة صارخة في بلدان مثل: بولونيا ورومانيا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا، وكان استمرار تدفق الهجرة اليهودية يتم بمفاوضات رسمية بين المنظمات الصهيونية وحكومات هذه الدول[1].

ثانيًا: يهود الخزر في المجر

وقد ذكرنا قبل قليل أن يهود الخزر كانت لهم محطات بشرية في الدول الأوروبية والدول المجاورة لمملكتهم شغلت أدوارًا أشبه ما تكون بالسفارات أو البعثات الدبلوماسية، ومن جهة أخرى كان حكام بعض الدول المجاورة يستفيدون من وجود الجاليات اليهودية الخزرية في بلادهم، فقد حدث في القرن العاشر الميلادي أن الدوق المجري (تاكسوني) قد دعا إليه عددًا من اليهود الخزر للاستيطان في مقاطعته، ونرى أن هؤلاء بعد مدة تقرب من المئتي سنة قد تركوا أثرًا واضحًا يتمثل في أعداد كبيرة من الجنود في الجيش المجري، وقد أدى هؤلاء دورًا جوهريًا في السياسة الداخلية للمجر، وأصبحوا فيما بعد يتمتعون بثقل اجتماعي وسياسي بالوقت نفسه.

(١) ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري البصري، (ت ٢٤٠ هـ - ٨٥٤ م)، تاريخ خليفة بن خياط، حققه: سهيل زكار، مطابع دار وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٧ ص ٤٢٦.

ونـرى أن القديس (ستيفن) الذي تـرك اليهودية واعتنق الكاثوليكية فيما بعد كان يهوديًّا خزريًا، كما أن نفوذًا لا يستهان به قد امتد في عنعنـات السلطة وفي البلاط الملكي المجري، مما حـدا بالملك (أندريه الثاني) سنـة ١٢٢٢م أن يصدر أمرًا ملكيًّا ينص فيـه بعدم الجـواز لليهـود أن يعملوا رؤسـاء في دار سك النقـود أو جبـاة ضرائب أو مراقبين للاحتـكار أو ما يشبه ذلك مـن الوظائف، وهذا الأمر يدلل لنا على أن اليهود كانوا يشغلون وظائف كثيرة في الدولـة، والواقع أنهم شغلوا مناصب أعلى من تلك بكثير؛ فقد كان أمين إرادات الملك يهوديًّا خزري الأصل؛ هو الكونـت (تيكا)، وكان ثريًّا امتلك أراضـ كثيرة في الدولة، وقد جعلته عبقريته وذكاؤه أن يكون مسؤولًا عن العديد من معاهدات الصلح والاتفاقـات المالية بين المجر والنمسـا، وكان دوره أشبه بـدور اليهـودي الإسباني حسـداي بن شـبروط في بلاط خليفة قرطبـة، ويذكر أنـه احتفظ في منصبه هذا إحـدى عشرة سنة بعد صدور أمر الملك بمنع اشتغال اليهود في المناصب الحساسة؛ إلا أن الضغـط البابـوي على الملـك اضطره إلـى أن يطلب منه الاستقالة والرحيل إلى النمسا.

وهكذا فإن الوجود اليهودي الخزري في المجر له خاصيتهن إذ كان للعلاقـة القديمـة بـين الخـزر والمجريـين أثـر كبير في ذلـك، وإن إرسال الخزر فروعهـم إلى المجر أيام زهو مملكتهم

كانت نتائجه إنقاذ مستقبل الجماعات اليهودية المشتتة على أيدي المغول[1].

إن الأصل الخزري ليهود المجر ثابت وثائقيًا، وإن الأعداد المهاجرة إلى المجر من اليهود انطلقت من السهوب الأوراسية نحو الغرب، أي نحو أوروبا الوسطى والشرقية، وقد قاموا بتأسيس مستعمرات ومستوطنات خزرية في أماكن مختلفة من المجر، وقد سموا الكثير من الأحياء والمستعمرات التي أقاموها بأسماء خزرية، وكما فعلوا ذلك في الأماكن الأخرى من روسيا وأوكرانيا وجنوب روسيا، وطبقًا لما جاء في مقال عنوانه (إحصاءات) في دائرة المعارف اليهودية فقد بلغ المجموع الكلي لليهود في العالم أجمع في القرن السادس عشر نحو مليون نسمة، وهذا فيما يدل طبقًا لما يراه بولياك وكوتشيرا وغيرهما أن غالبية من أعلنوا اعتناقهم لليهودية في العصور الوسطى كانوا من الخزر الذين رحلوا إلى المجر وبولندا ولتوانيا والبلقان، وأسسوا ذلك المجتمع الشرقي الذي أصبح بدوره الغالبية المسيطرة من يهود العالم.

وهناك أسباب أخرى تعزو الدور القيادي في نمو وتطور المجتمع اليهودي في البلدان التي هاجر إليها اليهود عقب انهيار إمبراطورية الخزر أيام انتعاش حالتهم السياسية، وكانت هذه

---

(١) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٠ - ١٤٣.

القواعد بمثابة بؤر تجمعية اهتمت بجميع شؤونهم ورتبت لهم الأوضاع التي يحتاج لها عند فقدانهم للكيان الخزري، مما أهلتهم هذه الترتيبات المقدمة إلى إشغالهم مناصب ممتازة استطاعوا احتكارها والسيطرة عليها نتيجة خبرتهم الماضية في حياتهم التجارية الداخلية والخارجية.

و كتب بولياك يقول: «بعد الفتح المغولي هامت القرى السلافية نحو الغرب، وانتقلت معها المدن الخزرية»، ويحتمل أن رواد المستوطنات المجرية كانوا من الأغنياء الخزر، فعبروا بولندا سالكين الطرق التجارية المألوفة نحو المجر، وهذه الطريقة فتحت الطريق للمهاجرين أن يجعلوا بولندة منطقة عبور بين بلادهم الأصلية والمجر، فضلًا عن كونهم مُلمين بأحوال المناطق التي كانوا يجوبونها؛ مما أتاح لهم الاتصال بأصحاب الأراضي الذين يبحثون عن مستأجرين[1].

ثالثًا: يهود الخزر في بولندا و أدوارهم السياسية

تعود التجمعات اليهودية في بولونيا إلى أصول خزرية اعتنقت الديانة اليهودية في بداية ازدهار إمبراطورية الخزر في القرن الثامن الميلادي، ثم أخذوا بالانتشار شمالًا بعد انهيار الإمبراطورية في القرن الثاني عشر، وقد امتازت هذه

---

(١) العاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣ – ١٠٦.

الجماعات اليهودية بأنها احتلت وظيفة اجتماعية محدودة هي الوظيفة التجارية التي وضعتها في مرتبة اجتماعية متميزة في حقبة تاريخية معينة، وحالت دون ذوبانها في المجتمعات التي تقيم فيها، والتي تختلف عنها اختلافًا طبقيًّا كبيرًا، وتؤكد الوثائق المتوافرة لدى المؤرخين هذه الوظيفة للجماعات اليهودية المتدفقة على المجتمعات الإقطاعية الأوروبية الشرقية؛ إذ عُثر مثلاً على نقود بولونية تحمل حروفًا عبرية يعود تاريخها إلى القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين، كما يُشار إلى وثيقة تعود إلى ١١١٣م جاء فيها أن سكان مدينة كييف الروسية يتأهبون لنهب قصور وأموال الأمراء اليهود، وبأن الفلاحين في إحدى المدن قد شهروا عام ١٤٣١م السلاح مطالبين بتسليم اليهود؛ «لأنهم أفقروهم وجردوهم من ثيابهم الأخيرة»[١].

ويُشار إلى أن مواقع هؤلاء التجار تعززت في الأراضي البولونية بفضل الحماية والرعاية التي منحها الأمراء البولونيون للتجار بشكل عام، وامتاز هذا بظهور الطبقة الاجتماعية المتميزة عن الفلاحين والأقنان في كل مفاصل الحياة، مما ساعد هؤلاء التجار إلى بلوغ الثراء الفاحش والسيطرة التامة على اقتصاد وتجارة المقاطعات البولونية، ولم يكتفِ الأمراء البولونيون بهذه

---

(١) حجاوي، سلامة، اليهود السوفييت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠ ص ٨.

الرعايــة لليهود؛ فقد راحوا يحثــون الروس على السماح للتجار اليهــود بدخول موسكو، وذلك أن القياصرة الروس منعوا دخول هــؤلاء التجار إلى أراضيهم، وكانــوا يحرقون البضائع التي كان يحملها التجار القادمون إلى موسكو عند أبواب المدينة، إذ إنهم وجــدوا في التجار اليهود مــن يحمل بذور الثقافــة الغربية التي يكرهونهــا في مجتمعهم الســلافي المتزمــت والمتمسك بالمذهب الأرثوذوكســي، فقد بعث إيفــان الرهيب قيصــر روسيا في عام ١٥٥٠م رسالــةً يرد بها على ملك بولونيا قائلًا: «ليس من الملائم السماح لليهود بالمجيء ببضائعهم إلى روسيا نظرًا إلى ما ينجم عن ذلك من شرور؛ فهم يأتون بالأعشاب السامة (الأدوية) إلى أراضينــا، ويغرون الروس بعيدًا عن المسيحيــة؛ لذلك أرجو من ملك بولونيا ألا يكتب إلينا بهذا الشأن ثانية».

وكان عدد هؤلاء اليهود خلال القرنين الثاني والثالث عشر لم يتجــاوز بضعــة آلاف، ولما كانت الأراضــي الروسية مغلقة في وجوههــم فقــد قفز عدد اليهــود في بولونيا إلى خمســ مئة ألف شخص، ويعزي سبب هــذا الارتفاع إلى طبيعة ازدهار الأوضاع الاقتصادية، وتوســع الأعمال التجارية، ودعم السلطة البولونية التــي منحتهــم حــق تشكيــل مجلســ سمــي (الكحــال) لإدارة شؤونهم الخاصة، كما تعهدت الدولة بوضع قواها العميقة تحت تصرفهم في الحــالات الموجبة، ويوصف ذلــك العصر بالعصر

الذهبي لليهود، زيادة على ذلك فقد استطاع هؤلاء التجار اليهود الاستيلاء على أملاك الاقطاعيين بطرائقهم المالية المعروفة من تراكم الديون والفوائد، وفوق هذا كله فقد عُيِّن رجل الأعمال اليهودي يوسفوفيتش أمينًا لخزينة الدولة ووكيلًا لأملاك العائلة المالكة. إلا أن معالم التدهور في أوضاع اليهود الاقتصادية قد بدت في أواخر القرن السادس عشر؛ وذلك نتيجة اشتداد المنافسة بين البرجوازية اليهودية والبرجوازية البولونية الأصل، كذلك ازدياد عدد اليهود، مما دفع السلطة إلى محاولة حماية هؤلاء من الانهيار، فقسمتهم إلى فئتين: الفئة الأولى المرتبطة بالملك والمكونة من كبار التجار، والفئة الثانية من صغار التجار وجباة الضرائب وأصحاب الخمارات والصناعيين؛ مما سبب ذلك في نشوب الكثير من النزاعات التي أفضت إلى عزل اليهود في أماكن سكنية خاصة، نشأ من خلال ذلك بعض أشكال (الغيتو) اليهودي[1].

---

(١) الغيتو أو الجيتو هو الحي الذي يفرض على اليهود أن يعيشوا فيه داخل مدينة سكانها من غير اليهود، وكان الجيتو ابتداءً من النصف الثاني للقرن السادس عشر فصاعدًا الشامل الجامع لليهود في أي بقعة في العالم المسيحي وفي معظم العالم الإسلامي، وكان الجيتو محاطًا بأسوار لها بوابات تغلق ليلًا، الأمر الذي سبب لقاطنيه مرض الخوف من العيش في الأماكن المغلقة، والتفكير الضيق، ولكنه خلق أيضًا جوًّا من الأمن في أوقات الشغب، ونظرًا لتعذر توسع مساحة الجيتو فإن السكان يعيشون فيه بأحوال صحية سيئة. راجع: كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ١٥١.

وقد تطورت أوضاع اليهود إلى أن مُنع التجار اليهود من الإقامة في المدن الكبيرة؛ نتيجة للاحتجاجات المطالبة بوضع حد لتجاوزاتهم، زيادة على ما يلاقيه اليهود العاملون في خدمة الإقطاعيين من الاضطهاد والتنكيل، وتردت أوضاع الإمبراطورية البولونية وتفاقمت النقمة والتذمر، وتشكلت تنظيمات تهاجم مواقع اليهود رافعين شعار: «علقوا البولوني واليهودي والكلب على الشجر»، وتردت أحوال اليهود في ذلك الوقت، وأخذت بالانحدار التدريجي نحو الفقر، وظهر الشحاذون والعاطلون في صفوف اليهود، وانتشرت الأمية وحلت القبالة[1] محل التلمود، وفقد الكحال سيطرته على جموع اليهود، وترافق ذلك مع أوضاع الإمبراطورية البولونية عامة إلى أن استطاعت السلطة القيصرية الروسية من استعادة بعض الأراضي الخاضعة

(١) القبالة معناها في اللغة القبول والتلقي للرواية الشفوية، وفي هذا المجال عرف (لويس غنزبرغ) أستاذ التلمود في المدرسة اللاهوتية في نيويورك (القبالة) بأنها مصطلح يراد به التعليم الباطني المتعلق بالله والكائنات، ونزل هذا وحيًا على أكرم القديسين في الزمن القديم، واحتفظ به عدد قليل من الأخيار، وكانت القبالة في مراحلها الأولى تدعى (الحكمة المستورة)، وأطلق على دارسيها (طلاب النعمة)، وقال هـ. فلمان في كتابه تاريخ اليهود من أقدم الأزمنة إلى العصر الحديث: «القبالة سر فوق الأسرار ادعت القدم والوحي والرواية عن الأوائل والقبائل، كانت قائمة على عدم التنجيم السحري، تعاطاه كثيرون فسموا الحكماء، وجعلوا هذا المعنى يتضمن المعنى الباطني لتفسير الناموس، والأنبياء درسوا التلمود ثم اجتازوه إلى تعاليم أعلى وأبعد، كأن كتابهم (الأشراف) والزهور دستورهم المقدس، والقبالة السرية تبدو على طول المدى. راجع: النعيمي، أحمد نوري (دكتور) يهود الدونمة. دراسة في الأصول والعقائد والمواقف، دار النشر للتوزيع والنشر بغداد، ١٩٩٥ ص ١٧.

للإمبراطورية البولونية التي تضم عددًا كبيرًا من اليهود الذين يقيمـون فيهـا، وعلى الرغم مـن كرههم لهؤلاء فقـد سُمح لهم بالبقـاء فيها، ويعتقد أن هؤلاء هم الذيـن شكلوا ما عرف فيما بعد (بمجموعة يهود موسكو).

يقـول كيستلـر في كتابه القبيلـة الثالثة عشـرة: «ففي عام ٩٦٢م ألفـت عدة قبائـل سلافية حلفًا تحت قيـادة أقواها وهي قبيلـة (البولان) التي أصبحت نواة الدولة البولونية، وهكذا كان بـزوغ نجم بولندا متزامنًا مع تدهـور دولة الخزر، ومما لا شك فيـه أن اليهود يـؤدون دورًا مهمًّا في إحـدى الأساطير البولندية القديمة التي لها علاقة بتأسيس المملكة، إذ تروي لنا الأسطورة انتخـاب (اليهودي إبراهـام بروكوفنيك) ملكًا لهـا، وهذا كان تاجـرًا خزريًّـا، وهذه الحالـة تدلل لنا على ترحيـب البولنديين بهجـرة يهود الخـزر إليهم بعدِّهم قـوةً اقتصاديـةً هم بحاجة إليهـا؛ شأنهم شان الأكان والأرمـن والسلاف الجنوبيِّين الذين رحبت بهم المملكة من أجل بناء الحضارة والمدينة الجديدة. ثم إن المملكة اتخذت إجراءات مشجعة لجذب المهاجرين إليها ومن ضمنهـم يهود الخزر؛ وذلك بإصدار البراءة الملكية التي تحفظ للمهاجر حـق الاستيطان والاحتفاظ بحقوقه وامتلاك الأراضي والعمل في أي حرفة.

كما يحق للجالية اليهودية بناء المعابد والمدارس والمحاكم الخاصة بهم بل إن برلمانًا خاصًا باليهود قد قرر لهم وكان يحتفظ بسلطة الضرائب وفرضها على أقرانهم في الدين. وقد وصل نفوذ اليهود في البلاد إلى تعالٍ مستمر يدلل عليه كتابٌ أرسله البابا (كلمنت الرابع) إلى أمير بولندي يذكر فيه أن روما تعلم تمامًا بوجود عدد كبير من المعابد اليهودية في المدن البولونية، ويعلن البابا أسفه من طبيعة وفخامة هذه المعابد التي تبدو الكنائس هزيلة بجوارها[1].

وتكشف المصادر التاريخية البولندية عن الأدوار الاقتصادية التي شغلها اليهود في تلك الحقبة لما كانوا يمتلكونه من القدرة والإمكانيات الخاصة بالتجارة الخارجية والداخلية، فقد كان أكثر المرابين ورؤساء دوائر سك العملة منهم، فضلًا عن مديري الدخل الملكي وأصحاب المصارف وجباة الضرائب؛ بل إن هناك أسماءً يهودية كانت تُكتب أحيانًا على العملة، ولم تقتصر نشاطات اليهود على التجارة؛ بل أصبحوا يمتلكون الأراضي الواسعة، إذ صاروا يملكون قرىً بأكملها، أخذت تتوسع ليسكن فيها اليهود بشكل جماعي يمارسون فيها الزراعة وغيرها من الحرف، ومن الأعمال التي اختص اليهود بها إدارة الطواحين والفندقة وتجارة الفراء[2].

(١) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٧ – ١٤٨.
(٢) كيستلر، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٨ – ١٥٠.

أما الأوضاع الاجتماعية لدى اليهود فإنها غالبًا ما تتغير بالاتجاه المعاكس لطموحاتهم؛ وذلك بأن سلوك الجماعات اليهودية في أماكن عملهم تعكس عليهم نمط السكان الأصليين أو الحكومات، فتتغلب الظروف الاجتماعية على اليهود كما حصل في قيام الإقطاع في القرن الرابع عشر في بولندا الذي تسبب في نقل فلاحي بولندا شيئًا فشيئًا إلى رقيق لا يجوز لهم ترك قراهم وليست لهم حرية الحركة، فضلًا عن إصدار البرلمان البولندي قرارًا يمنع اليهود حيازة أرض زراعية. أما أصحاب المهن الأخرى من اليهود فلم تستقِم لهم المدن لتستقر فيها أعمالهم؛ لذا نراهم يتجهون إلى الحرف الشعبية كصناع العجلات والصاغة والخياطين وجزاري اللحم والخبازين، كذلك كان هناك كاتبو الرسائل للأميين والرواة المتجولين، كما احتكر بعض اليهود بعض الأنواع من التجارة مثل: تجارة الخشب وتجارة العربات.

أما عن مستقبل اليهود وأدوارهم السياسية التي أدتها تجمعاتهم في بولندا فيذكر لنا المسيري في الموسوعة اليهودية أنه كانت الجماعة اليهودية في بولندا وحدة أساسية تستمد وجودها داخل التشكيل السياسي الحضاري البولندي، إلا أنهم كانوا جماعة وظيفية وسيطة تتطلع في وظائف المال والتجارة وبمهن وحرف معينة، والجماعات الوظيفية عادة ما تحتفظ بعزلتها

وسماتها الإثنية (التي أحضرتها معها من موطنها الأصلي) حتى تتمكن من الاضطلاع بوظيفتها في المجتمع التي وفدت إليه، وكان يهود شرق أوروبا يتحدثون الأبيدشية في وسط يتحدث إما البولندية وإما الأوكرانية، ويرتدون أزياء مميزة، ويؤمنون باليهودية في وسط يؤمن بالمسيحية، وقد عاشوا في مدن صغيرة وفرت لهم تربة يهودية يديشية معزولة نسبيًّا عن عالم الأغيار، لكن عقيدتهم اليهودية نفسها بدأت تدخلها عناصر صوفية بتأثير القبالة (بتأثير المسيحية الأرثوذكسية الشعبية والهرطقات الدينية المختلفة التي وجدوها بين الفلاحين السولافيين)، ومما يجدر ذكره أن المستوى المعيشي لليهود اليديشية كان مرتفعًا قياسًا لعامة الشعب من الفلاحين والأقنان.

وتعرض تماسك اليهود اليديشية لعدة هجمات وضربات خلخلت وضع الجماعة اليهودية، وكان أعظمها تقسيم بولندا الذي أنهى وجودها السياسي في عام (١٧٩٥م)، وبتقسيمها بين الإمبراطورية الروسية والإمبراطورية النمساوية وألمانيا (بروسيا)، وقد ضمت روسيا أكبر الأراضي التي كان يسكنها أكبر عدد من اليهود أيضًا. وقد كانت حكومات البلاد الثلاثة التي اقتسمت بولندا وسكانها اليهود، ويحكمها حكام مطلقون مستنيرون وهم (فردريك الثاني – روسيا) و(جوزيف الثاني- النمسا) و(كاترين الثانية- روسيا)، فتبنت هذه الحكومات

مقياس مدى نفع اليهود وإمكانية إصلاحهم وتقليل عزلتهم، فتم تقسيمهم إلى نافعين وغير نافعين، وكان الهدف إصلاح اليهود وزيادة عدد النافعين وطرد الضارين منهم أو منع زيادتهم، وبهذا تلقى يهود الييديشية هذه الضربات في مرحلة كانت اليهودية تمر فيها بأخطر أزماتها؛ إذ ظهرت الحركات الفرانكية والحسيدية التي تحدت سلطة مؤسسات اليهود الحاخامية، وتولدت الصراعات الحادة بين تلك الحركات؛ مما أدى إلى تفاقم الأوضاع وتدهورها نحو الأسوأ، ومما زاد في ذلك سوءًا الانفجار السكاني الذي حدث بين اليهود؛ إذ زاد عددهم آنذاك على ستة أضعاف أو أكثر؛ مما أدى إلى تداعي وحدة اليهود وخصوصيتهم واختفاء لغتهم الييديشية واندماج تلك الجماعات اليهودية في مجتمعات أخرى؛ مما اضطرت أعدادًا كبيرة من اليهود إلى الهجرة إلى أوروبا وألمانيا وفرنسا وإنكلترا وإلى الأرجنتين وكندا وإلى جنوب إفريقيا، ثم إلى الولايات المتحدة التي كانت لها الحصة الكبيرة في استقبال الجماعات اليهودية. وقد أدت هذه الهجرات إلى حدوث رد فعل عنصرية في ألمانيا وفرنسا وإنكلترا؛ الأمر الذي أدى إلى طرح الفكرة الصهيونية في إنكلترا ثم بقية دول غرب أوروبا.

وعلى الرغم من توافر فرص العمل للمهاجرين من اليهود في معظم البلاد التي هاجروا إليها إلا أن ذلك لا يعني

اندماجهم وانسجامهم مع المجتمعات المضيفة لهم؛ لما يمتازون به من أساليب غريبة عن المجتمعات وتصرفات تُحدث في المدن التي يعيشونها أزمات اجتماعية واقتصادية وربما سياسية؛ لذلك فإن ردود الفعل العنصري ضد هؤلاء المهاجرين قد تنامى كثيرًا، وولد الأزمات المتتالية للجاليات اليهودية، مما أدى إلى فكرة تجميع اليهود في وطن قومي ينؤون به عن المجتمعات الكبيرة التي أصبحت ترفضهم وتضيق عليهم سبل العيش[1].

أما في الولايات المتحدة التي لجأ إليها الملايين فكانت توجد أمام المهاجرين من اليهود مجالات العمل أوسع من غيرها؛ لذلك لم تحدث توترات اجتماعية كما حدثت في باقي الدول[2]؛

---

(١) المسيري، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٣.

(٢) «كان أول اتصال رسمي بين الطوائف اليهودية وحكومة أمريكية في عام ١٧٩٠ بعد عام واحد من انتخاب جورج واشنطن رئيسًا للجمهورية الجديدة؛ ففي أغسطس عام ١٧٩٠ وفي أثناء زيارة قام بها واشنطن إلى نيويورك بولاية رود إيلنر كتب الرئيس خطابًا لأعضاء المعبد اليهودي بالولاية متميزًا بالدفء والفصاحة، وحتى يومنا هذا لا زال خطاب واشنطن يُدرس في المدارس الدينية كمنهج تأسيسي لحرية يهود الولايات المتحدة.

قال واشنطن في خطابه: «إن حكمة الولايات المتحدة الأمريكية التي لا تفرض العقوبات على المتعصبين لديهم، والتي لا تساعد على استمرار الاضطهاد، وتطلب من هؤلاء الذين يعيشون تحت حمايتها أن يكونوا مواطنين صالحين يتمتعون بتأييدها ودعمها في كل الظروف، وقد أرسى هذا الخطاب النغمة الأساسية لطبيعة العلاقات المستقبلية بين خطابًا لليهود في أمريكا. وربما كان واشنطن أول رئيس دولة غربي يوجه خطابًا لليهود باعتبارهم مواطنين أحرارًا ومتساوين مع الآخرين.. وقد أثر هذا الخطاب على حياة يهود أمريكا بطرق عديدة، حيث لم يكن هذا الخطاب الرصيد الذي أرسله واشنطن لليهود، وإنما واحد من ثلاثة خطابات أرسلها ليهود =

مما ساعد اليهود على الاندماج في المجتمعات الأمريكية، ومهد لهم تأسيس الجمعيات والحركات المبنية على أصول العقيدة اليهودية مثل: (حركة التنوير)، و(اليهودية الإصلاحية)، و(علم اليهودية)، و(الحركة الصهيونية)، وبما أن قادة و زعماء هذه الحركات كانوا في البداية من أصول ألمانية إلا أن هذه القيادة والزعامة انتقلت بأيدي اليهود الذين قدموا من أوروبا الشرقية ووسطها.

يقول عبد الوهاب المسيري: «أدى الغزو التتري إلى تدمير بولندا تمامًا في عام ١٢٤١م، كما قام اللتوانيون والوثنيون بالغارة عليها، وفقدت بولندا كثيرًا من أراضيها، لكنها استعادت وحدتها مع مطلع القرن الثالث عشر، ولدى استعادة حكمها ودستورها استطاعت أن تجمع مدنها التي ضمت الأرثوذكس واليهود والأرمن والتتر والمسلمين، وتطورت بولندا إلى أربعة أضعاف حجمها عندما اتحدت مع لتوانيا، وجدير بالذكر أن اليهود كانت لهم طلائعهم في بولندا منذ القرن التاسع الميلادي،

= أمريكا في ذلك العام. والسبب في ذلك هو السياسة الكلاسيكية لليهود، حيث بعد وقت قصير من انتخاب واشنطن في إبريل ١٧٩٠ قرر رؤساء المعابد اليهودية الأمريكية وعددها خمسة أن يبعثوا خطاب تهنئة للرئيس، وهو امر تتبعه الكنائس الأمريكية، ولكن اليهود قضوا عامًا ونصف العام يتجادلون حول نقطة واحدة وهي من الذي سيوقع الخطاب؟ وانتهى الأمر بأن يبعثوا بثلاث رسائل منفصلة». راجع بذلك: جوناثان جولد بيرج، قوة اليهود في أمريكا، ترجمة: نهال الشريف، دار الهلال، بلا مكان طبع، ١٩٩٧، ص ٩٧ – ٩٨.

ويذهب آرثر كيستلر إلى أن هؤلاء اليهود هم من الخزر، وكانوا يمارسون التجارة، وقد ازداد عددهم بشكل كبير بعد الغزوات المغولية التي أدت إلى سقوط الخزر ودولتهم، واستغل اليهود تشجيع السلطات البولندية في إعمار البلاد؛ فكان نشاطهم في ذلك ظاهر في التجارة والمرابـاة؛ فضلًا عن قدوم جماعات يهودية من أوروبا الغربية بسبب تدني حالة المعيشة هناك، مما دفع بالسلطات البولندية إلى إصدار ميثاق لتنظيم الأحوال القانونية لليهود وتحديد مجالات أعمالهم وتنظيم علاقات مع المجتمع المسيحي[1].

كما أن هذا الميثاق توسع ليعطي لليهود حقوقًا أوسع وينظم شؤونهم التجارية والضريبية، ونص كذلك على إعفائهم من الخدمة العسكرية مقابل رسوم يدفعونها أو أن يزودوا الجنود بالمؤن أيام الحروب، ولما كانت السلطة على اليهود بيد الملك حصرًا فإن ذلك قد أعطى لليهود حظًّا وافرًا للتقرب من البلاط الملكي من جهة وعدم تأثير السلطات التنفيذية عليهم من جهة أخرى، إذ كان الملك هو (قاضي اليهود) حصرًا، فكانت لهم الفرصة الذهبية بامتلاك الأراضي الزراعية والضياع، وسيطروا على التجارة الداخلية والخارجية ومنابع المال، وكانت الوظائف المهمة كالضرائب والرسوم تحت تصرفهم، كما أن

---

(١) بيتي، مصدر سبق ذكره، ص٣٢.

الإقراض بالربا كان من أهم وظائفهم إلى أن تحولوا إلى كتلة قوية في المجتمع البولندي لها تأثيرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، حيث أثروا مباشرة على مناحي الحياة لدى الشعب البولندي الذي حاول بدوره تحجيم هذا النشاط اليهودي مستعينًا بالحكومة التي قامت بدورها بالتدخل في عملية توسيع بناء المدن اليهودية، وجعل الكنسية بمنأى عن هذه الممارسات، فقد طالبت بعزل اليهود عن المجتمع المسيحي، وحدثت بعض الممارسات ضد التجار اليهود تمثلت بهجمات على أحيائهم السكنية، ومحالهم التجارية.

وفي هذه المدة ظهرت طبقة النبلاء البولنديين التي استطاعت السيطرة على الحياة السياسية، وقد ارتبط بها اليهود ارتباطًا كاملًا؛ ولأن اليهود كان ارتباطهم بالطبقة الحاكمة فإن علاقتهم بالنبلاء غالبًا ما تتسم بالعدائية، لاسيما أن هناك أكثر ستين منظمة أو جماعة يهودية في بولندا، وهؤلاء الجماعات قد تحسن وضعهم أيام اعتلاء الملك (ألكسندر) عرش بولندا الذي دعا إلى التعددية والتسامح من خلال تشريعاته، وكان أعضاء الجماعات اليهودية يعتمدون اعتمادًا كاملًا على الملك، ويحصلون منه على الامتيازات والحماية؛ مما أدى إلى توتر العلاقات بين اليهود والكنيسة مرة أخرى، وبعد وفاة الملك ألكسندر وتحول بولندا إلى جمهورية ملكية يُنتخبُ

فيها الملك انتخابًا ضمن برلمان يضم النبلاء كافة، صارت أمور البلاد الاقتصادية والإقطاعيه بيد النبلاء، مما ساعد على ظهور الملكيات المطلقة في أوروبا التي أسست حكومات مركزية قوية تعد نواة الدولة القومية الحديثة، وهذه الحكومات اهتمت بالتجارة المحلية والدولية وشجعتها فيما يُعد تعبيرًا عن الثورة التجارية التي خرجت من رحمها حركات الاكتشاف والاستعمار من إسبانيا والبرتغال، ثم إنكلترا وهولندا وفرنسا، الأمر الذي حوَّل طريق التجارة، وجعل الدول الأطلسية مراكز للتجارة العالمية، وقد أدى ذلك الى اضمحلال المدن البولندية في بادئ الأمر ثم إلى اضمحلال بولندا نفسها.

وازدادت الدول المحيطة ببولندا قوة في تلك الحقبة أيضًا، كما كانت هناك السويد والإمبراطورية النمساوية التي كان لها أطماع في الأراضي البولندية، ولكن بزوغ نجم روسيا من ناحية وتعاظم القوة الروسية من ناحية أخرى، كانا العنصر الحاسم في مسار التاريخ البولندي، إذ إن التفكك الذي أصاب بولندا كان يقابله تزايد في تماسك الكتل السياسية المحيطة وتعاظم قوتها؛ لذا لم يكن من الغريب أن يتم تقسيم بولندا في أواخر القرن الثامن عشر وأن تختفي تمامًا كيانًا سياسيًّا مستقلًّا خلال القرن التاسع عشر كله.

وتستمر الأوضاع في بولندا مرة لصالح الجماعات اليهودية، وأخرى عكس ذلك؛ والسبب الذي توضح لنا من خلال دراسة الأوضاع العامه للدولة والخاصة لليهود هو أن الحكومات البولندية عندما يصل بها الحال إلى الضعف تلجأ إلى معونة أصحاب المال في بناء مؤسساتها وفي دعم البنية التحتيه للبلد، ولما كان أصحاب المال من اليهود فمما لاشك فيه أن تصرفاتهم وممارساتهم ستكون وفقًا للطبع اليهودي المعروف الذي سبق أن توضح لنا من خلال الصفحات آنفة الذكر.

إن أصحاب المال اليهود لن يتخلوا عن الطرائق الملتوية والأساليب الربوية الجشعة التي لم تلبث أن تستولي على الأماكن الاقتصادية الحساسة وخطوط التجارة الداخلية والخارجية؛ مما يسبب سخط الشعوب البولندية، وانعكاس ذلك السخط على الحكومة، فتضطر إلى إصدار تشريعات تحدد حركة وممارسات الجماعات اليهودية؛ بل وأحيانًا كثيرةً تقوم بمصادرة أموال اليهود بطرائق أو بأخرى.

إن استمرار سيطرة اليهود على الاقتصاد البولندي أدى إلى تحطمه تحطمًا كاملًا؛ مسببًا انخفاض مستوى المعيشة للمواطن البولندي إلى أقل ما يمكن، وتدهور أحوال المدن بشكل ليس له مثيل، فضلًا عن حدوث أسوأ تضخم في تاريخ بولندا، ناهيك عن انخفاض عدد السكان إلى النصف، مما دفع

البلاد إلـى الدخول في مواجهـات عرقية وطائفيـة إلى الحرب التـي اندلعت بـين روسيا وبولنـدا عـام ١٧٠٩م، والتي خسرت فيها بولندا.

علـى أثر هـذا تدهورت أحـوال اليهود تدهـورًا لم يحصل لهـم من قبـل، وظهرت بينهـم (الـرؤى القباليـة)، والنزعات (الشبتانيـة)[١]. و قـد زاد الصـراع بـين أعضـاء الجماعـات

---

(١) الشبتانيـة نسبـة إلى الحاخام اليهودي شبتاي زيقي الـذي ادعى أنه المسيح المنتظر في القـرن السابـع عشر؛ إذ شاعـت تلك الأيام شائعات أن المسيـح سيظهر ١٦٤٨ كي يقـود اليهود في صـورة المسيح، وأنه سوف يحكم العالم مـن فلسطين، ويجعل القدس عاصمـة للدولة اليهودية المزعومة، وقد ولد شبتـاي أو سبتاي من أب يدعى مردخاي زيقـي من يهود إسبانيـا، وكان شبتاي متميزًا بالذكاء وسرعـة البديهية، فضلًا عن معرفتـه لقواعد الدين وأصولـه، كان مؤمنًا بالتصوف اليهـودي القبالي، وقد سافر هـذا إلى مصر والتقـى باليهودي روفائيل جوزيـف وكسبه إلى جانبـه لدعمه ماديًّا، وأخذ ينتقل بين القدس وأزمير، ويلتقي بأتباعه وبالوفود اليهودية التي تأتي من أدرنة واليونـان وألمانيا، وكان يردد قولـه: «أنا سليل سليمان بن داود حـكام البشر، وأعتبر القدس قصـرًا لي»، وجعل اسمه مكان اسم السلطـان محمد الرابع في الخطب التي تلقـى في الكنيـس، ولم تهتم الدولة العثمانيـة بدعوة سبتاي للتسامـح الديني وحرية الاعتقـاد، فضلًا عـن استقلالية اليهود بأمورهـا وشؤونها، و قد استطـاع سبتاي أن يقدم لليهود الكثير في تلك الحقبة، إذ يقول الكاتب اليهود افرام غالايتي: «إن سبتاي قـد أنقذ اليهود مـن المصائب والاضطهادات بهـذه الطريقة، وأخـيرًا نتيجة لنشاط سبتـاي وتحركاتـه التي أزعجـت الدولة العثمانيـة تم اعتقاله والتحقيـق معه بالتهم التـي أنكرها، وسجن في (زندان قابي)، ثم نقل إلى سجن (جناق القلعة)، ثم عرض عليـه الإسلام فأسلم وغير اسمـه إلى محمد عزيز أفندي، واستطـاع أن يقنع الدول العثمانيـة بإطـلاق سراحـه والسماح له بالدعـوة، مستغلًا ذلك بالدعـوة إلى إبطال اليهوديـة وإعلان الإسلام، وهكـذا بقيت دعوته تزداد وتتسع ويكـثر أتباعه وأنصاره الذين استمروا على نهجه وتعاليمه حتى بعد وفاته في تشرين الأول عام ١٦٧٦. راجع ذلك: النعيمي: اليهود والدولة العثمانية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩ – ٤٢. والنعيمي، الدور السياسي ليهود الدونمة في تركيا، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥ – ٤٠.

اليهودية والبرجوازية البولندية الذي تعمق إلى درجة صعب حلها، إلا أن وقوف اليهود إلى جانب البولنديين في الحرب الروسية أدى بالبولنديين إلى إعادة أعضاء الجماعات اليهودية إلى جانب البولنديين في الحرب الروسية؛ مما أدى بالبولنديين إلى إعادة النظر في مصير اليهود، ودمج الجيوب الإثنية والدينية المختلفة في التشكيلات القومية، إلا أن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح لسببين رئيسين هما:

- **أولًا**: الاختلاف الثقافي بين الشريحتين البولندية واليهودية؛ إذ إن اليهود شعب انعزالي منغلق على نفسه في مدن صغيرة؛ معزولاً عن الحضارة القومية، بعيداً عن الاحتكاك مع المجتمعات الأخرى، وغالباً ما يتأثر بأي ثقافة تعارض ثقافته اليهودية ومعتقداته التلمودية الممزوجة بالخرافات والأساطير الشعبية.

- **ثانيًا**: ميراث الجماعات اليهودية المتمثل بالعداء التقليدي مع جميع طبقات المجتمع وما يحمله المجتمع البولندي حيال اليهود من نظرة سلبية فيما يخص ممارسات اليهود الاقتصادية.

يمكننا أن نستخلص مما تقدم إن أدوار اليهود المهاجرين إلى بولندا من مملكة الخزر المنهارة قد جرَّت بولندا إلى

نهاية مؤلمة فيما يخص شعوبها الأصليين؛ إذ لم تجد الشعوب البولونية استقرارًا سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو حتى اجتماعيًّا منذ اليوم الأول الذي وصلت إليه طلائع اليهود المهاجرة، والشاهد على ذلك ما ورد في دراستنا هذه التي اتسمت بأوضاع متباينة مرت بها بولندا بحروب وأزمات سياسية مع جاراتها اللواتي لم يدخرن جهدًا في استغلال تلك الأوضاع الداخلية، فراحت تقتسم أراضي هذه المملكة أربع مرات فيما بين عام ١٧٧٢ وعام ١٨١٥م؛ فكان التقسيم الأول عام ١٧٧٢، والتقسيم الثاني ١٧٩٣، والتقسيم الثالث ١٧٩٥، والتقسيم الرابع ١٨١٥، وبهذا فقد توزع يهود بولندا تبعًا للأراضي المقسمة، حيث كانو يسكنونها، والجدير بالذكر أن اليهود في روسيا والنمسا وبروسيا كان لهم اليد الطولى في السياسة الخارجية اتجاه تقسيم بولندا، وكان ما حصل ضمن مخططات يهودية تصب في بوتقة واحدة هي االسيطرة على العالم[1]؛ لذلك نرى أن يهود بولندا

(١) يقول صابر طعيمة في كتابه (تاريخ اليهود العام): «ومنذ عام (٩٢٠م) إلى منذ حوالي سبع مئة عام تقريباً طارد الإنكليز في بلادهم الجماعة اليهودية الإنجليزية، تبعتها فرنسا في ذلك، وأدركت باقي دول أوروبا الوسطى وشعوبها خطر اليهود عليهم باعتبارهم فئة قليلة رجالية منبوذة تعمل في السر، وتكتم أمور حياتها العامة، وتعزل عن خدمة الجماعات التي تعيش فيها. واضطرت الجماعات اليهودية أن تتجه صوب الشمال الشرقي لأوروبا إلى ألمانيا الشرقية وبولندا وغيرها، ولقد كان في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي المرحلة العليا للإدراك الكامل عند شعوب إسبانيا والبرتغال، حيث أدركوا خطر اليهود عليهم ومحاولتهم السيطرة والتسلط. ولقد رأى المسيحيون في اليهود معاول هدم للمجتمع المسيحي من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية في الوقت الذي ابتدأت الجامعات اليهودية تتداول فيما =

قد ضُم أغلبيتهم إلى النمسا وبروسيا وروسيا، وهناك عُوملوا معاملة خاصة كمهاجرين جدد جرت عليهم محاولات الترويس في روسيا، ومحاولات الدمج في النمسا، ومحاولات التحديث في بروسيا.

ومن المفيد هنا أن نذكر كتابًا لأحد الأساقفة البولنديين وهو المفكر الألماني اليهودي ديفيد فريد ليند يسأله عن أفضل السبل لإصلاح (أي تحديث) يهود بولندا، فاقترحَ عليه بضرورة تدريب اليهود على الحياة المتحضرة قبل إعطائهم حقوقهم

= بينها كيف تنظم العداء للمسيحية على ضوء تعاليم التلمود، ثم إن الاوربيين صاروا يرون بأعينهم بيوت المسيحيين تنهار دعائمها بفعل الربا الفاحش الذي ارتبط باسم اليهودي؛ بل وأضحى عنوانًا له تجسيمًا لشخصه، ولقد كان للسيطرة الاقتصادية ومنح الحياة الاجتماعية الأوربية دافعًا لمواجهة اليهود بأساليب شتى تتمثل بحصرهم وملاحقتهم ومراقبة أعمالهم وحركاتهم في مناطق سكناهم. ولقد تعرض اليهود في أوروبا إلى كبت وحملات عنيفة نتجت جراء الكبت والحقد الذي يحمله المسيحيون لليهود جراء ممارساتها؛ ففي عامي (١٣٤٨ – ١٣٤٩) راج بين المسيحيين أن قتل اليهود يقرب إلى الله، وفي (١٤٠١) أصدر الملك (روبرشت) قرارًا بطرد جميع اليهود من إقليمي الراين و بافاريا، كما أصدر قرارًا يوجب على اليهود أن يرتدو لباسهم الخاص الذي يميزهم عن غيرهم، وفي ترنيت بإيطاليا حدثت مذبحة لليهود إثر قتل طفل لم يتجاوز الثانية من عمره، ثم انتقلت المذابح إلى ألمانيا عندما تعرض اليهود في مدينة (ريجنزبرج) إلى أكبر مجزرة في عام (١٤٧٦م)، وفي عام (١٤٩٩م) قام القيصر مكميلان الأول بطرد اليهود من مدينة (نورنبرج)، ثم تعرض اليهود إلى مطاردة تراثهم الثقافي وحرق كتبهم ومؤلفاتهم، أما في المدن البروتستانتية فقد تعرض اليهود أيضًا إلى حالات من الاضطهاد والطرد على يد الأمير (يوحنا فريدريش) عام (١٥٣٦م). راجع: طعمة، صابر، ت اريخ اليهود العام، ص٢، دار الجيل، ١٩٧٥، ص٥٠-٥٥.

المدنية، وبالفعل تأسست مدرسة حاخامية حديثة تناولت مناحي عديدة من أمور الحياة.

إلا أن ذلك لم يحظَ بنجاح على مستوى الجماعات اليهودية بسبب عدم ثقة البرجوازية البولندية بهم، فضلاً عن ظهور أحزاب قومية شعبية بولندية أعلنت الحرب ضد دمج اليهود وضد اتجاهاتهم الصهيونية التي ظهرت عقب الانفجار السكاني عندهم (اليهود)، ولا سيما في بولندا؛ إذ يمكن القول بأن كل الجماعات اليهودية التي ظهرت في الغرب في القرنين الأخيرين هي من فروع بولندا، وفي ذلك قال هتلر: «إن الجيب اليهودي في بولندا هي المستودع الذي يصدر الفائض البشري اليهودي، وإنه يشكل البنية التحتية البيولوجية لليهودية العالمية»(١).

أما عن الوضع النهائي لليهود في بولندا فيقول هشام الدجاني في كتابه اليهود والصهيونية: «كانت بولندا إلى وقت قصير تُعَدُّ واحداً من أكبر مراكز تجمع الطائفة اليهودية في أوروبا الشرقية، وقد بقيت كذلك إلى أواخر الحرب العالمية الثانية تقريبًا، وكان عدد يهود بولندا يقدر في بداية الأربعينيات بما يزيد عن ربع مليون نسمة، ولكن هذا العدد أخذ يتناقص تدريجيًّا خلال سنوات الحرب والاضطهاد النازي، ويقدر

---

(١) الدجاني، هشام اليهودية والصهيونية، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ١٩٥، ص ١٠٣ — ١٠٥.

عـدد اليهود الذين هاجـرو أو هُجِّروا من بولندا أو من مخيمات اللاجئـين التـي نزحوا إليهـا في أوروبـا الغربية خـلال الحقبة ١٩٤٥- ١٩٤٩م بما يقارب المئتي ألف نسمة، ويبدو أن الحكومة الاشتراكيـة التـي قامت في بولنـدا بعد تحريرهـا لم تقفل باب الهجرة أمام اليهود، وعلى الرغم من نداداتها بانصهار اليهود في الحيـاة العامة إلا أن معظم هـؤلاء كان يفضل الهجرة خشية استمـرار (اللاسامية)[1] اليهود في الحياة العامة، إلا أن معظم هـؤلاء كان يفضل الهجرة خشية استمـرار (اللاسامية)، وبعد اطمئنانه للحكم البولندي الجديد.

---

(١) اللاساميـة: معناها اليهود الذيـن ليسو من بني إسرائيل، وهم الصهاينة، ويشكلون ٩٢٪ مـن يهـود العـالم، ويسمون الأشكنـازم؛ أي يهود غـير ساميـين حسبما تقول المصـادر اليهودية. راجع: الموسوعـة اليهودية وموسوعة يـبرز، و كتاب أحجار على رقعـة الشطرنج لوليام غـاي كار... فقد توافدت في القرن الميلادي الأول مجموعات مـن العروق التركية المغوليـة والقنلاوية إلـى أوروبا قادمة من آسيـا عبر الأراضي الواقعة شمالي بحر قزوين والبحر الأسود، مملكة قوية عرفت بمملكة الخزر؛ ولذلك كان بحـر قزوين يسمى بحر (بحـر الخزر)، وكان الخزر وثنيـين متساهلين دينيًّا؛ ففضلـو اليهودية المزقة علـى باقي الديانات، وقد تمكن السلاف بعد حروب طويلة مـن القضاء على دولة الخزر عام (٩٦٥م)، وقد تفـرق الخزر اليهود إلى جماعات صغـيرة حاقدة عاشـت داخل المجتمع الروسي، و كانـوا وراء معظم عمليات الشغب والاغتيـالات السياسية في أوروبا وروسيا، وانتشر قسم منهم في أوروبا وانطلقوا إلى معظـم العالم، ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية، وهؤلاء اليهود هم الذين يفدون إلـى فلسطين اليوم، ويدَّعون فيها حقًّا تاريخيًّا مكتسبًا، علمًا بأن الساميين أنفسهم لم يحكموا فلسطين يومًـا واحدًا، فكيف اللاساميون!؟راجع: فيتش شيريب، حكومة العـالم الخفية، ط١٠، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١٠، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ١٨-١٩.

ويمكن القول: إن الجماعات اليهودية البولندية الكبيرة قد استنزفت خلال سنوات قليلة؛ إذ لم يبق في نهاية العام ١٩٤٧ إلا ما يتراوح بين سبعين إلى تسعين ألفًا، وقد دفع هذا الحكومة البولندية إلى إصدار قرارها بمنع الهجرة، ولكن المنظمات الصهيونية التي ظل لها نفوذها بالرغم من قيام الحكومة الاشتراكية عام ١٩٤٨ استطاعت أن تضغط على الحكومة لفتح أبواب الهجرة من جديد أمام يهود بولونيا وإلى إسرائيل بالذات؛ فهاجر خلال عامي ١٩٤٩ – ١٩٥٠ نحو ثلاثين ألف يهودي، وتقدر السلطات البولونية أن معظم هؤلاء كانوا ينتمون إلى أحزاب صهيونية، وقد جاء في تصريح رسمي بولوني يوم ١٩٤٩/١٢/٧: «من الواضح أن الذين يسجلون أسماءهم ويغادرون البلاد إلى إسرائيل هم في معظمهم مرتبطون عقائديًّا بالحركة الصهيونية»[1].

وفي عام ١٩٥٠ أغلقت أبواب الهجرة من جديد، وكان عدد يهود بولونيا قد تقلص إلى قرابة خمسين ألفًا، ويبدو أن هؤلاء لم يستطيعوا التكيف مع النظام الاشتراكي الجديد، أو أن النظام أخفق في اجتذابهم ودمجهم في عجلته، إذ ما كانت حكومة غومولكا تفتح أبواب الهجرة مجددًا عام ١٩٥٦ لأسباب تتعلق بضغوط صهيونية خارجية حتى غادر بولونيا قرابة خمسة

---

(١) الشمالي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤ – ٣٠.

وثلاثين ألف يهودي بولوني؛ توجه معظمهم إلى إسرائيل، وذلك خلال عامي ١٩٥٧-١٩٥٨.

وفي نهاية عام ١٩٥٨ أغلق باب الهجرة ولم يفتح من جديد إلا في أعقاب حزيران ١٩٦٧ وعلى نطاق ضيق وسري فيما يبدو، إذ ذكرت المصادر الغربية أن ثلاثة عشر ألف يهودي بولوني توجهوا خلال ١٩٦٨ إلى فيينا، إذ قامت المنظمات الصهيونية بترتيب عمليات توجههم إلى إسرائيل، أما الحكومة البولونية فقد اعترفت بهجرة خمسة آلاف يهودي بولوني فقط.

ويقدر عدد يهود بولونيا اليوم بما يتراوح بين عشرة آلاف خمسة عشر ألفًا، ويستفاد من المعلومات المستقاة عن أوضاعهم الحالية أن معظمهم لا يتعاطف مع النظام الاشتراكي القائم، بل إن عددًا كبيرًا يعمل منهم في المنظمات ذات النشاطات المناوئة سرًّا للحكم مثل جماعة (كور) وغيرها[١].

رابعًا: اليهود في أوروبا

لقد تعرضت الجماعات اليهودية في أوروبا لاضطهادات متعددة مع بداية الحملات الصليبية، وإن اقترانها بتاريخ بداية تلك الحملات واضح المغزى. قبيل نهاية القرن الحادي عشر

(١) الدجاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢ - ١٠٤.

إذ نجت الجماعات اليهودية في ألمانيا بصعوبة بالغة من الإبادة الكاملة عبر تلك الانتفاضات الغوغائية، الهستيرية، التي مهدت للحملة الصليبية عام ١٠٩٦م ورافقتها وحتى تاريخ الحملة الصليبية الأخرى، وفي عام ١١٤٧م، والحملات التي تلتها صار روتينيًّا أن تبدأ الحملات باجتياح الجماعات اليهودية، فمن كان يستطيع أن يتصور في ذلك التاريخ أن ضحايا الحملات الصليبية من اليهود سوف يصبحون فيما بعد أدوات لحملات مشابهة تتخفى تحت أسماء وذرائع أخرى، لتحقيق الهدف نفسه وهو اغتصاب فلسطين والعدوان على العرب. في عهد الملك فيليب (الجميل) كانت فرنسا قد عانت من أزمة اقتصادية خانقة، انهارت فيها قيمة العملة، ونشبت الاضطرابات الاجتماعية، فحاول فيليب معالجتها بالطريقة المألوفة وهي استنزاف اليهود، فحصل منهم على دفعات نقدية قوامها مئة ألف جنيه عام ١٢٩٢م، ومئتين وخمسة عشر ألف جنيه عام ١٩٢٥م، ثم استقر رأيه على علاج حاسم، فوقع في ٢١ /حزيران ١٣٠٦م على قرار سري يقضي بالقبض على جميع اليهود بالمملكة في يوم محدد ومصادرة ممتلكاتهم ثم طردهم خارج البلاد[1].

وهكذا في القرن الرابع عشر أصبحت فرنسا كما كانت إنكلترا خالية من اليهود تمامًا، ولقد كانت لدى ملوك أوروبا

(١) الشمالي، نصر، وهشام الدجاني، الظروف التاريخية للهجرات اليهودية، ص ٣٣.

دائمًا وسائل عديدة لاستخراج المال من عبيدهم اليهود؛ منها التوقيفات الجماعية؛ إذ كانو يسجنون فلا يطلق سراحهم إلا بعد دفع مبالغ طائلة، ففي النمسا عام ١٣٧٩م سجن الأمراء النمساويون جميع اليهود الخاضعين لحكمهم ولم يحرروهم إلا بعد أن أخذوا منهم مبالغ طائلة، وقد مهد أولئك الأمراء لعمليتهم بتحريض الفلاحين منذ عام ١٣٧٨م ليجبروهم في النهاية وبعد التوقيف على دفع مبلغ ستة عشر ألف مارك، لقد كان البارون في أوروبا عندما يتحدث عن ممتلكاته: هؤلاء اليهود لي!

وبالفعل فقد انتشرت عمليات العقود بشأن اليهود بصفتهم ممتلكات خاصةً في القرن الثالث عشر، وبدلًا من إقامة دعاوى طويلة تعاهد الأمراء والملوك على تسليم اليهود الذين يلجؤون إلى أراضيهم، ونص عقد مشابه عام ١٢٥٠م بأنه يجوز للملك والأمراء المحافظة على حقوقهم، وبالنسبة لليهود هم كالعبيد، وفيما بعد أصبح اليهود كأنهم في سوق المزاد، وقد ابتاع فيليب الثاني من أخيه كونت دي فالو جميع يهود كونتيته[١].

وعلى صعيد آخر كان ممنوعًا على اليهود في أوروبا الإقطاعية التحول إلى الدين المسيحي، وقد سنَّ الملك الإنكليزي

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٤، وطعيمة، مصدر سبق ذكره، ص ٦١.

هنري الثاني قانونًا يقضي بضم أملاك اليهود الذين يعتنقون المسيحية إلى ممتلكات التاج؛ لتعويض الخسائر التي كان يلحقها اليهود بالملك في حال تحولهم إلى المسيحية، وإن في هذا دليل آخر على أن الموقف من اليهود إيجابًا أو سلبًا لم يكن متعلقًا بدينهم وإنما بوظائفهم الاقتصادية، ثم إن أوروبا والولايات المتحدة تحولت جميعها إلى اليهودية بهذا المعنى الاقتصادي.

غير أن أوروبا الغربية أصبحت بكاملها نظيفة من اليهود تمامًا ابتداءً من منتصف القرن الرابع عشر ولمدة قرنين، أي حتى منتصف القرن السادس عشر تقريبًا، أما سبب ذلك فهو الطاعون الأسود الذي اجتاح أوروبا بين عامي ١٣٤٨- ١٣٥٠م الذي قضى على ثلث السكان في بعض المناطق، وعلى ثلثيهم في مناطق أخرى، وقد تحمل اليهود مسؤولية تلك الكارثة الطبيعية، فاتهموا بتسميم الآبار لنشر الطاعون الأسود، وسرت هذه الإشاعة بسرعة خرافية ترتب عليها إحراق عدد كبير من اليهود وفرار الأعداد الأخرى.

ونعود إلى يهود ما قبل الطاعون الأسود لنرى أن المرابين اليهود الذين كانوا في تلك الحقبة من تاريخ أوروبا الإقطاعية مصدر دعم قوي للملكية المطلقة في صراعها ضد النبلاء في كثير من الأحيان، فقد مكن اليهود الملوك في بادئ الأمر من

تجهيز جيوش المرتزقة الباهظة التكاليف، والتي بدأت تحل محل جماعات النبلاء المسلحة غير المنظمة؛ ولذلك أعدَّ محفل النبلاء في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ثلاثة مطالب قدمها إلى الملك وهي:

١- تنظيم عمليات الديون اليهودية والحد من حجم الفائدة التي يفرضها المرابون.

٢- حرمان اليهود من حقهم في وراثة الأراضي.

٣- إصلاح الإدارة المالية وعزل الموظفين والوكلاء اليهود.

وقد عُمِّمت مطالب النبلاء هذه على جميع البلدان الأوروبية، ووصلت أصداؤها إلى بولونيا التي طالب نبلاؤها أيضًا بالحد من مجموع فائدة الربا، وبضمان أملاكهم وبعزل اليهود من وظائف الدولة[١].

خامسًا: يهود روسيا

لقد رأينا كيف أصبح اليهود في بولونيا مجتمعًا غير مرغوب فيه، وكيف أصبحت الشعوب البولونية تطالب بإبعاد اليهود وإقصائهم في أعمالهم وفي محل سكناهم لما أوصلوا البلاد من حالات التردي والانحدار، وما أحدثوه في اقتصادها من تدهور

---

(١) طعيمة، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣.

نتيجة ممارساتهم التجارية والمالية، ولم يكن الحال في روسيا بأفضل من ذلك؛ بل إن الروس رفضوا في بداية الأمر دخول اليهود المهاجرين عقب سقوط دولتهم إلى أراضيهم؛ لما كانوا يعرفونه من سلوك الجاليات اليهودية الموجودة في أراضيها والتي هاجرت واستقرت في روسيا كغيرها من البلدان.

لكن الذي حدث من توسع أركان دوقية موسكو وما قابلها مع تردي أوضاع الإمبراطورية البولونية، استطاعت السلطة القيصرية أن تضم أجزاء من أراضي الإمبراطورية البولونية إلى أراضيها، وتلك الأراضي كانت تضم أعدادًا كبيرة من اليهود الذين يقطنون فيها، وعلى الرغم من عداء الروس وكرههم لليهود، فإنهم قد سمحوا لهم بالبقاء في أماكنهم وفي مدنهم، وهؤلاء هم الذين شكلوا التجمعات اليهودية الكبيرة في روسيا؛ إذ كانوا يمثلون كبار التجار في تلك المدن[1].

وفي كتابه الستار الحديدي حول أمريكا يقول جون بيتي: «وحدث في العصور الوسطى أن قامت قبائل الفايكينغ القادمة من مناطق بحر البلطيق بغزو التلال المنخفضة الواقعة غرب موسكو، ثم انتشرت في معظم الأجزاء القريبة من هذه المنطقة، ولم يكن هؤلاء المهاجرون الذين وفدوا من الشمال والغرب إلا

---

(١) بيتي، جون، الستار الصهيوني حول أمريكا، مطبعة الوعي القومي، دار النشر للجامعيين، بيروت، لبنان، بلا سنة طبع، ص ١٨-٢٠.

الشعب الروسي الذي تنتسب قبائله إلى السويديين والإنكليز والنورمنديين الذين كونوا مع القبائل السلافية المحلية الدولة التي عرفت فيما بعد باسم دولة روسيا، ولقد ضمت هذه الدولة إلى أملاكها الأراضي التي تحيط بأعالي الفولغا والدينبر، ووصلت عن طريق هذا النهر إلى البحر الأسود، وكان الروس والسلاف إذن عنصرين متقاربَيْن في الأصل وإن اختلفت لغتهما، وقد اعتنقوا المسيحية دينًا لهم على يد البعثات التبشيرية الأورثوذكسية اليونانية، والمعروف أن العنصر السلافي استطاع أن يمتص العنصر الروسي، وأن يكون وإياه شعبًا متحدًا، شرع هذا الشعب المتحد الجديد في توسيع حدوده.

فأخذ من الخزر مدينة (كييف) وجعل منها عاصمة لأسرة مالكة مستنيرة تتطلع إلى الغرب وتصاهر ملوكه وخاصة ملوك فرنسا، وظلت الحرب مستعرة بين ملوك السلاف وبين الخزر حتى تمكنوا من القضاء على ملكهم واغتصبوا الكثير من أملاكهم؛ فاتسعت الممالك السلافية في بولندا وليتوانيا ودوقية موسكو وغيرها، واضطر الخزر إلى الهجرة إلى مواطن الشعوب السلافية للإقامة بينها، إلا أن الروس من أهالي مدينة كييف ودوقية موسكو قد حالوا من دون تسرب اليهود والاختلاط بهم، ومنذ ذلك الوقت وسياسة الحكومة الروسية تقضي بإبعاد

اليهود عن أراضيهم[١]، لكن الجماعات اليهودية استطاعت توطيد أركانها في روسيا بعد أن كان مجرد دخول التجار اليهود إلى روسيا بتجارتهم أمرًا ترفضه القيصرية الروسية، يقول المؤرخ الروسي سولوفيوف واصفًا موقف القيصر بطرس الأكبر: «بينما كان يقوم بدعوة الأجانب المهرة من كافة البقاع فقد استثنى اليهود من تلك الدعوة، وكان يقول بأنه يُفضل ألف مرة أن يرى المحمديين (المسلمين) والوثنيين في هذه الأراضي على أن يرى اليهود؛ لأنهم أنذال وغشاشون»[٢].

---

(١) بيتي، جون، الستار الحديدي حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص١٩.

(٢) قلفاط، نخلة، بطرس الكبير، المطبعة اللبنانية، ١٨٨٦م، ص٣٥-٣٨، وحجاوي، مصدر سبق ذكره، ص٨. وبالمعنى نفسه يقول وليم غاي في كتابه أحجار على رقعة الشطرنج: «إن يهود الاتحاد السوفييتي هم من الخزر، استقروا في أقصى الشرق من أوروبا حيث شكلوا مملكة الخزر القوية، ثم بسطوا سلطانهم على معظم المناطق الواقعة غرب جبال الأورال وشمالي البحر الأسود، وقد اعتنق الخزر اليهودية مفضلينها على المسيحية أو الإسلام، وبنوا الكنائس والمدارس لتعليم الدين اليهودي في سائر أنحاء مملكتهم». راجع: كتار، وليم نجار، أحجر على رقعة الشطرنج، تعريب: سعيد الجزائري، دار النفائس، بيروت، طبعة، ١٩٨٧، ص٤٨.
ويقول أيضًا: «والواقع أن هؤلاء اليهود ليسوا ساميين من حيث الأصل العرقي، ذلك أن عددًا ضخمًا من الذين اتخذوا اليهودية دينًا لهم منحدرون من سلالات الهيروديين أو الأدوميين وذوي الدم التركي المنغولي». راجع: المصدر نفسه، ص٤٩.
ويقول عبده الخوري حنا: «ومما لا شك فيه أن معظم اليهود الذين يسكنون في أوروبا وأمريكا هم غير ساميين، ولا يمتون بأي صلة نسب إلى بني إسرائيل، وإن اتهام الغرب وغيرهم بمعاداة السامية لم تكن إلا نوعًا من الخديعة يريدون بها الظهور بمظهر المظلوم الذي يستحق العطف والشفقة». راجع: حنا عبده الخوري، الخطر اليهودي على الدين والدنيا، دار الركن للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤، ص٨١.

وتشير الدلائل كافة إلى أن السلطة الروسية إنما كانت تحول دون إقامة اليهود البولونيين في أراضيها؛ نظرًا لوظيفتهم الاجتماعية التجارية، فقد اقترنت كلمة يهودي في تلك العصور بكلمة تاجر، وأصبحت على مر الزمن مرادفة لها، إلا أن تغيرًا من سياسة بطرس الأكبر قد حصل بعد ضم كثير من الأراضي البولونية إلى روسيا، لقد سمح لعدد كبير من وكلاء المال والتجار الكبار اليهود بالإقامة في موسكو، أمثال رجل المال اليهودي الكبير ليمان الذي أصبح فيما بعد من رجال بلاط القيصر.

ومرة أخرى نرى القيصرة كاترين الثانية تصدر قرارًا بفتح أبواب روسيا أمام التجار الأجانب؛ ليكون اليهود أول القادمين من هؤلاء، وأقاموا رسميًّا في منطقة أنشأت حديثًا عرفت باسم روسيا الجديدة، ثم يأتي حدث آخر يحوِّل نحو مليون من يهود بولونيا القاطنين في المناطق الشرقية إلى رعايا الإمبراطورية الروسية؛ وبذلك تشكلت كتلة يهودية كبيرة في روسيا حملت معها من مناطق نشوئها أوضاعًا اقتصادية متهاوية، وأساليب تنافس لم يألفها الشعب الروسي، لاسيما أن البعض منهم جاء من أوكرانيا، وبينهم وبين الجماهير الروسية كرهًا تقليديًّا، فظهر نتيجة عن ذلك تقسيم اجتماعي يحمل بين طياته عادات وشعائر دينية ولغة ركيكة مزيج من الألمانية والبولونية والعبرية، تطورت هذه لتصبح لغة تعرف (باليديش).

يقول (جون بيتي) في كتابه الستار الصهيوني حول أمريكا: «وشرع الخزر يهاجرون من ديارهم، وعجل في هجرة الكثير منهم في غزوة المغول تحت قيادة جنكيز خان، واضطهد اليهود الخزر في كييف، وحصلت لهم مجازر كادت أن تقتلع جذورهم أو أن تبيدهم كاملاً، وانتشر اليهود الخزر في نواح مختلفة من غربي روسيا، وقد حدد كثير من حكام الروس أمكنة إقاماتهم وشلوا حركتهم، ومنعوهم من التنقل في البلاد، ولم تكن العلاقات بين السلافيين والخزر اليهود حسنة مستتبة بسبب النزعة اليهودية الطائفية، وحرص الحاخامات على التحكم بمشاعر ومصائر الغير، ويعزى هذا إلى تمسكهم بتلمود (بابل) الذي وضع أيام السبي البابلي[1]، وكان للتلمود الأثر الكبير في صمود الخزر ومكافحتهم في البقاء، ومحاولتهم المحافظة على كيان سياسي وديني مستقل.

---

(١) يقول بيتي: لقد ورد بالحرف الواحد في (تلمود بابل) ما يأتي: يجب أن لا يعد التلمود كعمل عادي يستحله اثنا عشر مجلدًا، فليس فيه أي شبه لأي عمل أدبي آخر، بل إنه يكون في حد ذاته دنيا قائمة بذاتها، دنيا تسودها نظم وقوانين خاصة. والتلمود يحتوي أمورًا تافهة وأخرى تغلب عليها الرعونة، ولكنه يعالجها بجد واتزان، وهو يحفل أيضًا بالقول المجحف في حق أمم وشعوب أخرى، وفي حق ديانات أخرى، ثم إنه يؤيد ويظاهر تعريض المغرضين وذوي الأهواء بالعهد الجديد، التلمود سجل استعرضت فيه أحداث ستة قرون، فلا عجب إذن أن يتضمن في كل صفحة وسطر جنبًا إلى جنب ما يمت إلى العظيم العادي، والخطير التافه، والمذابح والرماد واليهودية والوثنية، ويختلف هذا التلمود عن تلمود أورشليم أو فلسطين بتحليق الفكر وتغغل الرأي وبريق العبقرية التي تتألق حتى تخطف البصائر، ثم تخبو وتخمد.. وكل شيء عدا التلمود أضحى في نظرهم باطلاً؛ الطبيعة والإنسان، القوة والحدثان. راجع: بيتي، الستار الحديدي حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص١٥-١٦.

سادسًا: اليهود الخزر والقيصرية الروسية

بعد تقسيم الإمبراطورية البولونية للمرة الثالثة أصبح كل من ليتوانيا وبيلوروسيا (روسيا البيضاء) وأوكرانيا وبعض الأراضي البولونية ضمن نطاق الإمبراطورية الروسية، وكانت هذه المناطق آهلة بمواطنيها الفلاحين الأقنان الذين قُدر عددهم بنحو عشرة ملايين نسمة، إلى جانب مليون يهودي، يعملون في مختلف الأعمال ذات الصفة التجارية أو الحرفية المرتبطة بالإقطاعيين، بينما بقي اليهود الأثرياء المعروفون بيهود التاج في وارسو والمناطق الأخرى التي خضعت وفقًا لتقسيم بولونيا ولبروسيا والنمسا.

شكلت الإمبراطورية الروسية عنصر جذب للتجار اليهود؛ فالنظام الإقطاعي فيها مازال متماسكًا، ومجالات العمل وفيرة، والفلاحون والأقنان كثيرون، ويشار إلى أن الكثير من اليهود القاطنين في المناطق الأخرى قد بدؤوا بتقديم الطلبات للقدوم إلى الأراضي الروسية، وهكذا انفتحت الأراضي والمدن الروسية لأول مرة أمام هذه الطبقة التجارية اليهودية العريقة في أساليبها، ويذكر أن تحديد إقامة اليهود ضمن ما عرف فيما بعد باسم (حظيرة التوطن اليهودية)[1] من السلطة

---

(١) حظيرة التوطن اليهودية، أسلوب اتبعته السلطة الروسية لعزل اليهود في مناطق سكن خاصة، وذلك للسيطرة عليهم ورصد تحركاتهم، وقد شملت حظيرة التوطن اليهودية هذه خمس عشرة مقاطعة في الأراضي الروسية، وعشر مقاطعات في الأراضي البولونية المحتلة، وذلك من مجموع تسع وثمانين مقاطعة كانت تؤلف الإمبراطورية الروسية، وقد توزعت تلك المقاطعات على النحو الآتي: ميلنا وكوفنو =

= وغرودنو في ليتوانيا بينسك، وموهيليف في روسيا البيضاء، فولجينا وودوليا وكييف وشيرنيخوف ولولتافا في أوررانيا، وقد عُدَّت كييف في وقت لاحق خارج حدود الحظيرة وبيسارابيا وفيرشون وايكاتير نوسلافيل وتوريدا في روسيا الجديدة باستثناء مدينة يالطا – وذلك زيادة عن المقاطعات البولونية العشرة من الناحية الرسمية تم الاعتراف باليهود كرعايا وليس كمواطنين، وأطلق عليهم تعريف رعايا، ولعل أهم قرار في هذه القرارات هو تصنيف اليهود ضمن الطبقة الوسطى الدنيا، وذلك في ضوء التقسيم الطبقي السائد في الإمبراطورية الإقطاعية، وكون هذه الكتلة اليهودية مؤلفة في مجموعها من التجار المتوسطين والصغار وما يتصل بهم من أعمال كوكلاء للإقطاعيين وملتزمين وخمارين ومرابين وبعض الحرفيين الذين ترتبط حرفهم بحاجات الإقطاعيين،كما شكل حوض الدنيير مجال عمل في تجارة الخشب. لقد اتفق تصنيف اليهود كرعايا مع تصنيفهم ضمن الطبقة الوسطى الدنيا، حيث إنه لو تم تصنيفهم كمواطنين لتحتم إعطاؤهم حق العمل في كافة الأراضي الروسية النامية. وقد عَدَّ الكاتب اليهودي جوزيف نداڤا أن التمييز القيصري إزاء اليهود انطلق من منطلق ديني حيث يقول: «إن التمييز ضد اليهود رسميًّا كان على أساس ديني وليس على أسس عنصرية أو عرقية، حيث كان يمكن لأي يهودي يعتنق الدين المسيحي أن يتبوأ أعلى المناصب الحكومية». بينما تشير القوانين الأخرى إلى نفي ذلك، وإلى أن السياسة الاقتصادية هي الأساس الذي حكم قرارات السلطة بهذا الشأن، فهي قد اعترفت مثلًا باليهود غير التجاريين كالكانيين والكريمشاك والقوزاق والغييم كمواطنين، ولم تورد المصادر المختلفة ذكرًا لقيام السلطة بتشجيع اعتناق هؤلاء للديانة الأورثوذكسية بالرغم من أن السلطة كانت بالفعل تشجع اعتناق يهود المناطق الغربية لتلك الديانة في محاولة منها لتقليص وظيفتهم الاجتماعية التجارية التي عمدت بعد ذلك باستمرار إلى محاربتها بشتى الوسائل. أدت هذه التصنيفات إلى فرض رسوم مضاعفة على اليهود لدى التسجيل لدى جمعيات التجار وإلى فرض ضريبة لقاء إعفاء من الخدمة العسكرية، كما حاولت تقليص سلطة الكحال وحصرها في جميع الضرائب والإشراف على الشؤون الدينية. لقد وضعت هذه التصنيفات يهود الحظيرة وجهًا لوجه أمام الجماهير الفلاحية؛ إذ استمر اليهود في ممارسة أعمالهم التقليدية كتجارة الجملة والمفرق والخمور وجمع الضرائب والمراباة، وشكلت أماكن إقامتهم جزرًا صغيرة متناثرة في كافة مناطق الحظيرة، وفي فترة قصيرة كانت الأموال قد تراكمت في أيديهم، وسيطروا سيطرة شبه كاملة على اقتصاديات الحظيرة، بينما ازدادت نقمة الجماهير الفلاحية عليهم، ويذكر أنه كان يستحيل شراء شيء من المخازن أيام السبت؛ لأن معظم هذه المخازن كانت بيد اليهود. راجع: حجاوي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧-١٨.

القيصرية كان استجابة للضغوط التي تعرضت لها السلطة من التجار الروس.

ويورد يوري إيفانون نقلًا عن مؤرخ جيليكمان قوله: «اشتكى التجار المسكوبيون في عريضتهم من أن اليهود يتعاطون بيع البضائع الأجنبية التي جلبوها معهم من الخارج مع تخفيض أسعارها بالنسبة للأسعار الحقيقية، ملحقين بالتجارة العامة ضررًا فادحًا للغاية، وهذا البيع الرخيص للبضائع ضد جمعية التجار الروس يدل بجلاء على أن هذه البضائع مهربة ولا تخضع للرسوم الجمركية.

إن التجار المسكوبيين لا يرون من الضروري الاختباء بورقة تين الدفاع عن الدين؛ بل هم على العكس يشيرون إلى أنهم يطالبون بمنع اليهود من ممارسة التجارة، ونفي الذين سبق وأقاموا، وطرد الذين تسجلوا سرًّا في سجل تجار موسكو ليس بسبب أي كراهية أو ازدراء بسبب الدين، بل بسبب ما يلحقونه من ضرر كبير، وكان أول إجراء اتخذته السلطة عام ١٧٩٦ بهذا الشأن هو حصر تسجيل اليهود في جمعيات التجار الخاصة بالمناطق التي يقيمون فيها إقامة دائمة، وقد جاء في القرار المذكور: «يحق لليهود أن يسجلوا في جمعيات التجار ضمن منطقة روسيا البيضاء (بيلوروسيا) ومنطقة إيكاتيرنوسلافيل

فقط»، وقد جرت عدة تعديلات على هذا القرار في أوقات لاحقة تم فيها توسيع أو تقليص مجالات التسجيل في مجمعات التجار المختلفة كان آخرها عام ١٨٣٥م»[1].

المحاولات القيصرية لإدماج الخزر

يقول فريدمان في كتابه يهود اليوم ليسوا يهودًا: «حاول فلادمير الثالث وخلفاؤه عبثًا إقناع من يزعمون أنفسهم يهودًا باعتناق المسيحية، لكنهم فشلوا جميعًا بذلك، إذ قاوم يهود الخزر هذه المحاولة مقاومةً شديدةً، وقد تمثلت مقاومتهم بالحرص على التنظيم الداخلي للجماعات اليهودية، بحيث أصبح لهم نظام أشبه ما يكون (دولة في داخل دولة)؛ فاليهود لن ينسوا تصفية دولتهم الخزرية على يد المسيحية بالدرجة الأولى، ثم إنهم يتذكرون رفض فلادمير الثالث اعتناقه لليهودية عندما عرضت عليه مرات عديدة من قبل الوفود اليهودية أيام الدولة الخزرية، ثم إن الكنيسة الروسية والمسيحية في أوروبا بصورة عامة تدرك أن اليهود يحاولون إعادة كيان دولة الخزر مرة ثانية، وهذا يؤكده تقرير سري أرسله السير هنري مورغنثو إلى الرئيس وودرو ويلسون يكشف فيه النقاب عن محاولة من

---

(١) جون بيتي، الستار الحديدي حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص ١٥-١٧ وحجاوي، مصدر سبق ذكره، ص١٨.

يزعمون أنفسهم (يهودًا) ذوي الأصل الخزري تاريخيًّا أن يبعثوا مملكة الخزر كوطن شرعي لهم في بولندا»[1].

أما عبد الرحمن شاكر فيقول: «بعد سقوط بيزنطة في القرن الخامس عشر أعلن القياصرة الروس أنهم أصبحوا ورثة بيزنطة في تمثيل الآرثوذكسية المسيحية، وأطلقوا على موسكو أحيانًا روما الثالثة، واصطنع بعض القياصرة رمز بيزنطة النسر ذا الرأسين علمًا على رؤوسهم وتيجانهم، فلما جاءت الحروب النابليونية نقلت معها فكرة القومية إلى أرجاء الإمبراطورية الروسية، كما نقلته إلى أجزاء أخرى من العالم وأوروبا بالذات.

وفي عهد القيصر نيقولا الأول ١٨٢٥-١٨٥٥م بدأت سياسة الترويس المشهورة للأجناس غير الروسية، وكان المفكر النظري للترويس من مساعدي القيصر (الكونت يوفاروف)، حيث تنص على أن يكون أوتوقراطيًّا (أي الإيمان بالحكم المطلق للقياصرة)، ثم يحمل العقيدة الأرثوذكسية، ويتكلم اللغة الروسية.

وقد عاني اليهود الخزر من هذه العملية الشيء الكثير، إذ كان يجبروا أولادهم في سن الثانية عشرة على الدخول في

---

(١) فريدمان، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩ - ٤٠. وصفوة نجدة فتحي بيروبيجان، التجربة السوفيتية لإنشاء وطن قومي يهودي، مركز الدراسات الفلسطينية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٣ ص ٣٠ - ٣٥.

معسكرات الخدمة الإجبارية التي يمضون فيها أكثر من خمس وعشرين عامًا يعلمونهم خلالها اللغة الروسية، و يتعرضون إلى أشد أنواع التعذيب من أجل أن يعتنقوا المسيحية، وفي ظل سياسة الترويس ولدت (الحركة الصهيونية) التي بدأت كنزعة دينية في روسيا في أوائل القرن التاسع عشر، كما شكل آخرون (أحبة صهيون).

وتذكر لنا سلافة حجاوي في كتاب اليهود السوفييت: لقد أصدرت السلطات الروسية عام ١٨٠٤م قرارًا نص على السماح للتلاميذ اليهود بدخول المدارس العلمانية إلا أن سلطة الكحال[١]

(١) الكحال أو (القهال) كلمة عبرية تعني جمهور أو جماعة كبيرة من الناس في مكان واحد، أو بالأحرى تعني طائفة يهود في إحدى مدن الشتات اليهود، كذلك تعني الخلية الساسية لتنظيم حياة اليهودي في مكان إقامته، وكانت مهام الكحال مشابهة لمهام الدولة تجاه مواطنيها، وتعد تجسيدًا للحكم الذاتي من قبل الدولة، وقد اهتمت الكحال في البداية بإجراء مراسيم الزواج و عض الشؤون للعائلة اليهودية، ثم تمثيل اليهودية أمام السلطات، والقيام بجمع الضرائب نيابة عن السلطة، وتعيين القضاه والحاخامات، كما أن هناك صلاحيات تجمع بها كالسجن وفرض الغرامات والعقوبات أو التحريم والعزل الاجتماعي، وكان كحال بولندا المعروف باسم (مجلس البلاد الأربع) بولندا الكبرى وبولندا الصغرى وفولينا وليتوانيا، و كان هذا المجلس يتمتع بصلاحيات كبيرة لحد ما؛ منها إقامة المحاكم المستقبلية، وفرض الضرائب، وتعيين القضاة، والإشراف على كثير من مفردات الحياة الاجتماعية وتنظيم حياة اليهود.
وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر شنت الجماعات اليهودية حملات نقدية إلى الكحال وتنظيماته نتيجة الممارسات التي كان موظفو الكحال يقومون بها تجاه يهود منها الابتزاز والرشاوى والاضطهاد، وللبعض دون الآخر. ولما تولى القيصر نيقولا الأول حكم روسيا عام (١٨٢٥م) أوضح منذ بداية حكمه أن اليهود يعدون شعبًا غريبًا يجب عليه أن يكيف نفسه مع الشعوب السلافية اليونانية الأرثوذكسية، =

اليهوديـة رفضت ذلك، وأوقفت القرار متمسكة بالتعليم الديني الذي يحافظ على تماسك اليهود وعلاقتهم بالكحال، فضلاً عن أن التعليم آنذاك قضية اقتصادية يحتاجها المجتمع اليهودي.

وفي ذلك يقول إيفانوف: «لقد حارب الحاخاميون وتجمعات الكحال هذا القرار باعتبار التعليم العلماني خطيئةً، ومارسوا سلطتهم بمنع الطلاب اليهود من الالتحاق بالمدارس العلمانية»(١).

وإزاء تنامي الكراهية بين اليهود والفلاحين الأقنان في القرى فقد أصدرت السلطة عام ١٨٢٥م قرارًا بمنع اليهود من دخول القرى، كما ألغت في العام نفسه قرار إعفاء اليهود من الخدمة العسكرية، وأصدرت قرارًا جديدًا يلزم اليهود بتقديم

= أو أن يقاس من نتائجه الوخيمة، وقام بسن قانون للتجنيد الإجباري يقضي بأن يؤدي اليهودي خدمة عسكرية مدة إحدى وثلاثين سنة، وعلى سلطة الكحال أن تقدم أسماء المجندين من اليهود، وقد تداول هذا القرار إلى أن تفشت الرشوة والمحسوبية بين العوائل اليهودية، وسلطات الكحال، واقتصر تقديم أسماء المجندين على العوائل اليهودية الفقيرة، مما أثار الحقد والضغينة بين الأوساط اليهودية المختلفة، فينتج عن ذلك مشاكل كبيرة جرت إلى حصر اليهود في أماكن سكن محددة من قبل القيصر الأول، وفرض على اليهود أمورًا كثيرة منها: عدم السماح لهم باستخدام الخدم المسيحيين، والزواج قبل سن الثامنة عشرة، أو استعمال لغة الييديش أو مصطلحاتها، وخطر اسخدام الزي اليهودي، وقام بتقسيم اليهود إلى نافعين وغير نافعين، وفرض على حركتهم في البلاد قيودًا كثيرة، ثم لم يلبث أن ألغى القهال أو الكحال في أواخر حكمه عام ١٨٤٤ وجعل اليهود تحت سلطة الإدارة الروسية مباشرة. راجع: عبدالوهاب المسيري، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣ — ٣٥.

(١) حجاوي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

عشـــرة أفراد عن كل ألف فرد للخدمة العسكرية الإجبارية التي كانت مدتها خمسة وعشرين عامًا. وقد لقي هذا القرار معارضةً شديـدةً من اليهود، كمــا خضعت عملية اختيــار العدد المطلوب للمساومات والرشاوي، ووقع عبء الجندية على العائلات الأقل حظًّا في الثراء.

ويشــار إلى أن رجال الكحال قـد أدوا دورًا كبيرًا في ذلك، حيـث إنهم كانوا يأخذون الرشاوى من البعض لقاء عدم اختيار أبنائهـم للخدمة العسكريــة، ويذكر أن السلطة قـد عمدت إلى اختطاف الأولاد ممن هم دون سن الجندية في محاولة لدمجهم. يقــول ديكي: «إذ إن هؤلاء الأولاد أســرع في تعلم اللغة الروسية، ومن ثم اعتناق الدين المسيحي والزواج من روسيات»، وإزاء فشل كل هــذه المحاولات بادرت السلطــات في الأربعينيات إلى تشكيل لجنة خاصــة لدراسة المشكلة اليهودية، وقدمــت اللجنة تقريرًا طالبــت فيه «بإجــراء إصلاحــات -جذرية- في أوضــاع اليهود من خلال محاربــة مدارس الحيدر واليشيفــا، وفرض المدارس العلمانيــة في الحظيرة، وإلغاء سلطة الكحال، وعزل كافة الذين لا يقومــون بعمــل اقتصادي عــن طريق تجنيدهــم وإخضاعهم للإجراءات البوليسية».

وقـد صدرت خــلال الأربعينيــات قرارات بفتــح المدارس العلمانيــة في الحظيرة على أمل أن يؤدي ذلك إلى إلغاء مدارس

(الحيدر واليشيقا) الخاصة باليهود. كما صدر قرار بحل سلطة الكحال وتجريده من سلطة الإشراف على تلك المدارس ومن مسؤولية جميع الضرائب، كما بدأت السلطة تتغاضى عن تسلل التجار اليهود نحو المدن الروسية خارج الحظيرة. ويذكر ليون وغيره أن الكثير من هؤلاء التجار قد استطاعوا التسجيل في جمعيات تجار موسكو والمدن الأخرى تحت غطاء بعض الأسماء الروسية «كأسماء بعض النبلاء والإقطاعيين الروس ممن وجدوا الفرصة سانحة للإفادة من أعمال اليهود التجارية»[(١)].

في حدود عام ١٨٥٥م كانت رؤوس الأموال قد تكونت لدى العديد من يهود الحظيرة، وقد جلب ذلك انتباه السلطة، إذ ما لبثت أن لجأت إلى إعادة النظر في سياستها اليهودية ضمن إعادة النظر في السياسة الروسية عامة وخاصة بعد هزيمة روسيا في حرب القرم الذي شكل عاملًا قويًّا في انهيار الاقتصاد الروسي، وتفاقم الوضع السياسي الذي أجبر السلطات الروسية عام ١٨٦١م إلى إصدار قرار إلغاء القنانة والإقطاع؛ بغية معالجة الموقف الاقتصادي الذي يحتاج إلى رأس المال والأيدي العاملة، لاسيما وأن هناك طبقة النبلاء التي تتكدس لديها رؤوس الأموال دون وجود فرص للعمل[(٢)].

---

(١) المصدر نفسه، وجون بيتي، الستار الحديدي حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص١٨-٢٠.

(٢) شاكر، مصدر سبق ذكره، ص٣٢.

لقد كان قـرار إلغاء القنانة والإقطـاع انعطافة جديدة في حيـاة المجتمع الروسـي، لاسيما في حيـاة اليهود الذيـن شُملوا بـه أيضًا؛ لينطلقوا من الحظيرة اليهوديـة باحثين عن الأعمال والاستثمـار في المدن الروسيـة، أمثال كبار التجـار الذين كانوا يدفعـون رسومًـا باهظة للعمـل خارج الحظـيرة تتناسب مدتها مـع مـا يدفعونه من الرسـوم، كذلك كبار المهنيـين من الأطباء والمهندسين والمحامين والحرفيين[1].

لقـد عـادت الحيـاة الجديـدة لليهـود الروس متمثلـة باستخـدام رأس المال واليد العاملة في إنشاء مشاريع حيوية من شأنها إعطاء اليهود حصة كبيرة في إعمار البلد وبسط النفوذ، وفعلًا بعد مدة ليسـت بالطويلة نرى أن المزارع الرئيسة وتجارة الحبوب والسكـر والصناعات الحيوية أصبحت بيد اليهود، كما أن المدارس الرسميـة التي كانـت تحظر على الطـلاب اليهود ارتـداء أزيائهم التقليدية الخاصة بهم صارت تعج بهم من دون التزاماتهم بتلك الممنوعات، كمـا ارتفعت نسبة الطلاب اليهود في الجامعات والدراسات العليا بعد أن كانت النسب المخصصة لهـم ضئيلـة جدًا؛ إذ ارتفـع عدد الطلاب بعـد عامين من قرار السلطـة الروسية مـن (١٩٥) طالبًا إلـى (٢٣٦٢) طالبًا؛ مما

(١) بيتي، الستار الصهيوني حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص١٦-٢٨.

ساعد على انتشار اللغة الروسية بين الطلبة اليهود، وشاعت الدعوة إلى الاندماج في المجتمع الروسي وتعلم اللغة الروسية؛ بل وجعلها لغة قومية لليهود، وقاموا بتشكيل جمعيات تدعو لذلك، وراحت الصحف تروج لهذه الجمعيات ومن أشهرها جمعية (نشر التنوير) التي أسسها بطرس برغ سنة ١٨٦٧م.

ثم قامت بافتتاح فروع لها في مدن روسية عديدة من الجهة الأخرى فقد صار مشهد حضور المثقفين الروس في المنتديات اليهودية حالة مألوفة، وصار هؤلاء الروس يدعون إلى رفع الحواجز والتمييز بين الشعب الروسي والجامعات اليهودية، مما زاد في نفوذ اليهود وشجعهم على استغلال هذا الوضع، فنرى ظهور تيار يهودي يعمل بهدوء، تتمثل دعوته بمحاربة الاندماج مع المجتمع الروسي، ويدعو إلى إحياء اللغة العبرية والاحتفاظ بالشخصية اليهودية، وهذه أول البوادر التي ظهرت لنشوء الصهيونية العالمية، وقد ضم هذا التيار طبقات المجتمع اليهودي المهمة مثل البرجوازية المتوسطة والطبقة المثقفة التي كان لها علاقات واتصالات خارجية مع الغرب، والتي كانت تعي أهمية رأس المال واستعماله وسيلة ضغط على الحكومات المضيفة لليهود، وكذلك الوصول بواساطته إلى أماكن صنع القرار، والتغلغل في عنعنات السلطة والتأثير المباشر في

القرارات السياسية التي تتحكم بانتهاج سياسة تتلاءم مع المصالح اليهودية في العالم[1].

إلا أن حدثًا مهمًّا قد طرأ داخل المجتمع اليهودي أدى إلى ظهور الطبقية الاجتماعية عندما ارتفع عدد كبير من التجار إلى مرحلة الرأسمالية، وانخفض الآخرون إلى امتهان الحرف الصغيرة والدنيا في المجتمع، وكان هذا بسبب السياسة اليهودية المنفلتة من قيود السلطة، إذ قضت المنافسة السعرية على عدد كبير من التجار الصغار والمتوسطين، وزادت من ملكية أصحاب رؤوس الأموال والتجار الكبار، وتزامن هذا الحدث مع زيادة عدد السكان اليهود المطردة، مما خرَّجت ملكية المشاريع الإستراتيجية من أيدي مالكيها الروس إلى أيدي التجار اليهود، مثل: مطاحن الحبوب ومعامل السكر ومعامل تقطير الكحول، وهذا الحدث أثار الرأي العام في روسيا، منبهين السلطات إلى أن اليهود قد أصبحوا قوة اقتصادية كبيرة قد تتحكم في يوم ما بمصير الشعوب الروسية؛ بل وحتى السلطة القيصرية، وكتب جاكوب برافمان سنة ١٨٦٩م وكان هذا يهوديًّا تحول إلى المسيحية «أن الكحال يُعِد مؤامرة ضد السلطة القيصرية»، وراجت أمثال هذه الكتابات في معظم مناحي القيصرية

(١) جون بيتي، الستار الحديدي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨ – ٢٥ وحجاوي، مصدر سبق ذكره ص ١٢.

الروسية، وكتب أحد مسؤولي الدولة إلى ولي العهد ألكسندر الثالث قائلًا: علينا أن نتساءل عن الأثر الذي يتركه قرار منح الإقامة لليهود في جميع أنحاء الإمبراطورية على الأوضاع الاقتصادية للجماهير الروسية، وقد شبه انتشار اليهود بالوباء، وحذر من الجيل اليهودي الجديد الذي اندرج في طبقات المجتمع الروسي.

وبدأ اليهود نتيجة نفوذهم بخلق المشكلات الاجتماعية والطائفية مع الجاليات الأخرى؛ فقد قامت في أوديسيا مذبحة بينهم وبين التجار اليونان عام ١٨٧١م كان سببها التنافس على تجارة الحبوب والبقالة، مما أشعر السلطات الروسية ببداية الخطر المحدق بها، فراحت كعادتها تصدر قرارات عديدة تحدد حرية اليهود وحركتهم في المجتمع الروسي، كما أغلقت كثيرًا من المدارس، وحاربت الطقوس والشعارات اليهودية، كما أنها أدركت حدثًا اقتصاديًّا خطيرًا؛ وهو غياب الطبقة البورجوازية الروسية واحتلال البورجوازية اليهودية محلها، وبهذا فإن الحكومة الروسية ستفقد أهم سند لها في المجتمع الروسي مع أتباعهم من طبقات الفلاحين وأصحاب المهن الصغيرة؛ فضلًا عن أن تلك الطبقة البرجوازية كانت تحل معظم المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عن طريق

هيمنتها في المجتمع الروسي، لكن بعد زوال هذه الطبقة أضيف عبئًا جديدًا على السلطات الروسية وهو أن تقوم بمعالجة ما كانت تقوم به البرجوازية الروسية بنفسها، وبهذا فإن إقصاء اليهود عن هذه الأماكن من شأنه زيادة التفاف الجماهير الروسية حول حكومتها، ثم إعطاء الجماهير الروسية نظرة مستقبلية بأن جميع المشكلات الاقتصادية وتفشي الفقر وزعزعة الأمن كل هذا يؤول إلى تنامي النفوذ اليهودي داخل المجتمع الروسي الذي أثقل صغار التجار بالديون الربوية الفاحشة التي دفعت المرابين إلى امتلاكهم معظم الأراضي الزراعية الخصبة في الدولة، ناهيك عن سيطرتهم على قطاع السكك الحديدية وقنوات التصدير للحبوب والقنب والكتان التي تقوم على هذه أكتاف الشرائح الدنيا في المجتمع؛ ونتيجة لهذه الأزمات فقد أصبحت الأمور مهددة بانفجار أمني خطير قد ينشر الفوضى والحروب في المجتمع الروسي.

مما دفع السلطات الروسية إلى إصدار القرارات المتتالية بخصوص إقصاء اليهود في المدن الروسية، ومنع التجار الصغار والمتوسطين من العمل خارج الحظيرة اليهودية، وأُوقف تعيين الخريجين في دوائر الدولة، وأُلغيت كثير من القرارات التي تسمح لليهود بالعمل في الجيش والمحاكم، كما صُودرت بعض

الأراضي التي يمتلكها اليهود، ومنعوا من المشاركة في مجالس البلديات والمجالس الانتخابية[1].

ومحاولة بأخذ زمام المبادرة من قبل الإمبراطورية الروسية فقد قامت في عام ١٨٩٧م بإجراء أول إحصاء رسمي للسكان لمعرفة توزيع وكثافة الشعوب الروسية والجاليات المهاجرة مع بيانات دقيقة لإحصاء المهن والحرف والوظائف لكل شريحة من شرائح المجتمع الروسي، وكانت النتيجة أن مجموع سكان الإمبراطورية (١٢٥,٦٤٠,٠٢١) نسمة، منهم (٥,٠٥٤,٠٣٠) نسمة، أي يهود بنسبة (٤,٢٪) من مجموع السكان العام، من هؤلاء اليهود (١٦١,٥٠٠) نسمة تعترف بهم السلطات الروسية بأنهم مواطنون أصليّون، وكانت كثافة توزيع السكان في أنحاء الإمبراطورية الروسية تختلف بين مدينة وأخرى، ويسري هذا الاختلاف أيضًا؛ إذ يتوزعون بشكل متباين بين منطقة وأخرى تبعًا لمصالحهم كما هو في الجدول رقم (١). أما الجانب الثاني من الإحصاء الذي يهتم بإحصاء المهن والحرف والوظائف فإنه يتمثل بالجدول رقم (٢)، وقد تم بيان نسبة اليهود من هؤلاء المهنيين والحرفيين بالنسبة للمجموع العام.

---

(١) شاكر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢. وبيتي، الستار الحديدي حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص ٣١.

جدول[1] رقم (١)

المنطقة	مجموع السكان الكلي	مجموع اليهود	نسبهم إلى مجموع السكان ٪	نسبتهم إلى مجموع اليهود ٪
المناطق البولونية	٩,٤٠٢,٢٥٣	١,٣٢١,١٠٠	١٤,١	٢٧
ليتوانيا	٤,٧٣٩,١٨٠	٦٩٧,٨٤١	١٤,٧	١٤,٣
روسيا البيضاء	٥,٣٢٣,٦٣١	٧٢٤,٥٩٠	١٣,٦	١٤,٧
أوكرانيا	١٤,٦٤٣,٠١٥	١,٤٢٥,٦١٨	٩,٧	٢٩
روسيا الجديدة	٨,٢٣٠,٤٨٨	٧٣٠,٢٧٨	٩	١٥
المجموع	٤٢,٣٣٨,٥٦٧	٤,٨٩٩,٤٢٧	٦٠,١١	١٠٠

جدول رقم (٢)

توزع اليهود العاملين في الأعمال المختلفة

العمل	عدد العاملين	نسبة المجموع العاملين اليهود
الحرف والصناعات	٥٤٢,٥٦٩	٪ ٣٧,٩
التجارة	٤٥٢,١٩٣	٪ ٣١,٦
الخدمات المختلفة	٢٧٧٠٤٦٦	٪ ١٩,٤
المهن	٧١,٩٥٠	٪ ٥
النقليات	٤٥,٩٤٤	٪ ٣,٢
الزراعة	٤٠,٦١١	٪ ٢,٩
المجموع	١,٤٣٠,٧٢٧	٪ ١٠٠

(١) الجـدولان أعـلاه نقلاً عـن كتاب اليهـود السوفييت لسلافة حجـاوي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤ — ٣٥.

يلاحظ من الجدولين السابقين أن كثافة اليهود قد تركزت في المدن التابعة للحظيرة اليهودية، كما نلاحظ أن النسبة الكبيرة من جدول توزيع اليهود العاملين كانت للتجارة والحرف والصناعات، ثم الخدمات المختلفة، أما المشاريع الصناعية فإن الإحصائية أثبتت أن نحو نصف عدد هذه المشاريع تعود ملكيتها لليهود، والجدول رقم (٣) يبين أن هذه المشاريع معظمها إستراتيجية.

جدول[١] رقم (٣)

ملكية المشاريع الصناعية في الحظيرة

المشروع	العدد العام	المشاريع اليهودية
النسيج	٣٧٢	٢٩٩
الخشب	٣٢٩	١٩٩
التبغ	١١٠	٨٣
الجلود	٥٣٠	٢٨٧
الصابون	١٣٩	١٢٢
الطابوق	٧٥٢	١٥٧
التقطير	٨٦٤	٥٧
معامل البيرة	٣٨١	١١٠
المياه المعدنية	١١٩	٨٣
المجموع	٣٦٠٣	١٣٩٧

(١) الجدول أعلاه نقلًا عن سلافه حجاوي، مصدر سبق ذكره، ص٣٨.

وكما هو مبين لقد كان لحيازة معظم الحرف الرئيسة وانتقال الملكيات الأساسية للاقتصاد الروسي بيد اليهود قد سبب في تزايد كراهية المواطن الروسي لليهودي الذي أصبحت بيده معظم مقدرات الشعب الروسي؛ فهو المرابي الذي يفرض هيمنته على أسواق المال، وهو تاجر الحبوب الذي يتحكم برغيف الخبز، وهو صاحب المهنة والحرفة التي يلجأ إليه المواطن الروسي في أغلب حاجاته اليومية، فضلاً عن تحكم مالكي المشاريع الكبيرة والأراضي الزراعية الواسعة بإنتاجهم وفرض الأسعار التي أنهكت كاهل المواطنين الروس؛ بل وأصبحوا يجدون أنفسهم تحت رحمة هؤلاء الضيوف في كل مجالات الحياة.

وتقول حجاوي في كتابها اليهود السوفييت: «ولا يمكن إغفال مشاعر الكراهية التي حملتها مختلف طبقات السكان من روس وأوكرانيين وبيلوروس وغيرهم لليهود، تلك الكراهية المنطلقة أساسًا من طبيعة تلك الوظيفة الاجتماعية التجارية التي دأبوا على ممارستها بشكل ملفت للنظر؛ فقد أدت سيطرة التجار اليهود على معظم تجارة المنتوجات الزراعية في الحظيرة إلى وجود احتكاك مباشر ومستمر بين هؤلاء التجار والفلاحين احتكاكًا لا يختلف كثيرًا عن عهود الإقطاع من حيث طبيعته الاستغلالية، ويصف إسحق دويتشر التطورات الجديدة قائلاً: كان وضع اليهود بشكل عام أفضل من وضع الفلاحين الروس،

وكان الروسي ينظر بعين الريبة إلى البقال اليهودي في القرية أو صاحب الحانة التي كانت تجارته في الغالب تقوم على الاحتيال؛ وذلك زيادة على ما نشأ من عداء مستحكم بين البرجوازية التجارية الروسية والأوكرانية وغيرها وبين صغار تجار الروس، ذلك العداء الذي كان أصلاً وراء تشكيل حظيرة التوطين اليهودية، والذي استمر في التصاعد على شكل تنافس تجاري ضار، هدفه الاستحواذ على أكبر قسط من الأرباح المستلمة أساسًا من أفواه الجماهير الفلاحية المدقعة التي خلفها قانون إلغاء القنانة وتفتيت الإقطاع وجعلها في مهب الريح. كذلك فقد كانت المنافسة على أشدها بين الحرفيين أصحاب دكاكين البقالة والخياطين وغيرهم؛ لا بل إن قطاع العمال الصناعيين كان لا ينظر بعين الراحة إلى العمال اليهود الذين يتوجهون للصناعات الخفيفة من دون أن يقتربوا من الصناعات الثقيلة، ويفضلون الحرف الناعمة على الخشنة منها. كما لا شك بأن تيار الهجرة إلى خارج روسيا الذي بدأه العمال اليهود المهرة قد أثار حفيظة العمال الروس الذين كانوا يبلورون حركتهم العمالية الثورية بقيادة الحزب الديمقراطي الاشتراكي، وكانوا في أمس الحاجة للعمال الصناعيين المهنيين لدعم الطبقة البروليتارية الناشئة»[1].

---

(١) حجاوي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩ – ٤٢.

هجرة اليهود الروس

كان للظروف المحيطـة للجماعات اليهودية في روسيا الأثر الكبير في نشوء فكرة الهجـرة التي كانت تتمثل بنوعين، داخلية وخارجيـة، فالداخليـة من الشمـال للجنوب، وذلـك سعيًا وراء أماكـن الهدوء والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي، والخارجية إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

وكانـت الظـروف المحيطـة بالجماعـات اليهوديـة تتمثل بالعنـف الـذي حصل لهم وجرهـم إلى دخول نزاعـات داخلية تتصاعـد بشكل مضطرد، تدفعها أسبـاب مباشرة وأخرى غير مباشـرة؛ فمـن الأسبـاب المباشرة اغتيـال القيصـر ألكسندر الثـاني الذي اتهم باغتياله اليهـود، وشجعت السلطة الجماهير بصـورة غير مباشرة على مواجهة اليهود ومحاولة القضاء على نفوذهم بهذه الحجة.

أمـا الأسباب غـير المباشـرة فكثيرة، منهـا نشاط حزب (النـاردو) الـذي كان له الـدور الرئيس في تأجيـج الرأي العام وتأليـب الجماهـير ضـد الممارسـات اليهودية، وقـد عمل هذا الحـزب مـدةً طويلةً سـرًّا، كذلـك تأسيـس جمعيـة (العصبة المقدسـة) التـي أخـذت علـى عاتقهـا التحريض ضـد اليهود والتخطيـط لأعمـال العنـف والتصفيـات الجسديـة والمذابـح

الجماعية، وهذه الجمعية كانت تعمل بالسر وبعلم من السلطات القيصرية، وتذكر المصادر أن (٢١٥) حادثة عنف قد وقعت بين عامي ١٨٨١ – ١٨٨٣م سقط خلالها أعداد من اليهود بين قتلى وجرحى[١]. كما استمرت أحداث العنف ضد اليهود تتوالى بين الفينة والأخرى، وكانت هناك إصابات منظمة استغلت السلطة القيصرية كراهيتها لليهود وشجعتهم بصورة غير مباشرة من خلال إفهامهم أنهم جاؤوا لتحطيم روسيا والقضاء على العنصر السلافي فيها، فضلًا عن القوانين الصارمة التي تفننت فيها السلطات الروسية ضد اليهود، وكان آخرها توجيه تهمة التجسس لحساب ألمانيا؛ إذ قامت السلطة بنقل كافة اليهود المقيمين في المناطق الغربية من حظيرة التوطن ودون تمييز إلى أواسط روسيا، وتم ترحيلهم بطرائق مزرية متمثلة بالقسوة وعدم الاكتراث لملكياتهم أو أراضيهم التي يتركونها وراءهم، ونقلوا بوسائط النقل التي تفتقر إلى أدنى أساليب الراحة مع إذلالهم وتجويعهم وحرمانهم من أي خدمات طبية خلال الطريق.

ومنذ بداية تلك الأحداث في الثمانينيات من القرن التاسع عشر بدأت فكرة الهجرة الخارجية تختمر لدى

---

(١) بيتي، الستار الحديدي حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص٣٣.، وحجاوي مصدر سبق ذكره، ص٤٠.

الشرائح اليهودية، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية الهدف الأول لليهود؛ إذ الازدهار والاستقرار الاقتصادي والسياسي، وفعلًا خلال عقدين من الزمان هاجر نحو مليوني يهودي إلى الولايات المتحدة، ونشأت جمعية يهودية باسم (عام عولان)، وتعني (الشعب الخالد)، مهمة هذه الجمعية تشجيع الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ودأبت هذه الجمعية على ترويج الدعاية للعمل في الزراعة وإقامة مزارع جماعية في الولايات المتحدة يستطيعون من خلالها إعادة الشمل اليهودي، ومنحة الحياة الحرة الجديدة، في الوقت نفسه كانت بريطانيا و الدول الأوروبية يصدرون قوانين تمنع دخول المهاجرين اليهود إلى أراضيهم؛ إذ كانوا يسمونهم الغرباء، وحذت فرنسا وألمانيا حذو مثيلاتها إلى ذلك[1].

---

(١) يقول جون بيتي: في نيويورك وحدها يوجد أكثر من مليون ونصف المليون من اليهود، وهم خليط من الروس والبولونيين والإيطاليين، ولكن أكثرهم جاء من ذلك القسم من بولونيا المتاخمة للأراضي الروسية. لقد سيطر يهود الخزر على سائر اليهود الذين هاجرو قبل خمسين سنة إلى أمريكا، لقد سيطروا عليهم وقلبوا حياتهم رأسًا على عقب، وجعلوهم ينصاعون لإرادتهم، وربما كان انصياعهم عن رهبة لا رغبة، وعن خوف لا ميل. لقد قلبت الأوضاع وامتثل اليهود القدماء المخلصون للبلاد على اليهود المستجدين الذين جاؤوا من أوروبا الشرقية في الحقبة الأخيرة، وهذا موطن الخطر. واستفحل أمر الهجرة اليهودية واعترض عليها كثيرون من نواب الأمة، وشيوخها، وصاحوا محتجين: «إننا أصبحنا أمة داخل أمة، أو حكومة داخل حكومة»، وطالبوا بوقف الهجرة حتى لا يتفرق الشعب شيعًا وأحزابًا، وكان عدد اليهود القاطنين في أمريكا سنة (١٨٧٧) زهاء ٢٣٠,٠٠٠ فأصبحوا ٤٧٥,٠٠٠ في عام (١٨٩٠)، ثم ١,٧٧٥,٠٠٠ في عام (١٩٣٦)، وإلى ٧,٥٠٠,٠٠٠ في وقتنا =

والهدف الثـاني من هجرة اليهـود كان فلسطين التي بدأت الحكومة البريطانية بتحريض اليهود وتشجيعهم على الهجرة إلى فلسطين، لاسيما في عهد رئاسة جيمس آرثر بلفور للوزارة، وفعلاً دخـل فلسطين بين عامـي ١٨٨٢–١٩١٤م نحو مئـة ألف مهاجر يهـودي، وكان سبب تشجيـع الحكومة البريطانيـة لليهود باتجاه فلسطين التخلص منهم واستجابة للتظاهرات التي كانت تشهدها شـوارع لنـدن مطالبـة بطرد اليهود وعـدم السمـاح لهم بدخول بريطانيا؛ لما يشكلونه من ضرر على مصالحهم الاقتصادية، وقد تشكلت لجنة حكومية لدراسة هذه المشكلة ووضع الحلول السريعة لهـا، وفعلاً قامت هذه اللجنة بإصـدار لائحة تتضمن سلسلة من القيود الصارمة على دخول الأراضي البريطانية.

وقـد أشار هرتـزل على اللجنة بأن هـذه اللائحة لا تجدي نفعًا؛ بـل علينا أن نجد مكانًا نفرغ فيه هـؤلاء اليهود، وقد أيده بذلـك وزير المستعمرات آنذاك (تشمبرلن)، أما بلفور فقد قال

= هذا. ومع ضخامة هذا العدد إلا أن الإحصاء غير الرسمي يرتفع بالعدد إلى عشرة ملايين.. نعم عشرة ملايين!

وفي بحث رسمي عن السكان الأصليين والمهاجرين واليهود وردت هذه العبارة: (وفي سنـة ١٩٣٧) كان اليهـود يمثلون أربعة بالمئـة من مجموع السـكان، فأصبحوا الآن يمثلون نسبة أكبر لتدفق الهجرة من أوروبا، لقد زاد عدد الأمريكيين الأقحاح ثلاثة أضعـاف منذ سنة (١٨٧٧)، أما اليهود فـزادوا ٢١ ضعفًا، أي أن نسبتهم منذ سنة (١٨٧٧) أصبحت ٢١٠٠ بالمئة. راجـع: بيتي، الستار الحديدي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦ و ٢٧.

«إنه لن يكون في صالحنا أن توجد كتلة بشرية تبقى منفصلة بفعل ممارساتها الذاتية ليس فقط باعتناقها دينًا مختلفًا عن دين الغالبية السكانية؛ وأيضًا بسبب عدم التزاوج إلا فيما بينها»[1].

(وصول اليهود لاستلام السلطة في روسيا)

لقد عمل يهود الخزر الذين لم يهاجروا من روسيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية أو إلى أوروبا إلى التخطيط الدقيق للوصول إلى سدة الحكم، وكانت بداية ذلك أن قام اليهود بتأسيس الأحزاب والاتحادات السياسية في روسيا والبلدان المجاورة لها، فقد أسسوا (الحزب الروسي) في أواخر الثمانينيات من القرن الثامن عشر، و أنشئ في عام ١٨٩٧م (اتحاد العمال اليهود) في بولندا وليتوانيا، وكانت معظم أهدافه ثورية، وقبل ذلك في عام ١٨٨٤م عُقد اجتماع يهودي دولي عند الحدود الروسية في مدينة كاتويتز حضره ممثلون عن جميع الطوائف اليهودية من جميع البلدان، وكان محور هذا الاجتماع يدور حول احتلال فلسطين، كما أن اليهود في روسيا قد بدؤوا في اعتناق الماركسية ليس لأنها حزب ثوري؛ وإنما لأن كارل ماركس كان يهوديًا، وأن تعاليمه تتفق مع التلمود البابلي، ثم إنهم أيَّدوا

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧ – ٢٨.

البلاشفة تأييدًا فاعلًا؛ لأن الشيوعية تؤدي إلى السيطرة على الحكم، وهم يرومون إلى التخلص من القيصر. وهكذا تألفت من اليهود والخزر والشيوعيين قوة كبيرة أدَّت دورًا مهمًّا في رسم مستقبل البلاد السياسي.

ويقول جون بيتي في كتابه الستار الحديدي حول أمريكا: «وجاءت اللحظة الحاسمة في عام ١٩١٧م عندما كانت روسيا تترنح تحت ضربات ألمانيا قبل أن تقع ألمانيا بدورها صريعة تحت قدمي بريطانيا وفرنسا وأمريكا بعد ذلك بعام واحد، وكانت هذه اللحظة عندما أوقف الشيوعيون في الخامس عشر من شهر مارس عام ١٩١٧م القطار الذي كان يقل القيصر، وقالوا إن حكمه قد انتهى؛ وهنا فقط أحس اليهود الذين يعيشون في روسيا فجأة أنهم قد تخلصوا من الاضطهاد والذل.

وفي هذه اللحظة ظهر لينين على المسرح بعد غياب تسع سنوات، وأدرك الألمان أن لينين لن يكون أكثر من رجل سيثير المتاعب لروسيا عدوة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، فقدمت له كل ما يحتاج إليه من مساعدات، ونقلته هو ومن كان معه من رفاقه الذين قدر عددهم بنحو (٢٠٠) في قطار مقفل من سويسرا حتى حدود روسيا.

وعندما أعلن عن أسماء وجنسيات الذين كانوا يصاحبون لينين في سفرته إلى روسيا اتضح أنه (١٢٨) منهم كانوا من

اليهود، وفي الوقت نفسه وصل تروتسكي من الولايات المتحدة يتبعه نحو (٣٠٠) يهودي آخرين من مدينة نيويورك وانضموا إلى الحزب الشيوعي.

وهكذا حكم روسيا لينين -واسمه الحقيقي برونشتاين- وطائفة من اليهود من غير الروس وعدد آخر من يهود الروس والخزر، وأصبح أولئك جميعًا سادة روسيا.

إن الزعماء الذين ينحدرون من أصل يهودي أمثال تروتسكي وزينونيف وكامانيف وسفير دولف هم الذين مكنوا البولشفيك من أن يسيطروا على مقاليد الأمور في روسيا، وعندما أصبح لليهود هذه القوة في روسيا وأحسوا بأن جهاز الحكم كله غدا رهن إشارتهم أخذوا يوجهون كل وسائل الدعاية لتحقيق مآربهم العنصرية؛ فالصحافة هناك تنشر من يوم إلى آخر طائفة من المقالات التي تهاجم الميول المناوئة للسامية، وقد حدث في عام ١٩٣٥م أن قضت المحكمة بأن مناوأة السامية في روسيا عقوبتها الإعدام.

ومما يلاحظ هنا أن زعماء روسيا ومنهم ستالين وكاجانوفيتش وبريا ومولتوف ولينيتوف كانوا إما من أصل يهودي وإما متزوجين من يهوديات؛ فكان زعماء الحركة الصهيونية السابقة الذين ظهروا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل

القرن العشرين من أبناء بلاد أوروبا الشرقية، فتيودور هرتزل مثلاً صاحب فكرة الدولة اليهودية والزعيم الذي رأس المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في سويسرا في أغسطس عام ١٨٩٧م كان من مواليد بودابست، ووايزمان أيضًا من مواليد بولندا»[١].

ولذلك فليس بعجيب أن نرى أن المهاجرين اليهود الذين يفدون إلى فلسطين ينتمون إلى أصل سوفييتي أو إلى بلاد شرق أوروبا التي تدور في فلك السوفييت اليوم، «لقد دخلت الصهيونية مرحلتها العنيفة بعد اكتشاف الثروة المعدنية الهائلة في فلسطين؛ إذ قدرت هذه الثروة في البحر الميت وحده بنحو بمليارات الدولارات، وقد عهدت روسيا إلى اليهود الخزر بالمهام السرية ولا سيما فيما يتعلق منها بالجاسوسية، ويتضح هذا من استعراض قضايا الجاسوسية الذرية في كندا؛ إذ كان المتهمون فيها هم سام كار؛ وهو منظم شبكة الجاسوسية، وكل أولئك إما من مواليد روسيا وإما من البلاد التابعة لها»[٢].

هجرة يهود الخزر إلى إنجلترا

مرَّ بنا قبل صفحات كيف تظاهرت الشعوب البريطانية رافضة سماح الحكومة بدخول اليهود واستيطانهم فوق أراضيها،

---

(١) جون بيتي، الستار الحديدي حول أمريكا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣ - ٢٥.

(٢) فريح، غازي محمد، النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ص ٢٠٩ - ٢٢٠.

إلا أن أساليب اليهود في تحقيق أغراضهم غالبًا ما تحظى بالنجاح؛ والسبب في ذلك يرجع إلى التخطيط البعيد واستعمال رأس المال اليهودي في تحقيق الغايات بطريقة الرشاوى وإثقال المقابل بالديون الربوية وما شابه ذلك من هذا القبيل، وبالطريقة نفسها فقد نجح اليهود في بلوغ غايتهم بإدخال نفوذهم في إنجلترا؛ إذ دفع المرابون اليهود معونة مالية إلى (كرومويل) إثر قيامه بالثورة مقابل حصوله على إقرار من السلطة الإنكليزية بقبول اليهود كمواطنين في إنجلتره، ولكن وجود الملك (شارل الأول) على العرش حال دون ذلك؛ إذ رفض أن يعترف بوجودهم في البلاد، ولكن اليهود لم يلبثوا أن دبروا طريقةً لإعدامه.

وبعد صعود الملك (تشارلز الثاني) عام ١٦٦٠م على العرش كان اليهود قد رسخوا نفوذهم في أسواق بريطانيا، وتمكنوا من السيطرة على مقدرات البلاد المالية، وكانت الأحداث السياسية قد أثرت تأثيرًا كبيرًا في ضعف الخزينة، مما اضطرت الحكومة على الاقتراض من اليهود مقابل فوائد فاحشة، كانت هذه القروض بداية لسيطرة اليهود على البلاد؛ إذ قاموا بحيازة معظم الممتلكات والأراضي مقابل ديونهم التي عجز المقترضون عن سدادها، ثم إنهم استغلوا ضعف الإنجليز المادي آنذاك وعجزهم عن الوفاء بالديون وفوائدها ولا سيما النبلاء منهم، مما أرغمهم على مصاهرة اليهود والاقتران

ببنايهم بعد أن كانوا يأنفون ذلك ويعدونهم من طبقات لا تليق بهم في هذا الخصوص، وهذه خطوة أدخلت اليهودية إلى بيوت النبلاء وإلى أعرق البيوت الإنكليزية؛ لتصبح المرأة اليهودية الآمرة الناهية في الدولة[1].

وفي سنة ١٩١٧م بلغ نفوذ اليهود في إنكلترا حدًّا مكنهم من إنشاء أول محفل ماسوني في لندن، وأسندوا رئاسته إلى العاهل الإنكليزي؛ ليستغلوا نفوذه في تحقيق غاياتهم، وفي السنوات اللاحقة أُنشئت محافل فرعية في أسكوتلندا وأيرلندا، ومن ثم انتشرت في أوروبا الغربية وجميع أنحاء العالم[2].

وقد مارس العاهل الإنكليزي تحيزًا كبيرًا لصالح اليهود على الرغم من إعلانه أنه مسيحي، إلا أن يهوديته بالسر دفعته لدعم الوجود اليهودي سيما بالجانب الاقتصادي، إذ أصدر العديد من القرارات لصالح اليهود ومنها تنقية المصارف من المساهمين غير اليهود ليصبح النفوذ المالي اليهودي هو القوة المهيمنة على بريطانيا. عندها أصبحت لندن المركز الأول للحركة اليهودية العالمية بفعل ثراء اليهود، وأصبحت الحركة

---

(١) ناجي، س، المفسدون في الأرض، دار العربي للنشر والتوزيع والإعلان، ط٢، دمشق، ١٩٧٣ ص ٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

الصهيونيـة تظهـر بشكل لم يسبـق له مثيل. لا سمـا في تطبيق بروتوكـولات اليهـود الراميـة إلـى اغتصاب فلسطـين، وهكذا تتوالـى الأحداث السياسية التي يؤدي اليهـود فيها أدوارًا مهمة لاسيمـا في أماكن صنع القرار، فقـد بلغ نفوذ اليهود ذروته عام ١٩١٠م عندمـا أصبح مجلس العرش البريطـاني تسعة أعضاء يهـود من أصل اثني عشر عضـوًا[١]، كما أن المجلس الاستشاري الأعلى كان يضم عددًا كبيرًا من اليهود.

---

(١) علـى الرغـم مـن أن عدد اليهـود في المملكة المتحـدة آنذاك لا يتجـاوز الثلاث مئة ألـف نسمة إلا أن تأثير الضغـط السياسي لليهود على الحكومة البريطانية كان قويًّا إلـى درجة جعل بريطانيا تتصـدر المؤتمرات والمشاريع الخاصة بتوطين اليهود، كان لبريطانيا الدور الرئيس في تحريض يهود العالم ومساعدتهم بالهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على حرص البريطانيين الجاد في التخلص من اليهود وممارساتهم، وقد تعاطفت مع الجهود البريطانية دول عديدة أوروبيـة منها وغربية للسبـب نفسه، ويمكن لنا في الجداول الآتيـة أن نرى المواطن التـي وصلت إليهـا الجماعات اليهودية المهاجرة من بلاد الخـزر إلى روسيا ثم إلى البلدان الأخرى، وحيـث إن الجماعات اليهودية موزعة في أرجاء العالم من الناحية الجغرافية على النحو الآتي:

أوروبا (بما في ذلك روسيا الآسيوية، والبلقان، تركيا)	١,٩٢٤,٢٠٠
آسيا (فلسطين المحتلة أساسًا)	٤,٣٧٨,٦٠٠
إفريقيا (جنوب إفريقيا أساسًا)	١٠٦,٧٠٠
أمريكا الشمالية وأمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية (الولايات المتحدة)	٦,٤٠٩,٧٠٠
أستراليا ونيوزيلندا	٩٤,٦٠٠
المجموع	١٢,٩١٣,٨٠٠

=

= أمريكا الشمالية:

البلد	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف
كندا	٢٧,٧٥٥,٠٠٠	٣٥٦,٠٠٠	١٢,٨
الولايات المتحدة		٥,٦٢٠,٠٠٠	٢١,٨
المجموع	٢٨٥,٥٩٥,٠٠٠	٥,٩٧٦,٠٠٠	٢٠,٩

البلد	عدد السكان	عدد اليهود	النسبة في الألف
الانتليز الهولند	١٧٥,٠٠٠	٤٠٠	٢,٣
بنما	٢,٥٦٣,٠٠٠	٥,٠٠٠	٢,٠
بورتوريكو	٣,٦٢٦,٠٠٠	١,٥٠٠	٠,٤
جمايكا	٢,٤٩٥,٠٠٠	٣٠٠	٠,١
جزر البهاما	٢٦٨,٠٠٠	٣٠٠	١,١
غواتمالا	١٠,٠٢٩,٠٠٠	٨٠٠	٠,١
الدومينكان	٧,٦٢١,٠٠٠	١٠٠	—
فيرجن إيلاند	١٠٧,٠٠٠	٣٠٠	٢٠٨
كوبا	١٠,٩٠٧,٠٠٠	٧٠٠	٠,١
كوستاريكا	٣,٢٧٠,٠٠٠	٢,٠٠٠	٠,٦
المكسيك	٨٩,٩٩٨,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	٠,٤
بلاد أخرى	٢٥,٣٣٠,٠٠٠	٣٠٠	—
المجموع	١٥٦,٣٨٩,٠٠٠	٥١,٧٠٠	٠,٣

أمريكا الوسطى و أمريكا الجنوبية

البلد	عدد السكان	عدد اليهود	النسبة في الألف
الأرجنتين	٣٣,٤٨٧,٠٠٠	٢١١,٠٠٠	٦,٣
أكوادور	١١,٣١٠,٠٠٠	٩٠٠	٠,١
أوروغواي	٣,١٤٩,٠٠٠	٢٣,٨٠٠	٧٠٦

=

الأرجنتين	٣٣,٤٨٧,٠٠٠	٢١١,٠٠٠	٦,٣
أكوادور	١١,٣١٠,٠٠٠	٩٠٠	٠,١
أوروغواي	٣,١٤٩,٠٠٠	٢٣,٨٠٠	٧٠٦
باراغواي	٤,٦٤٣,٠٠٠	٩٠٠	٠,٢
البرازيل	١٥٦,٥٧٨,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	٠,٦
بوليفيا	٧,٧٠٥,٠٠٠	٧٠٠	٠,١
بيرو	٢٢,٩١٣,٠٠٠	٣,٠٠٠	٠,١
سورينام	٤٤٦,٠٠٠	٢٠٠	٠,٤
شيلي	١٣,٨١٣,٠٠٠	١٥,٠٠٠	١,١
فنزويلا	٢٠,٦١٨,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	١,٠
كولومبيا	٢٣,٩٨٥,٠٠٠	٦,٥٠٠	٠,٢
المجموع الكلي للبلاد الأمريكية	٧٥٠,٦٣١,٠٠٠	٦,٤٠٩,٧٠٠	٨,٥٣

أستراليا ونيوزيلندا

البلد	عدد السكان	عدد اليهود	النسبة في الألف
أستراليا	١٧,٨٤٣,٠٠٠	٩٠,٠٠٠	٥,٠
نيوزيلندا	٣,٤٨٧,٠٠٠	٤,٥٠٠	١,٣
بلاد أخرى	٦,٦١٧,٠٠	١٠٠	—
المجموع	٢٧,٩٤٧,٠٠٠	٩٤,٦٠٠	٣,٤

آسيا

البلد	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف
إسرائيل	٥,١٩٥,٩٠٠	٤,٢٤٢,٥٠٠	٨١٦,٥

= نسب اليهود في دول أمريكا الجنوبية

البلد	عدد السكان	عدد اليهود	النسبة في الألف
الأرجنتين	٣٣,٤٨٧,٠٠٠	٢١١,٠٠٠	٦,٣
أكوادور	١١,٣١٠,٠٠٠	٩٠٠	٠,١
أوروغواي	٣,١٤٩,٠٠٠	٢٣,٨٠٠	٧٠٦
باراغواي	٤,٦٤٣,٠٠٠	٩٠٠	٠,٢
البرازيل	١٥٦,٥٧٨,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	٠,٦
بوليفيا	٧,٧٠٥,٠٠٠	٧٠٠	٠,١
بيرو	٢٢,٩١٣,٠٠٠	٣,٠٠٠	٠,١
سورينام	٤٤٦,٠٠٠	٢٠٠	٠,٤
شيلي	١٣,٨١٣,٠٠٠	١٥,٠٠٠	١,١
فنزويلا	٢٠,٦١٨,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	١,٠
كولومبيا	٢٣,٩٨٥,٠٠٠	٦,٥٠٠	٠,٢
المجموع الكلي للبلاد الأمريكية	٧٥٠,٦٣١,٠٠٠	٦,٤٠٩,٧٠٠	٨,٥٣

بلاد آسيوية

البلد	عدد السكان	عدد اليهود	النسبة في الألف
إيران	٦٣,١٨٠,٠٠٠	١٦,٠٠٠	٠,٣
تايلاند	٥٦,٨٦٨,٠٠٠	٢٠٠	—
سنغافورة	٢,٧٩٨,٠٠٠	٣٠٠	٠,١
سوريا	١٣,٧٦٢,٠٠٠	١,٢٠٠	٠,١
العراق	١٩,٩١٨,٠٠٠	٢٠٠	
الفلبين	٦٦,٥٤٣,٠٠٠	١٠٠	—
كوريا الجنوبية	٤٤,٥٠٨,٠٠٠	١٠٠	
الهند	٨٩٦,٥٦٧,٠٠٠	٤,٥٠٠	—
هونغ كونغ	٥,٨٤٥,٠٠٠	١,٠٠٠	—
اليابان	١٢٤,٩٥٩,٠٠٠	١,٠٠٠	
اليمن	١٢,٩٧٧,٠٠٠	١,٦٠٠	—
بلاد أخرى	١,٩١٨,٥٠٦,٠٠٠	٣٠٠	٠,٢

=

			—
			٠,١
			—
المجموع	٣,٢٢٦,٤٣١,١٠٠	٢٦,٥٠٠	—
المجموع الكلي للبلاد الآسيوية	٣,٣٠٠,٩٢٧,٠٠٠	٤,٣٧٨,٦٠٠	١,٣

إفريقيا

البلد	عدد السكان	عدد اليهود	النسبة في الألف
أثيوبيا	٥٤,٦٢٨,٠٠٠	١,٥٠٠	—
تونس	٨,٥٧٩,٠٠٠	٢,٠٠٠	٠,٢
الجزائر	١٩,٥٩٠,٠٠٠	٣٠٠	
جنوب إفريقيا	٤٠,٧٧٤,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	—
زائير	٤١٠,١٦٦,٠٠٠	٤٠٠	٢٠٥
زامبيا	٨,٨٨٥,٠٠٠	٣٠٠	—
زيمبابوي	١٠,٨٩٨,٠٠٠	١,٠٠٠	
مصر	٥٦,٠٦٠,٠٠٠	٢٠٠	—
بلاد أخرى	٤٢٧,٩٩٠,٠٠٠	١,٠٠٠	٠,١
			—
			—
المجموع	٦٦,٨٥٧,٠٠٠	١٠٦,٧٠٠	١,٦

أوروبا

الجماعة الأوروبية

البلد	عدد السكان	عدد اليهود	النسبة في الألف
إسبانيا	٣٩,١٥٣,٠٠٠	١٢,٠٠٠	٠,٣
ألمانيا	٨٠,٦٠٦,٠٠٠	٥٠,٠٠٠	٠,٦
إيرلندا	٣,٤٨١,٠٠٠	١,٨٠٠	٠,٥

=

إيطاليا	٥٧,٨٢٦,٠٠٠	٣١,٠٠٠	٠,٥
البرتغال	٩,٨٧٠,٠٠٠	٣٠٠	—
بلجيكا	١٠,٠١٠,٠٠٠	٣١,٠٠٠	٣,٢
الدنمارك	٥,١٦٩,٠٠٠	٦,٤٠٠	١,٢
فرنسا	٥٧,٣٧٩,٠٠٠	٥٣٠,٠٠٠	٩,٢
لوكسمبورغ	٣٨٠,٠٠٠	٦٠٠	١,٦
المملكة المتحدة	٥٨,٠٣٩,٠٠٠	٢٩٨,٠٠٠	٥,١
هولندا	١٥,٢٧٠,٠٠٠	٢٥,٦٠٠	١,٧
اليونان	١٠,٢٠٨,٠٠٠	٤,٨٠٠	٠,٥
المجموع	٣٤٧,٣٩١,٠٠٠	٩٩٢,٣٠٠	٢,٩

باقي دول أوروبا الغربية

البلد	عدد السكان	عدد اليهود	النسبة في الألف
جبل طارق	٣١,٠٠٠	٦٠٠	١٩,٤
السويد	٨,٦٩٢,٠٠٠	١٥,٠٠٠	١,٧
سويسرا	٦,٨٦٢,٠٠٠	١٩,٠٠٠	٢,٨
فنلندا	٥,٠٢٠,٠٠٠	١,٣٠٠	٠,٣
النرويج	٤,٣١٠,٠٠٠	١,٠٠٠	٠,٢
النمسا	٧,٨٠٥,٠٠٠	٧,٠٠٠	٠,٩
بلاد أخرى	٧٧١,٠٠٠	١٠٠	٠,١
المجموع	٣٣,٤٩١,٠٠٠	٤٤,٠٠٠	١,٣

البلاد الأوروبية في الاتحاد السوفياتي (سابقًا)

البلد	عدد السكان	عدد اليهود	النسبة في الألف
أستونيا	١,٦٠٠,٠٠٠	٣,٤٠٠	٢,١
أوكرانيا	٥١,٩٠٠,٠٠٠	٢٧٦,٠٠٠	٥,٣
روسيا	١٤٩,٠٠٠,٠٠٠	٤١٥,٠٠٠	٢,٨
روسيا البيضاء	١٠,٣٠٠,٠٠٠	٤٦,٠٠٠	٤,٥
لاتفيا	٢,٦٠٠,٠٠٠	١٣,٥٠٠	٥,٢

=

ليتوانيا	٣,٨٠٠,٠٠٠	٦,٥٠٠	١,٧
مولدفيا	٤,٤٠٠,٠٠٠	١٩,٤٠٠	٤,٤
المجموع	٢٢٣,٦٠٠,٠٠٠	٧٧٩,٨٠٠	٣,٥

أوروبا الشرقية

البلد	عدد السكان	عدد اليهود	النسبة في الألف
بلغاريا	٨,٩٢٦,٠٠٠	١,٩٠٠	٠,٢
البوسنة والهرسك	٤,٠٠٠,٠٠٠	٣٠٠	٠,١
بولندا	٨٣,٥١,٠٠٠	٣,٦٠٠	٠,١
تركيا (بما في ذلك	٥٩,٥٧٧,٠٠٠	١٩,٥٠٠	٠,٣
المناطق الآسيوية)	١٠,٣٠٠,٠٠٠	٣,٨٠٠	٠,٤
تشيك	٣٢,٣٧٧,٠٠٠	١٦,٠٠٠	٠,٧
رومانيا	٥,٣٠٠,٠٠٠	٣,٨٠٠	٠,٧
سوفاكيا	٢,٠٠٠,٠٠٠	١٠٠	—
يوفينيا	٤,٤٠٠,٠٠٠	١,٤٠٠	٠,٣
كرواتيا	١٠,٤٩٣,٠٠٠	٥٦,٠٠٠	٥,٣
المجر	٩,٨٠٠,٠٠٠	١,٧٠٠	٠,٢
يوغسلافيا			
المجموع	١٧٦,٦٩١,٠٠٠	١٠٨,٠٠٠	٠,٦
المجموع الكلي للبلاد الأوروبية	٧٨١,١٧٣,٠٠٠	١,٩٢٤,٢٠٠	٢,٥

ويلاحظ أنه يوجد دولتان اثنتان (الولايات المتحدة وإسرائيل) تضمان الأغلبية الساحقة ليهود العام (٧٥٪). ولا يزيد عدد اليهود عن نصف مليون إلا في دولة واحدة (فرنسا). وينقص عن النصف مليون في دولة أخرى (روسيا). وتوجد دولتان (جنوب إفريقيا والبرازيل) يزيد عدد اليهود في كل منهما عن مئة ألف. وباستثناء المجر (٥٦ألفًا) والمكسيك (٤٠ ألفًا) لاتوجد دولة واحدة أخرى يزيد عدد اليهود عن (٣٥ ألفًا)، ففي بلجيكا يوجد (٨٠٠)، وفي إيطاليا (٣٣١) وفي أوروغواي (٢٣,٨٠٠) وفي رومانيا (١١٦).

ويرأسه اليهودي (موريس هانكي) (MorrisHanky)، وفي مجلس اللوردات كان لليهود أحد عشر لوردًا. وهكذا استمر النفوذ اليهودي على أشده في السياسة البريطانية خلال القرن العشرين، حتى إن المرشحيْن الوحيديْن لرئاسة بلدية لندن عام ١٩٤٢م كانا من اليهود: وهما: (صموئيل جوزف) (Samuel Joseph) و(فرنك بوليتزر) (Frank Politzir)، وكذلك فرض اليهود على رئيس وزراء بريطانيا السير ونستون تشرشل سنة (١٩٥١) تعيين اليهودي (شارفيل) (Charwelles) وزيرًا لشؤون الطاقة الذرية بالرغم من المعارضة التي واجهها بسبب هذا التعيين. والمهم في الأمر أن أصل النفوذ اليهودي في بريطانيا إنما نشأ بفعل الأموال اليهودية وتحت ضغط الديون التي أغرق بها المرابون اليهود النبلاء الإنكليز قبل قرنين.

= ويلاحظ أن جميع الدول السابقة تنتمي أيضًا إلى التشكيل العرقي الأبيض، أو التشكيل الاستيطاني ذي الجذور الغربية البيضاء، والواقع أن كل هذا يدعم رأينا الخاص بأن اليهود لايوجدون في العالم بأسره، وإنما ضمن تشكيل محدد، وإن وجودهم في بعض الدول أقرب إلى الغياب، ولا يمكن أخذه بالحسبان من الناحية الإحصائية، كما هو الشأن في معظم الأقليات الدينية والإثنية في العالم. فلا يمكن أن نتحدث عن الوجود اليهودي في الهند إذ لا يوجد فيه إلا نحو (٤٥٠٠) يهودي، أو الوجود اليهود في اليونان (٤٨٠٠) أو بولندا (٣٦٠٠)، أو النرويج (١٠٠٠)، أو زائير (٤٠٠)، أو الفلبين (١٠٠)، أو بورما (٢٠ يهوديًّا فقط). راجع بذلك: المسيري، عبدالوهاب الإيدلوجية الصهيونية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨ ص ٧٥ – ٨٥، وليون إبراهام، المفهوم المادي للمسألة اليهودية، ترجمة: عماد نويهض، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٨٢-١٨٨.

الأدوار السياسية ليهود الخزر في فرنسا

كان لنشوء وتأسيس المحفل الماسوني في بريطانيا سنة ١٧١٧م الأثر في نشاط الجماعات اليهودية في دول أوروبا وغيرها، إذ انتشرت فروع المحفل الماسوني[1] في كل من المدن

---

(١) الماسونية أو (البناء الحر) من أقدم الجمعيات السرية التي مازالت قائمة، ولكن منشئها ما يزال غامضًا مجهولاً، وغاياتها الحقيقية مازالت سرًا، وقد اختلفت النظريات في أصلها، لكن الذي يرجحه بعض بأن أصول البناء الحر (الماسونية) لا ترجع إلى أصل واحد؛ وإنما قد تكون اشتقت الجانب المادي من الجمعية الرومانية وجمعية البنائين في القرون الوسطى، والمبادئ الفلسفية من تعاليم البطارقة وأسرار الاثنيين، ولا تزال اليهودية العالمية هي القوة المحركة الكامنة وراء الماسونية، والأساتذة الكبار الحقيقيون في المحافل الماسونية هم الممثلون للجمعيات اليهودية السرية، راجع بذلك: أسكخان، محمد رفعت، جترال، أسرار الماسونية، ترجمة نور الدين رضا الواعظ وسليمان محمد أمين القابلي، بلا مكان طبع، ١٣٧٦هـ.

ويوضح لنا الدكتور أحمد نوري النعيمي في كتابه اليهود والدولة العثمانية أن الماسونية جاءت من كلمة (ميس) أو ماسون التي تعني بالإنجليزية والفرنسية البناء أو المعمار، وتضاف إليها عادة لفظة أخرى (فري)، أي حر، فتكون (فري مسون)، وهكذا الاسم يلفظ في العهد العثماني (فرمسون)، ومن هذا اللفظ التركي انتقلت إلى الأقطار العربية فأصبحت تلفظ (فرمصون). والماسونية اسم لهذه الجمعية، وممارساتها وطقوسها، والطريقة التي تدار بها اجتماعات فروعها المحلية التي تسمي (محافل) والتي تربط بمحفل أعظم واحد. أما فيما يتعلق بتاريخ نشوئها فإن هناك تضاربًا في الآراء؛ فمنهم من يقول: إنها نشأت في القرن الثامن عشر، ومنهم يقول: إنها نشأت في هيكل سليمان، وآخرون يرون أنها أقدم من ذلك؛ إذ ترجع إلى الكهانة المصرية وغيرها. إذ معظم تعاليمها تجري بصورة شفهية، أما شعاراتها فهي الحرية والإخاء والمساواة. ويدخل فيها الأعضاء من ديانات مختلفة، ويتلقى المنتمي إليها عون أعضائها الآخرين في إيصاله للمناصب والوظائف المرموقة، داخل الماسونية هناك ثلاث وثلاثون درجة يترقى فيها الشخص من درجة إلى أخرى، ويكون هذا مرتبطًا بنشاطه وإخلاصه وكفاءته، ويمكن أن ينال فيها المراتب العليا كلما ابتعد عن دينه ووطنه، فهذه تسمي الماسونية الرمزية. =

الأوروبيــة المهمة، وفي فرنســا أُنشئ (محفل الأخــوات التسع)، وكان هــذا المحفــل له فــروع في أنحــاء فرنسا يعمــل تحت راية (حريــة – إخــاء – مســاواة)، وعمل اليهود علــى تمويل الثورة الفرنسيــة، وكعادتهم تسللــوا إلى البــلاط الفرنسي عن طريق شخصية مهمة هو المركيز (ميرابو)، الذي كان مثقلًا بالديون، حيث عمل اليهود علــى إقراضه مبالغ طائلة مع إغرائه بالنساء ليقــوم بإيصالهم إلى الدوق (دورولـيــان) ابن عم ملك فرنسا، ووعــده هــؤلاء بمساعدته في اعتــلاء عرش فرنســا، وأدخلوه في المحفــل الماسوني ليسهِّل لهم إقامة لجان سرية تعمل بدقة لدفع الأمور باتجاه مصالح اليهود.

وفعــلًا لم تمضِ مــدة إلا واليهود قــد أصبحــوا متنفذين داخــل الحكومة الوطنية الفرنسية التــي أصدرت قراراتها بمنح اليهود جميع الحقوق التي يتمتع فيها الفرنسيُّون، فاستغلوا وضع البلاد ليشعلوا فيها الفتن والحروب الأهلية التي أدت إلى مجازر جماعيــة في أثناء الثورة الفرنسية ثــم تمكنوا بالطريقة الربوية مــن امتلاك الأراضي الواسعة من أيــدي النبلاء الذين أثقلتهم

= أما الماسونية اللوكية فإن جل أعضائها من اليهود، ويطلق عليهم الرفقاء، ولا يسمح لغيرهــم بالدخول فيها إلا في حالة وصــول العضو إلى مرتبة الماسونية الرمزية، أما الماسونيــة الكونية فإنها تحوي اليهــود الخلص الذين يطلق عليهم الحكماء، ورئيس هذا الفريق يسمى الحكيم. راجع- النعيمي مصدر سبق ذكره، ص ١٧٩-١٨٥.

ديون اليهود، ولم يجدوا سوى التنازل لهم عن مقاطعاتهم الزراعية وأملاكهم[1]. وكالعادة أدرك قادة الشعب الفرنسي ما حصل للبلاد من السقوط في كماشة اليهود، وما وصل إليه رجال المال من السيطرة على مناطق صنع القرار، فألقى (نابليون بونابارت) كلمة في مجلس الوزراء أول يوم لاستلامه السلطة قال فيها: «إن الوضع الحالي لهذا الشعب الحقير (أي اليهود) في بلادنا هو وضع دولة ضمن دولة تعمل ما ترغب وما تشاء؛ ولذلك أرى أن نسارع في تجريد هؤلاء من ملكية المقاطعات الغالية، ومنع المرابين من تعاطي مهنة رهن الأراضي؛ هذه المهنة الرهيبة التي مكنت اليهود من الاستيلاء على غالبية أراضي البلاد الفرنسية...، أيها السادة: إن هناك قرى كاملة أخليت من أهليها وسلمت بواسطة القضاء إلى اليهود مقابل دريهمات كان أصحابها قد استدانوها منهم بفوائد خيالية، ولما عجزوا عن السداد قاضاهم اليهود وسلخوا عنهم أملاكهم، ومن ثم طردوا من أرض آبائهم وأجدادهم»[2].

لكن نابليون نفسه لم ينجُ من شرك المال اليهودي، إذ كان يحتاج إلى تمويلات حملاته العسكرية في أوروبا، مما اضطره

---

(١) فرج، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧ – ١٦٨.

(٢) ناجي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧.

إلى مهادنتهم، لكن اليهود أدركوا عداء نابليون لهم؛ فاستغلوا إمكاناتهم السياسية والمالية ببيع أسراره وقطع المعونات عنه، وأدت المحافل الماسونية في هولندا وألمانيا أدوارًا كبيرة في إفشال حملاته من خلال شراء الذمم وإرشاء قادته.

وبالطريقة نفسها يقول غازي محمد فريج في كتابه النشاط اليهودي في الفكر والممارسة التي استغل فيها اليهود إفلاس الخزينة الفرنسية والضائقة المالية التي وقعت بها الحكومة الفرنسية فأغرقوها بالديون، ودفعوا ببناتهم إلى أعرق العائلات الفرنسية ليتهود بعض المجتمع الفرنسي. وبهذا الشأن يقول الكاتب الفرنسي أوغست شيراك: «كان اليهودي ناثان روتشيليد أقدر رجل مال في أوروبا، يراقب وضع نابليون السياسي ساعة بعد ساعة، ولما علم بقرب سقوطه قام بشراء كل أنواع السندات لترتفع أقيامها عشرات الأضعاف بمجرد سقوط نابليون، وفعلًا في يوم واحد كانت أرباحه تزيد عن ثلاث مئة وخمسون مليون فرنك من الذهب، كما فعل أصحابه الفعلة نفسها؛ ليرجع رأس المال اليهودي هو المهيمن على اقتصاد فرنسا، وظهرت شخصيات مالية يهودية في فرنسا أمثال روتشيلد وبلاشرودر وس.آمار وكوهن وسيترن وباروخ وزاخاروف وفاربورغ، وآخرون سموا ملوك الذهب»[1].

---

(١) ناجي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٩.

يقول العالم البريطاني (السير مرنسيس غالتون): «إن اختصاص اليهود هو تحقيق وجودهم الطفيلي على حساب الشعوب الأخرى، وهناك دلائل على أن الماليين اليهود كانوا وراء استمرار التورط الفرنسي في الهند الصينية بعد الحرب العالمية الثانية؛ إذ تحالفت الرأسمالية اليهودية مع بعض السياسيين الفرنسيين من صناعها أمثال: راماديه واليهودي جول موك وماير وبيدو وموتر؛ فأطالوا أمد الحرب حتى سحب آخر قرش وتهريبه من خزائن فرنسا؛ إذ تعدُ من النقد النادر المكفول من قبل المصارف اليهودية»[1].

ويقول الكاتب الفرنسي: إن في فرنسا مصرفًا أطلق عليه مصرف فرنسا المركزي، مخول بصك النقود والسندات المالية باسم فرنسا، وهو ممنوح حق الاستثمار للأعمال المصرفية كافة من تداول النقد النادر وسواه؛ علمًا بأنه لا أحد من الفرنسيين أو حتى الدولة الفرنسية يملك بنسًا واحدًا في هذا المصرف الذي يعمل باسم الحكومة الفرنسية والشعب الفرنسي، فكل ما فيه وما يربحه للأثرياء اليهود، وكلما تكدست فيها الأموال يسارع أصحابها بتحويلها إلى نيويورك أو أوتاوا؛ فتقع البلاد في مشكلة مالية يسارع اليهود إلى حلها بطرائقهم الربوية المعروفة، وهكذا

---

(١) فورد هنري، اليهودي العالمي، تعريب: خيري حماد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٦٢ ص ٢٢٩.

تبقى مقدرات الحكومة والشعب وأماكن صنع القرار ووسائل الضغط السياسي بأيدي أثرياء اليهود[1].

وتشير الإحصائيات إلى أن اليهود يملكون في فرنسا (٩٠٪) من الصناعات الثقيلة، و(٩٠٪) من التحف الأثرية، و(٩٨٪) من أموال سوق المضاربة والبورصة، و(٧٩٪) من أموال المصارف و(٧٥٪) من مؤسسات الترانزيت والوساطة، و(٥٥٪) من المرافق التجارية المختلفة. و(٥٠٪) من صناعة المعادن والمكائن الثقيلة.

وهذا النفوذ المالي بلا شك قد ساعد اليهود على ارتقاء المناصب المهمة والحساسة في الدولة، ودفع القرارات والقوانين إلى حمايتهم وحماية ممتلكاتهم، وفي الوقت نفسه إفراغ الخزائن الفرنسية من الأموال الخاصة والعامة لتبقى تحت رحمة أصحاب المال اليهود[2].

وإذا نظرنا إلى الحكومات الفرنسية المتعاقبة وحتى الحالية فإننا سنجد أغلب المناصب الحساسة والمرموقة والوزارات السيادية تتداول بين أيدي اليهود حتى لا تخرج السياسة العامة

---

(١) ناجي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٥.

(٢) يصل عدد اليهود في فرنسا ما يقارب (٧٠٠٠٠٠) يهودي، وذلك حسب ما ورد على لسان أرئيل شارون. راجع: عامر محمد معاذ فارس، العلاقات السورية الفرنسية ما بعد الحرب الباردة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص ١٩٦.

عـن أهدافهم وطموحاتهم في السيطـرة على البلاد ودفعها إلى مواقـف سياسية دوليـة أو إقليمية لصالح اليهـود، ولا سيما في المحافل والمنظمات العالمية[1]».

الأدوار السياسية لليهود في الولايات المتحدة الأمريكية

يقـول هنري فـورد في كتابـة اليهـودي العالمـي: «لا يعرف عـدد اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية غير اليهود أنفسهم، والأرقام الخاصة بذلك ملك خاص بالسلطات اليهودية وحدها، وعندما تحـاول السلطات الأمريكية بطريقـة منظمة الحصول علـى معلومات موثوقة تخص اليهود الذيـن يدخلون بنظام إلى هذه البلاد، فإن النفوذ اليهودي يتدخل ليحول دون ذلك»[2].

وقد أصبحت الهجرات اليهودية إلى الولايات المتحدة تسير بشـكل منظم، وهنـاك منظمات تقـوم بإعداد وسائـل الهجرة وجـوازات السفـر والسيطـرة على المشـكلات التـي تعيق تدفق اليهـود إلـى الولايات المتحـدة؛ ليجد هؤلاء المهاجـرون الفرص المهيأة لهم من العمل والسكن التي تهيئها لهم الجمعيات السرية من أبنـاء جلدتهم، وأنهم سيجدون السيطـرة اليهودية المطلقة والقويـة تمامًا هنا، كما كانوا يجدونهـا في روسيا، وعندما غدا

---

(١) فورد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣١، وناجي، مصدر سبق ذكره، ص ١٩١.

(٢) فورد، مصدر سبق ذكره، ص ٥٦.

التيار اليهودي يسيطر على مناحي السلطات المهمة والحيوية في البلاد طلبت سلطات الإحصاء من الكونغرس السماح لهم بتصنيف الناس بحسب أجناسهم وحسب أماكن ولادتهم، نرى أن اليهود قادوا أعنف معارضة داخل الكونغرس للحيلولة دون حدوث ذلك، ووقف سيمون كوغنهايم وجوليان ماك متزعمان تلك المعارضة التي اتضح من خلالها النقاط الآتية:

١- أن اليهودي يعارض في أي تصنيف عنصري لجماعته بعد دخولهم البلاد.

٢- أن اليهودي يعارض أي تشريع يقيد دخوله للبلاد.

٣- أن اليهودي يدعي أمام الآخرين بأنه يمثل دينًا لا عنصرًا.

٤- أن لليهودي رأيان، أحدهما يواجه به غير اليهودي، والثاني يحتفظ به لنفسه ويجهر به أمام إخوانه اليهود.

وعلى هذا الأساس فإن الولايات المتحدة سوف لن تستطيع أن تعمل إحصاء، أو بالأحرى سوف لن تنجح في تحديد أعداد اليهود أو أماكن قدومهم أو وجودهم، فلو سألت الولايات المتحدة عن عدد الفرنسيين أو البولنديين أو الإفريقيين لقدمت إليك الرقم فورًا، لكن إذا سألت عن عدد اليهود في البلاد فإنها

ستكون عاجزة في الرد عليك؛ لأن السجلات والوثائق تكون هي الأخرى عاجزة عن ذلك(١).

لقد وصلت أول مجموعة مهاجرة من اليهود في أيلول ١٦٥٤م إلى ميناء أمستردام التي تحول اسمها فيما بعد إلى نيويورك، وكانت تتكون من ٣٣ شخصًا، ثم تتابعت الجماعات اليهودية ترد من أوروبا الشرقية منذ عام ١٨٨١م، وعلى الرغم من أن الحياة في أوروبا بالنسبة لليهود كانت مفعمة بالرخاء إلا أنهم كانوا دائمًا يتوقون إلى استغلال الفرص لمضاعفة ممتلكاتهم المالية التي يجدون بها الوسيلة الوحيدة للسيطرة على العالم؛ وفعلًا استغل اليهود حرب الاستقلال الأمريكية عام ١٧٧٥-١٧٨١م؛ لتكون فرصة لتمويل هذه الحرب؛ بل كانوا يمولون الطرفين بالأموال والأسلحة؛ بغية إطالة أمد الحرب؛ لأن المستفيد الأول والأخير هم أنفسهم.

وبعد استقلال الولايات المتحدة الأمريكية عن بريطانيا هرع المرابون اليهود بالتدخل المباشر في الاقتصاد الأمريكي، وكان ذلك بوساطة مصرف إنكلترا الذي كان تحت سيطرة المرابين اليهود، إذ تم إنشاء بنك أوف أمريكا سنة ١٧٨٣م، وهذا لم يكن إلا فرعًا لمصرف إنكلترا الذي يملكه اليهود، وقد تنبه بنجامين فرنكلين -أحد زعماء الاستقلال في أمريكا-

---

(١) فورد، مصدر سبق ذكره، ص ٥٨. وناجي، مصدر سبق ذكره ١٨٦.

إلى الخطـر اليهودي على البلاد ومستقبلهـا، فأطلق تحذيرات في خطابـه الشهـير الذي ألقاه أمـام المجلس التأسيسي لوضع الدستور الأمريكي سنة ١٧٨٩م، وطلب موافقة المجلس على طرد اليهود من الولايات المتحـدة، وقال في خطابه: «أيها السادة، في كل أرض حلَّ بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي وأفسدوا الذمة والتجارة فيها، ولم يزالوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم.

وقـد أدى بهـم الاضطهاد إلـى العمل على خنـق الشعوب ماليًّـا، كما هي الحال في البرتغال وإسبانيـا، إذا لم يبعد هؤلاء مـن الولايات المتحـدة بنص دستورها فإن سيلهـم سيتدفق إلى الولايـات المتحدة في غضون مئـة سنة إلى حد يقـدرون معه أن يحكموا شعبنا ويدمروه ويغيروا شكل الحكم الذي بذلنا في سبيله دماءنـا، وضحينـا له بأرواحنـا وممتلكاتنا وحرياتنـا الفردية، ولـن تمضِ مائتا سنة حتـى يكون مصير أحفادنـا أن يعملوا في الحقول لإطعام اليهود، على حين يظل اليهود في البيوتات المالية يفركون أيديهم مغتبطين...، إنني أحذركم -أيها السادة- إنكم إن لم تبعـدوا اليهـود نهائيًّا فلسوف يلعنكـم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركـم. إن اليهـود لن يتخـذوا مثلنا العليا ولـو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال»[١].

(١) مأمـون سعيد، حكومـة العالم الخفية، ط٩، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ص ٢٩٠، وناجي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٤.

إلا أن المجلس التأسيسي لم يعر أهمية لاقتراح فرنكلين بسبب نفوذ الماسونية داخل المجلس، فضلاً عن الرشاوى التي تلقاها القسم الآخر من الأعضاء، و ما هي إلا مئة سنة فقط -أي نصف المدة التي حددها فرنكلين- حتى أصبحت قوة المال اليهودي (حكومة خفية) تصنع الرجال والأحداث في العالم الجديد؛ بل تقوم بإزاحة من يشاؤون من وظائف الدولة والمناصب الحساسة؛ حتى وصل بها النفوذ إلى اغتيال الرئيس الأمريكي إبراهام لنكولن سنة ١٨٦٥م[1] بعدما أفشل مخطط البروتشيلديين في تقسيم الولايات المتحدة الأمريكية، وفي سنة ١٧٩٠م وصل هاملتون إلى منصب وزير المالية، وبذلك استطاع أن يمنح مصرف أوف أمريكا حق إصدار النقد، وهكذا لزم اليهود مقدرات الشعب الأمريكي المالية، وقد صدرت ردود فعل غاضبة من قبل كبار القادة الأمريكيين لترفض هذا الشيء لكن من دون جدوى.

وقد حدث تقارب روسي أمريكي عندما قام قيصر روسيا إسكندر الثاني بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية في إبطال

---

(١) اغتيل لنكلولن على يد اليهودي الأمريكي جون وليكس في مسرح فورد في ١٤ نيسان (١٨٦٥م)، وتمكن الجاني من الفرار، ولكن بعد مطاردته في فيرجينا ألقي القبض عليه، وهو مصاب بجروح قاتلة، ويقال إن أحد المطاردين أطلق عليه النار، إلا أن آخرين يقولون إنه انتحر بإطلاق النار على نفسه، وقد تبين فيا بعد أن عملية الاغتيال كانت نتيجة مؤامرة من قبل اليهود، راجع: فريح، مصدر ذكره، ص ١٩١-١٩٣.

مؤامـرة اليهود في تقسيم الولايات المتحـدة، وكان هذا التقارب قد شكل خطرًا كبيرًا على المخططات اليهودية السرية في العالم؛ مما دفع اليهود إلى دعم ثورة البلاشفة في روسيا والقضاء على حكـم القيصـر بغرس بذور الصـراع السوفييتي الأمريكي؛ لمنع أي تقـارب بيـن الدولتين في المستقبل[1].

ويذكر فورد في كتابه (اليهودي العالمي) قائلًا: «إن اليهود في الولايـات المتحدة الأمريكية لم يكتفوا بالسيطرة على منابع المال وأماكن الضغط السياسي؛ بل راحوا يتدخلون في ديانة الآخرين، محاولـين محو كل إشارة تعطي طابعًا مسيحيًّا في الحياة العامة، ويعـد هذا الطابـع مهـددًا لسلامتهم وهدوئهـم، وهكذا يتحقق البرنامج اليهودي العام الذي يتلخص في ثلاث نقاط:

أولها: تثبيت أقدامهم.

وثانيها: تحطيم كل ما هو غير يهودي أو مناوئ لليهودية.

وثالثها: تمجيد اليهودية في جميع مظاهرها.

وهـذا البرنامج يُعد خطوة نحو تهويـد المجتمع الأمريكي؛ إذ يقـوم على إلغاء الصلوات المسيحيـة وبعض روايات شكسبير مـن المدارس العامـة، وإقامة محاكم يهوديـة في الأبنية العامة، والاهتمام بحقول التعليم وفق ما يتماشى مع أهداف المخططات

---

(١) فريح، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٢ – ١٩٣.

اليهودية السرية والعلنية التي ترمي بالتالي إلى الوصول إلى عنعنات الحكم ومراكز السلطة، وفعلًا نرى أن ممتلكات طرق المواصلات في المدن الأمريكية صارت في أيدي اليهود، وانتقلت المناصب القضائية في نيويورك والنقابات المهنية والمنظمات السياسية إلى أيدي اليهود، كما سيطرت الجماعات اليهودية المتنفذة على المحكمة العليا؛ حتى إن المدينة صارت وقفًا سياسيًّا و قضائيًّا على اليهود، ولم يكتفِ اليهود بهذا القدر من هذا النفوذ؛ بل إن عليهم أن يستحوذوا على مراكز السياسة الخارجية التي تدفع الولايات المتحدة باتجاه مصالحهم، وتحديد علاقتها الدولية وفقًا للخطط اليهودية المرسومة.

يقول جون بيتي في كتابه الستار الحديدي حول أمريكا:

«ومن المؤكد أن اليهود الخزر الذين هاجروا من روسيا إلى الولايات المتحدة كعملاء حقيقيين للسوفييت هم اليهود الذين عاشوا في الولايات المتحدة وتكيفوا بأسلوب الحياة فيها، إلا أن هناك حقيقة بارزة نحب أن نسجلها عن هؤلاء جميعًا؛ فالقادمون الجدد على اختلافِ نزعاتهم كانوا أشد تصميمًا من سابقيهم في مقاومتهم فكرة الاندماج في الحضارة المسيحية الغربية، كما كانوا أكثر ميلًا وعزمًا على تحقيق أهدافهم بطريق الضغط المتكرر والتحيز السياسي، وفي النصف الأول

من القرن العشرين لم يستهو الحزب الجمهوري إلا عدد قليل من هذه الملايين التي قدمت من دول شرق أوروبا؛ ذلك لأنه كان حزب الأغلبية، ولم تكن به حاجة إلى مساومة أحد للانضمام إليه، أما الحزب الديموقراطي فكان على العكس من ذلك حزب الأقلية، وكان في حاجة شديدة إلى أصوات أكثر.

وحدث في عام ١٩١٢ أن انتخب وودرو ويلسون رئيسًا للجمهورية بأغلبية ساحقة، وكان ذلك بسبب الانشقاق في الحزب الجمهوري بين أتباع وليم هوارد تافت وبين أنصار تيودور روزفلت؛ فضلًا عن شدة حاجة الحزب الديمقراطي إلى مزيد من الأصوات؛ فقد كان حزبًا ينقصه التجانس بين الجماعات التي يتألف منها، و لعل هذا هو السبب الجوهري الذي دفع بالكثيرين من مهاجري دول شرق أوروبا لاسيما المشتغلين بالسياسة منهم إلى الانضمام إليه[١]، وعندما وصف وليم براد فورد الحزب الديموقراطي في مقاله الشهير (مشروع ترومان لتنصيب إيزنهاور رئيسًا) قال عنه: «إنه ليس حزبًا سياسيًّا على الإطلاق؛ بل هو مجرد عقد يقوم على أساس مصلحي بالنسبة لجماعة متناقضة يعد كل منهم الآخر»[٢].

---

(١) بيتي، مصدر سبق ذكره، ص ٣١ - ٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣.

لقد كان الحزب الديمقراطي يتكون في أوائل القرن العشرين من مجموعتين كبيرتين هما البروتستانت والريفيون من أهل الجنوب، والكاثوليك الشماليون من أهل المدن، وكانوا حماة للحضارة المسيحية الغربية، ثم كانت الجماعة الثالثة التي أخذ عدد أعضائها يتزايد بسرعة مدهشة منذ عام ١٨٨٠م، وكانت مؤلفة من مهاجري دول شرق أوروبا، وظهر منهم لويس برانديز اليهودي الذي جاء من براغ، وقد عينه الرئيس ويلسون رئيسًا للمحكمة الأمريكية العليا لأسباب لا تزال مجهولة عند الشعب الأمريكي.

ولا بد أن نركز اهتمامنا بعض الشيء على هذا الرجل؛ نظرًا لما بلغه من قوة ونفوذ بفضل ما شغله من مراكز قضائية وغير قضائية؛ ولأنه أيضًا رمز لمستقبل الحزب الديمقراطي، لقد ثارت بسبب هذا الرجل معركة تاريخية في مجلس الشيوخ كان سببها ما عرف عنه من تطرف في تصرفاته ومواقفه، ومن نقص في كفايته القضائية، وكانت هذه الصفات قد اعترضت من قبل سبيل تعيين سبعة من رؤساء نقابة المحامين الأمريكيين؛ ومن بينهم اليهيوروت وزير الخارجية السابق، ووليام هوارد تافت رئيس الجمهورية السابق(١).

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣ — ٣٤.

وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التي واجهت تعيين برانديز أصدر مجلس الشيوخ قرارًا بتاريخ ٥ يونيو ١٩١٦ يقضي بالموافقة على تعيينه، وكان هذا اليوم الذي صدر فيه القرار من أهم الأيام في التاريخ الأمريكي؛ لأنه أصبح لدينا للمرة الأولى في حياتنا منذ أوائل القرن التاسع عشر موظف كبير في مركز من أرفع المراكز في بلادنا تخالف ميوله الحقيقية مصالح الولايات المتحدة؛ موظف يفسر القانون لا على أنه نتيجة السوابق؛ بل طبقًا للنتائج التي يريدها المفسر، ولقد سجلت دائرة المعارف اليهودية العالمية مقالًا طويلًا عن القاضي برانديز هذا، جاء فيه: «شغل برانديز نفسه خلال الحرب العالمية بدراسة المراحل السياسية للقضايا اليهودية في كل بلد دراسة عميقة، ومنذ ذلك الوقت ركز كل اهتمامه الفعال على الصهيونية، فزار فلسطين عام ١٩١٩م لأسباب سياسية وتنظيمية، وموّل عدة مشاريع اجتماعية واقتصادية هناك»، وبراندبز كقاضٍ لم يحاول أن يشغل نفسه بالمشكلات الأكاديمية كمسألة الملاءمة بين الأمريكيين وثقافة الأقلية مثلًا.

لقد ابتعد برانديز عن أصول القضاء المتفق عليها وأخذ يبذل كل جهوده في معالجة اقتصاديات الأقلية اليهودية في أمريكا، والاهتمام بالقومية اليهودية، لقد عبر عن حقيقة ما

يعتقد بقوله: إن فلسفتنا الفردية لم تعد تصلح أساسًا ملائمًا لمعالجة الحياة الاقتصادية الحديثة.

إن برانديز يحسب أن الدستور يجب أن يكون متحررًا، ويمكن أن يؤخذ هذا على أنه اتجاه جديد[1] من جانب المحاكم الأمريكية لاتخاذ وظيفة الهيئات التشريعية، ولم يكن هذا هو كل ما وصل إليه برانديز من سيطرة؛ بل أن نفوذه على الرئيس ويلسون قد فاق الحد؛ فالمعروف أنه هو الذي دفع ويلسون إلى الدخول في الحرب العالمية الأولى، وهو الذي ساعد على إطالة مدى هذه الحرب، الأمر الذي أدى في النهاية إلى زيادة الخسائر الدموية عند المشتركين فيها.

☙❧

(١) فورد، مصدر سبق ذكره، ص ٥٨. وبيتي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢.



تصوير
احمد ياسين
@Ahmedyassn90

المبحث الثالث

اليهود الخزر واغتصاب فلسطين

مر بنا في الفصلين الثاني والثالث ما جرى ليهود الخزر منذ سقوط دولتهم وتشردهم في الدول والأقاليم المجاورة، وما تعرض له اليهود الخزر من الشعوب المضيفة لهم نتيجة ردود الفعل الطبيعية للممارسات التي تقوم بها الجاليات اليهودية من استغلال رؤوس الأموال للسيادة على خيرات البلاد التي تحل فيها، والسعي للوصول إلى المفاصل السياسية وأماكن صنع القرار وتوجيه البلاد بالصورة التي تتلاءم ومصالحهم؛ حتى لو كانت على حساب تلك الشعوب ومستقبلها؛ ففي المجر وبعد أن تمتع اليهود الخزر بمستوى من الحرية وامتلاك المناصب في الجيش أو الحكومة، وبعد ما تملك أثرياء اليهود من الأراضي والمقاطعات نرى أن الملك أندريه الثاني يستجيب لضغط البابا في تحديد نفوذ اليهود الذين لم يلبثوا أن هاجروا إلى البلاد الأوربية.

وفي بولندا منح أمراء بولندا رعاياهم اليهود الحماية والرعاية وحرية العمل والتملك حتى مكن اليهود من السيطرة على منابع رأس المال وأروقة التجارة المهمة، إلى أن غدت البلاد

برمتها تحت سيطرة ورحمة هؤلاء الأثرياء المرابين الذين لم يستطع الشعب كبت الحقد والعداوة ضدهم، وعلى الرغم من استمرار دعم السلطات البولندية لليهود إلا أن روما المسيحية فعلت مع بولندا كما فعلت مع المجر؛ إذ كانت خشيتها واضحة من خلال الانتقاد الموجه للسلطات البولندية التي سمحت لليهود ببناء المعابد العديدة والضخمة، بالوقت التي تبدو الكنائس المسيحية متواضعة بجانبها.

هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فإن نشاط اليهود السياسي أدَّى بالبلاد إلى التقسيم بين جيرانها وتشريد اليهود كما هو الحال في العقود السابقة كذلك، وفي روسيا وأوروبا وكل مكان يهاجر إليه اليهود لن يستقيم لهم كيان أو يستقر لهم حال، فهم لا يستطيعون أن يتعايشوا فيه مع البلاد المضيفة لهم، إذ إنهم شعب له مواصفاتهم العدائية ونظرياته الاعتلائية، وطموحاته في السيطرة والهيمنة على اقتصاد أي دولة يحل بها أتباعه.

وعلى هذا فقد تعرضت الجماعات اليهودية في مناطق شتاتها لأنواع كثيرة من المحن، امتازَ قسم منها بالاضطهاد الديني والعرقي كما حصل في روسيا لليهود الخزر من محاولة الترويس وإجبارهم على اعتناق المسيحية، أو بمصادرة أملاكهم وأموالهم جراء إيقاع الدول المضيفة لهم بأزمات مالية كان سببها اليهود، أو بالمذابح الجماعية كما حصل لهم في ألمانيا وغيرها.

وكل هـذه دفعت باليهود إلى تأسيس الجمعيات والمحافل السرية منها والعلنية التي تدعو إلى وضع حلول لمشاكل اليهود مع المجتمع العالمي الشرقي والغربي، ووقف على رأس هذه الجمعيات مقررون منهم: تيودورهرتزل، واليهودي الفرنسي دريفوس، وبلفور وغيرهم كثيرون جاؤوا بمقترحات ومشروعات لإنقاذ وضع اليهود في العالم، وقد ساعدتهم بذلك جميع الدول التي كانت تعاني من ويلاتهم ومشاكلهم التي تلاقيهم كل يوم، وذلك ليس محبة بهم؛ بل بغية جمعهم في مكان واحد والتخلص مما تخلفه الجماعات والجاليات التي لم يتورع كثيرون من تسميتها (بالطفيلية)، يقول عبدالرحمن شاكر:

«أمّا القضية التي ظلت شغل هرتزل فعلاً فهي مصير اليهود الخزر الذي كان الترويس يمثل مأساة حقيقية لهم، فلم يجد الحل إلا في انتحال شخصية الشعب التاريخي الذي يقرؤون سيرته في التوراة، وهو شعب بني إسرائيل الذي لا ينتمي إليه هرتزل ولا غيره من الخزر، إلا أنهم يعتنقون عقيدته»[١].

وعلى الرغم من موافقة أغلبية (٥٠٠ صوت) في مؤتمر صهيوني حضره هرتزل على جعل أوغندا الوطن القومي لليهود إلا أن جمعية أحبة صهيون انسحبوا من المؤتمر، وأرسلوا إنذارًا إلى هرتزل مؤداه (فلسطين و إلا فلا)، والغريب هنا أن الذي

(١) شاكر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧.

أصروا على فلسطين هم الخزر الذين تبعدهم عنها كل الروابط والصلات الجغرافية أو التاريخية[1].

أما الأدوار التي أداها البريطانيون في خدمة اليهود وتمكينهم من اغتصاب فلسطين فهي تتمثل في المواقف السياسية التي وقَّعها رجال الحكم في بريطانيا قبل أن يفكر اليهود أنفسهم في فلسطين. يقول الوزير البريطاني إيمري: «نحن نرى من وجهة النظر البريطانية الخاصة أن إقامة شعب يهودي ناجح في فلسطين، يدين بوجوده وفرصته إلى السياسة البريطانية، كسب ثمين لضمان الدفاع عن قناة السويس من الشمال، ولضمان أداء دور المحطة للطرق الجوية من الشرق»[2].

لقد وجد مفكرو اليهود مدخلًا باطلًا يدخلون منه إلى بوابة الاغتصاب والتعدي واحتلال أراض ليست لهم ولا لأسلافهم؛ يقول عبد الخوري حنا في كتابه (الحكم اليهودي على الدين والدنيا):

لقد انطلقت الحركة الصهيونية من التوراة ومن فكرة (أرض الميعاد) الواردة في التوراة لتضع هذه الفكرة موضع التنفيذ، فأي فرصة بين إبراهيم وموسى وأشعيا وبين حاييم وايزمان الذي قال أمام اللجنة الملكية البريطانية في أثناء

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٢) الشمالي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦.

مناقشة المسألة الفلسطينية عام ١٩٣٧م: «إن ميثاق الشعب اليهودي الحق هو وعد الله بأرض إسرائيل»، أو من هؤلاء وبين المتظاهرين اليهود عام ١٩٣٩م ضد (الكتاب الأبيض) البريطاني الذين حملوا لافتات كتب عليها: «التوراة، لا الانتداب البريطاني حقنا في هذه الأرض».

ويوضح شموئيل أتنفر في كتابه (الشعب اليهودي وأرض إسرائيل) نوعية العلاقة بين اليهود و(أرض الميعاد)، فيقول: «وليست علاقة اليهود بإسرائيل علاقة شعب بأرض بلا حياة، بقطعة أرض قابلة للسكن، وليست علاقة حب عادي للوطن، بل هي رباط روحي مقدس وحنين مغرق في القدم؛ ولئن عاش اليهود القرون خارج بلادهم فقد كانوا يتصرفون وكأنهم في إسرائيل».

لم يكن اليهود يريدون أرضًا ما، أي أرض ليقيموا دولتهم عليها، فقد رفضوا أن تكون الأرجنتين أو أي مكان آخر موطنًا لتلك الدولة.

و تمسكوا بـ (أرض الميعاد) الممتدة بين الفرات والنيل، فلا شك أن الدافع لهذا الاختيار والإصرار عليه كان دينيًّا، نذكر هنا أن رجال الدين اليهود خارج أرض فلسطين، يضعون في تابوت الميت من أتباعهم حفنة من تراب فلسطين المقدسة، دلالة على تمسكهم بهذه الأرض ورغبتهم بأن يكون قبرهم منها[١].

---

(١) حنا، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤ – ٨٦.

إن تصريحات زعماء اليهود تؤكد بما لا يقبل الشك النوايا العدوانية اليهودية، يقول الإرهابي فلاديمير جابوتنسكي ١٨٨٠-١٩٤٠م: «يجب أن تكون فلسطين ملكًا لليهود... ومن الضروري خلق وضع (الأمر الواقع)، والتوضيح للعرب أن عليهم مغادرة أراضينا والرحيل إلى الصحراء». ويقول الدكتور شمشون يونيتشمان - عضو المجلس الصهيوني العام-: «لا يمكن للأجانب والعرب أن يجروا حساباتهم دون التفات إلى المالكين الحقيقيين، يجب أن يفهموا أن لا شرق الأردن ولا القدس هي بالنسبة لنا موضع أخذ ورد ومساومة، إنها ملكٌ وسوف تكون لنا».

إن الصهيونية العالمية هي التعبير الفعلي عن معتقدات اليهود المبنية في توراتهم وتلمودهم، فقد جاء في وثيقة سرية كشف أمرها (خريطة مملكة إسرائيل كما وضعها زعماء إسرائيل، ونشرت في جريدة الجيل الجديد في ٢٨ كانون الثاني ١٩٦١م ما يثبت أن دولة إسرائيل يجب أن تشمل العراق والشام و لبنان والأردن؛ فضلًا عن فلسطين أي سوريا الطبيعية وقسمًا من السعودية ومصر[١].

ويوضح هشام الدجاني في كتابه (اليهودية والصهيونية) دور بريطانيا في التخطيط لتوطين اليهود في فلسطين منذ العام

---

(١) حنا، المصدر نفسه، ص٨٦.

١٦٢١م، ودعا محام بريطاني يدعى هنري فينش في كتابه (العودة العالمية الكبرى) إلى تأسيس إمبراطورية يهودية عالمية في الأراضي المقدسة، وفي العام ١٧٩٤م أصدر ضابط بحري بريطاني يدعى ريتشارد برودرس كتابًا دعا فيه إلى تجديد (مملكة إسرائيل)، وفي العام التالي اقترح نائب بريطاني تبنَّى مشروع برودرس على أن حماية بريطانيا لمشروعات كهذه تجلت بصورة بعد استيلاء محمد علي على سوريا، حيث أدركت الحكومة البريطانية مدى أهمية (دولة فاصلة) بين مصر وبلاد الشام بالنسبة لمصالحها الإمبراطورية.

وفي١١/٧/١٨٤٠. كتب وزير خارجية بريطانيا بالمرستون إلى السفير البريطاني في إستانبول يحثه على إقناع السلطان بفكرة عودة اليهود إلى فلسطين. وقامت الصحافة البريطانية بالدور الترويجي المطلوب، فكتبت التايمز ١٧/٧/١٨٤٠: «لم يعد الاقتراح الداعي إلى إسكان الشعب العبري فوق أرض أجداده تحت وصاية الدول الخمس الكيرى بمثابة انتظار المسيح؛ بل أصبح مسألة تستوجب النظر السياسي الجدي»، وكتبت صحيفة أخرى (غلوب) في العام نفسه: تقول: إن موضوع عودة اليهود إلى فلسطين «سيكون من الآن فصاعدًا من الأحجار الكريمة الثمينة في التاج البريطاني».

وفي عام ١٨٤٥م وضع الكولونيل البريطاني متفورد مشروعه الذي يدعو إلى استعمار فلسطين يهوديًّا تحت الحماية البريطانية، وجدد مساعيه ١٨٥٥م عن طريق شراء الأراضي في فلسطين، وتكررت في تلك الآونة حمى المشروعات البريطانية الداعية إلى استعمار فلسطين بوساطة اليهود، مثل مشروع اللورد أشلي عام ١٨٥٤م، ومشروع القنصل البريطاني في القدس عام ١٨٥٧م، ومشروع جين هنري دونانت عام ١٨٧٥م، وأيده في ذلك السير لورانس أوليفانت[(١)].

وتذكر المصادر أن أغنياء اليهود قد قدموا طلبًا إلى السلطان العثماني عبدالحميد الثاني يطلبون فيه بيعهم مناطق واسعة في بحيرة طبرية لإسكان اليهود؛ إلا أن السلطان عبدالحميد الثاني رفض ذلك قائلاً: «لأن ينقطع جزء من جسدي خير لي من أعطي شبرًا من أرض فلسطين»[(٢)].

وفي القرن السادس عشر دعا ديفيد روبين اليهود بالهجوم على فلسطين واحتلالها بالقوة، إلا أن ضعف اليهود آنذاك

---

(١) الدجاني، هشام، اليهودية، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٥. وإلفرد ليلنيتال، الأخطبوط الصهيوني، ترجمة: د. محمد الحسنيدار، العلم للملايين بيروت، ١٩٧٩، ص١٢-١٨.

(٢) محمد علي أورخان، السلطان عبدالحميد الثاني حياته وأحداث عهده، العراق، الرمادي، ١٩٨٧، ص ٢٨١ — ٢٨٥.

وتفكك أواصرهم الاجتماعية وعدم امتلاكهم للقوة آنذاك لم تسمح لأحد بالاستجابة لهذه الدعوة، وفي نهاية القرن الثامن عشر كانت هناك محاولة لاستغلال حملات نابليون على المنطقة واحتلال فلسطين لكنها باءت بالفشل.

أمَّا القرن التاسع عشر فكان حافلًا بالممارسات والخطط الصهيونية والماسونية من خلال أروقة الدول الكبرى المحتضنة للجماعات اليهودية التي تتبنى جمع اليهود في وطن يتخلصون فيه من ممارسات اليهود التي طالما عانت منها تلك البلدان.

ويذهب أسعد رزوق في كتابه إسرائيل الكبرى قائلًا: إن أعضاء الجمعية اليهودية في لندن سارعوا بالطلب من جورج أتشلي -الذي عرف فيما بعد باسم إيرل شافنسبري- أن يستعمل نفوذه عند بالمرستون وجعل القنصلية البريطانية مسؤولة عن الأمور المتعلقة باليهود، فأصبح من أهم الأمور التي يجب أن تحققها القنصلية هو توفير الحماية لليهود في فلسطين، وتقديم تقرير عن اليهود في تلك المنطقة.

وكانت المنظمات اليهودية السابقة على الصهيونية والمنظمة الصهيونية نفسها مدينة لصندوق اكتشاف فلسطين الذي تأسس في إنكلترا عام ١٨٦٥م، وكان مسيحيو أوروبا ولا سيما إنكلترا مهتمين بالأرض المقدسة، فقد قدم هذا الصندوق

وهـؤلاء المسيحيون خدمة ممتازة للحركـة الصهيونية؛ فلم يتم اكتشـاف علـى أيدي بعض الأفـراد لأسباب دينيـة بحتة، وإنما كانـت هنـاك دوافع أخـرى؛ وفي وقت لاحق دعم هـؤلاء الأفراد الحركة الصهيونية وأوجـدوا تبرعات لها وغالوا في مناصرتهم للصهاينة حتى دعوا (الصهاينة المسيحيُّون)[1].

وفي عـام ١٨٨٢م ظهـرت في روسية حركـة يهودية عرفت باسـم محبو صهيون، وكان أعضاؤها من اليهود الروس الشباب الذيـن أرادو الهجرة إلى فلسطين بدافع الميول الدينية، والرغبة الوطنيـة في أن يكونو في فلسطين ويدافعوا عنها، فقد تأثر هؤلاء بأفـكار ليون بنسكر ١٨٢١-١٩٠٢م المنشـورة في كتابه (التحرر الذاتـي) ١٨٨٢م، وقامـوا ببعضـ الأعمـال نتيجـة للقمع الذي عانـوا منه في ظل السلطات القيصريـة ١٨٨٠-١٩٠٢م، و كانوا مخططـين أن يجمعـوا الأمـوال من أغنيـاء اليهود كـي يشتروا أراضـ في فلسطـين؛ لكـن السلطـات العثمانية وعـت نواياهم، وأصـدرت الحكومـة العثمانيـة قـرارًا عام ١٨٨٢م بمنـع إقامة السواح في فلسطين إلا بهدف الزيارة فقط.

وفي مـدة لاحقـة انقسمـت حركـة أحبـاء صهيـون إلـى قسمـين قبل أن تكتمل، بعد مؤتمرهم الـذي عقده أعضاؤها في

(١) رزوق، أسعد، إسرائيل الكبرى، ص ٤٤ - ٤٤٥.

دروسكينكي عام ١٨٨٧م فاتخذ القسم الأول اتجاهًا دينيًّا بينما اتخـذ القسم الآخر اتجاهًا سياسيًّـا، أما أعضاء الاتجاه الثاني المسمـى إخوة (بناي موشي) بقيـادة أحدهم عام ١٨٨٩م حيث انتشـرت أخويتهـم هـذه في بريطانيا وفي بعض الـدول الأوربية الأخـرى؛ فكان من بين أعضائها في المجتمع البريطاني صموئيل مونتـاج صاحب أحد البنـوك الكبيرة الخاصـة في بريطانيا في ذلك الوقت، وأيليم هنري دافيجدور أحد المهندسين الكبار، وقد تقـدم مونتاج بطلـب إلى السلطان عبدالحميـد بوساطة الأيرل روزبـيري رئيس وزراء بريطانيا عـام ١٨٩٤م لإعطاء فلسطين لليهـود؛ لكن السلطان رفض الطلب، وقد أصبحت هذه الجمعية أكثر تنظيمًا عندما انضـم إليها الكولونيل جولد سميث وأدخل إلـى التنظيم طابعه العسكـري، فأطلقت عليـه بعض الصحف البريطانية اسم يشوع السبي الثاني، وقد قاده حماسه إلى رسم برنامج خاص للحركة، وكان هذا البرنامج يتضمن:

١- تعزيز فكرة الوطن القومي لإسرائيل.
٢- تشجيع اليهود على استعمار فلسطين والمناطق المجاورة لهـا عن طريـق إنشـاء مستعمرات جديـدة ومساعدة المستعمرات الموجودة.
٣- إحيـاء اللغة العبريـة وجعلها أكثر شيوعًـا واستخدامًا وأهمية من أي لغة أخرى.

٤- تحسين وتطوير الأوضاع الحضارية والفكرية والمادية لإسرائيل[١].

ويرى محمد عزة دروزه في كتابه (العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين) أن مراحلَ عدة دخلت فيها قضية اغتصاب فلسطين، بدأت في قرار الصهاينة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بإنشاء دولة يهودية في فلسطين وقد سبق هذا القرار محاولات تهجير عناصر يهودية من أوروبا وتوطينهم في فلسطين وتشجيع البريطانيين لهذه الهجرة ومساعدة اليهود وإغرائهم بذلك.

وقد تزامن هذا الأمر مع نشوء إمبراطورية عربية إسلامية تحت ولاية محمد علي في مصر الذي استولى على بلاد الشام وزحف على بلاد الأناضول، وهدد عاصمة الدولة العثمانية التي سارعت هي الأخرى بطلب المساعدة من روسيا، مما أزعج البريطانيين والفرنسيين الذين كانوا يطمعون في أقسام من الدولة العثمانية، الأمر الذي دفع الدول الأوربية إلى عقد مؤتمر يدعو محمد علي إلى سحب جيوشه من الأناضول مقابل ولايته على الشام طيلة حياته، ولما تلكأ وسعَّت إنذاره إلى سحب جيوشه من الشام أيضًا واقتصار ولايته على مصر فقط، وهذا

---

(١) حداد، مهنا يوسف، (دكتور) الرؤية العربية اليهودية، منشورات ذات السلاسل الكويت، ١٩٨٩، ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

ما الحدث شجع بريطانيا على التفكير جديًّا بمساعدة اليهود للهجرة إلى فلسطين وإنشاء بعض المستعمرات فيها، بحيث تكون هذه المستعمرات حاجزًا بشريًّا يمنع اتحاد مصر ببلاد الشام، وبالوقت نفسه تكون هذه المستعمرات نواة لتأسيس الدولة اليهودية في فلسطين.

وبعد ذلك بنحو عشرين سنة نشطت جماعة تسمي نفسها (محبو صهيون)، وقد عملت هذه الجماعة على شراء الأراضي في فلسطين وتهجير اليهود من أوروبا إليها أيام كان اليهود يتعرضون لمصادرة ممتلكاتهم وأموالهم في أوروبا، وحظيت هذه بمساعدة (آل روتشيلد) في بريطانيا وفرنسا، وهؤلاء كانوا يملكون أكبر المصارف المالية في أوروبا والغرب، وقد تم فعلًا شراء كثيرٍ من الأراضي في السواحل الفلسطينية وما بجوارها، وإنشاء المستعمرات اليهودية عليها، وهذه الحالة أثارت الرأي العام الفلسطيني؛ فتقدموا بطلبات ومضابط إلى السلطات العثمانية يطلبون فيها وقف هجرة اليهود واستيطانهم، وفعلًا أصدرت السلطات العثمانية تعليمات بمنع تملك اليهود الأراضي وعدم السماح لهم بالإقامة لأكثر من ثلاثة أشهر.

لكن الجهود المستمرة من اليهودي النمساوي هرتزل وغيره من زعماء اليهود القادمين من شرق أوروبا استطاعت

أن تجمـع زعماء اليهود ومثقفيهـم في مؤتمر عام ١٨٩٧م، وكان هـذا المؤتمر يدعـو إلى وضع مخرج للمأزق الـذي يعيشه اليهود الأوربيون؛ إذ استحال عيشهم بين الملل الأخرى نتيجة انغلاقهم ومواقفهـم التـي تحملـوا مـن جرائهـا مطاردتهـم ومصادرة أموالهم والاعتداء عليهم، وهذا المؤتمر لم يكن قد عين فلسطين حصرًا؛ بل كان هناك خيارات أخرى لإنشاء وطن قومي لليهود؛ إما من الأرجنتين، أو أوغندا، أو أفغانستان، أو فلسطين؛ غير أن أغلبيـة المؤتمرين قرروا أن تكون فلسطين هـي المكان التي تنشأ فيه (الدولة اليهودية).

ولقـد كان لهـذا المؤتمر بقـراره هذا وبما قـرر إنشاءه من اللجـان والتنظيمـات السياسيـة والاقتصاديـة والإعلاميـة، ومـا صار لـه من اجتماعات سنويـة أثرًا قويًـا في إبراز المطامع الصهيونية في فلسطين، وبذل الجهود الكبيرة المتنوعة في سبيل تحقيـق القرار الذي قرره بمـا لا يقاس عليه ما كان من حركات ومحاولات قليلة؛ لأنه صار حاسم الاتجاه والجهد والهدف، ولقد أخذ أركان التنظيم السياسي يسعون مع الدول الكبرى للحصول على تعضيدهـا، وقد توزعوا الأدوار؛ فكان منهم من يسعى لدى قيصـر روسيا، ومنهم من يسعى لدى إمبراطـور ألمانيا، ومنهم مـن يسعى مـع الحكومـات الإنكليزيـة والفرنسيـة والأمريكية، وكان هرتـزل طيلة السنين التـي عاشها بعد المؤتمر الأول -توفي

١٩٠٤م- اللولب والقطب في كل ذلك، وقد ركز مساعيه خاصة في الحكومة العثمانية صاحبة السيادة والحكم في فلسطين؛ بل كانت مساعيه ومساعي رفاقه من الدول الكبرى الأخرى بقصد الاستعانة بها وتأثيرها على هذه الحكومة في سبيل الحصول على إذنها بهجرة اليهود إلى فلسطين، وإنشاء كيان يهودي فيها، ولقد استطاع مقابلة السلطان عبد الحميد الثاني وطلب منه ذلك على أن يكون ذلك الكيان تحت سيادة الدولة وقوانينها، وأغراه باستعداد اليهودية العالمية لمساعدة الدولة ماليًّا وسياسيًّا، ولكن السلطان رفض العرض رفضًا قاطعًا قائلًا: إن فلسطين ملك للمسلمين ولا يمكن بيعها.

ولقد حاول (هرتزل) أن يجد طريقًا إلى استعمار قبرص أو سيناء؛ لتكون محطة قفز إلى فلسطين في الفرصة المناسبة، ولكن محاولته تعثرت بفرض مصر والمندوب البريطاني (كرومر). ومع المحاولات السياسية التي استمرت بعد (هرتزل) بسنتين أخذ إذن رسمي للهجرة والاستعمار الكثيف، فقد ظلت تتعثر؛ فإن المنظمة الصهيونية أخذت تبذل جهودها لتحقيق مطامعها بدون ذلك الإذن، حيث توسعت في تهجير اليهود من شرق أوروبا ووسطها، وشراء الأراضي وإنشاء المستوطنات، واستطاعت أن تصيب شيئًا من النجاح بمختلف الأساليب، حيث بلغ عدد المستعمرات التي أنشئت قبل وعد بلفور ٣٥ مستعمرة بين كبيرة وصغيرة وفي مناطق يافا وحيفا وطبريا

وصفد على نحو (٨٥) ألف هكتار، وبلغ عدد المهاجرين نحو سبعين ألفًا، بالإضافة إلى نحو (١٠٠٠٠) من السفاديم كانوا في فلسطين قبل الحركة الجديدة، وقد نظم المهاجرون الجدد لأنفسهم مستعمراتهم الخاصة كمجتمع يهودي مستقل بمحاكمه ومدارسه وبريده وطوابعه وحياته الخاصة ومجالسه وحراسة المسلحين، وبرز كيان شبه سياسي لا تخفى مطامعه البعيدة؛ ليكون العمل اليهودية باسم (العمل العبري)، ولما أعلن الدستور العثماني في تموز يوليو عام ١٩٠٨م وخلع السلطان عبد الحميد في نيسان إبريل ١٩٠٩م اشتد نشاطهم في توطيد أقدامهم وتوسيع حركتهم؛ مستغلين وجود أفراد من اليهود العثمانيين برزوا في جمعية الاتحاد والترقي التي كانت وراء إعلان الدستور وخلع السلطان ووجود عدد آخر بارز منها كانوا من المتظاهرين في الإسلام ينتمون إلى أصل يهودي، توصف طبقتهم بوصف الدولة إلى العائدين المرتدين.

ولقد بذلت المنظمة جهودها في سبيل إلغاء القيود السابقة على الهجرة والتملك للأراضي، واستطاعت أن تخففها حتى درجة الإلغاء بمساعدة اليهود والمرتدين البارزين في الاتحاد والترقي، كما استطاعت أن تشتري مساحات واسعة من الأراضي التي كانت في مليكة ملاك لبنانيِّين وأهمها مساحة واسعة من (فرج ابن عامر) من آل سرسق، وتطلعت إلى وضع

يديها على ما عرف بالأراضي المدورة في غور بيسان والفارعة التي كانت مساحتها تبلغ مئات الآلاف من الدونمات، ودفعت سمسار لبناني اسمه نجيب الأصفر لبذل جهوده وأخذ الامتياز باسمه بطريق الإعارة، وسارت في سبيل ذلك أشواطًا وإن لم يتحقق ما أرادت، ولقد كان من صهاينة من يحاول التعمية والخداع على مقاصد البعيدة ويظهر الرغبة في حسن التعايش والتعامل والتفاهم مع العرب، ويصور الحركة حركة بريئة من المطامع السياسية، ويظهر نشاطًا في سبيل تحقيق ذلك، في حين كان منهم من يصرح بالمقاصد البعيدة للحركة من الهجرة والاستيطان وبسط السلطات اليهودية نفوذها ليس في فلسطين فحسب بل يمتد إلى مساحات واسعة من شرق الأردن وحوران والجولان ولبنان وسيناء بزعم أنها وطنهم التاريخي وأرض إسرائيل، وأنهم الأحق بها دون العرب، ويستهين بالعرب ويهتف بأنه عليهم الرحيل عاجلًا غير آجل من هذه الأرض؛ ليقيموا فيها دولة لهم وحدهم، ولقد حاولوا التقرب من جمعية الاتحاد والترقي بحجة أنها من تقويتها لهم ضربة للحركة العربية القومية التي برزت بعد إعلان الدستور.

وفي الوقت نفسه حاولوا التقرب إلى أركان الحركات القومية العربية لا سيما في مصر بحجة أنهم يستطيعون أن يعضدوا حركتهم دوليًّا وماديًّا، كما أنهم قادرون على دفع

البـلاد العربية نحـو الازدهار والرقي، وكانت هنـاك ردود فعل في البلاد العربية تتمثل في الإعـلام والصحافة، وبالوقت نفسه يقوم اليهود بتوطيد أقدامهم وإدخال السلاح ووضع الحراسات علـى مستعمراتهم ومنشآتهم، لكن الأمر تفاقم ووصل إلى طرد أصحاب الأراضـي الزراعية الفلسطينية منها والتي تم شراؤها مـن اللبنانيين، وعلى الرغم مـن أن هناك من العرب والمسلمين من كان يعي المؤامرة الكبرى ومستقبل الأوضاع وما ستؤول إليه، لكن قيـام الحـرب العالمية الأولى عـام ١٩١٤م أدخـل القضية الفلسطينية مدخلًا جديـدًا؛ إذ ازداد نشاط اليهود وتحركاتهم نحو الدول المتحاربة، مقدمين الرشاوى لهذه الدولة والإغراءات لتلك والمساعدات للأخرى، وهكذا أستطاعوا أن يدخلوا أنفسهم بالحرب مع الدولة العثمانية بعدما تيقنوا سقوطها؛ ليجعلوا من ذلـك ورقة تخولهم قبض ثمـن المشاركة وهو توطيدهم بالأرض الفلسطينيـة، وفعـلاً تمّ ذلك لهـم عندما أصـدر وزير خارجية بريطانيا وعد بلفـور المشؤوم في ٢ نوفمير ١٩١٧م، ويقضي هذا الوعد بمساعدة اليهود في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.

൬൫



تصوير
احمد ياسين
@Ahmedyassn90

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة التي منَّ الله عليَّ بإكمالها لابد لي أن أذكر ما خلصت إليه من خلال الإفادة من المصادر والمراجع التاريخية التي اعتمدت عليها في دراستي هذه، وأستطيع أن أجملها بالنقاط الآتية:

١- في الفصل الأول لم أجد أي مصدر سماوي أو تاريخي يثبت أن اليهودية ديانة سماوية.. وأن ما ورد في القرآن الكريم من نصوص كلها تبعدنا عن أي احتمال بالقول في ذلك. كذلك فيما يخصُّ الأحداث التاريخية وما تفتقر إليه أسفار العهد القديم والجديد وحتى المكتشفات الأثرية والتنقيبات.

٢- إن شعب الخزر يضم قبائل وثنية كانت لهم قوة وكيان أدوا من خلالها أدوارًا سياسية في الأقاليم المحيطة ببحر الخزر وحوض نهر الولغا و قسم من شرق أوروبا، وأنهم اعتنقوا الديانة اليهودية في القرن الثامن الميلادي أيام الخليفة هارون الرشيد، ولم يكونوا يعرفون عن الديانة اليهودية شيئًا ولاعن طقوسها بدليل أنهم كانوا يلتمسون من يهود العراق من يذهب إلى بلدانهم لتعليم أبنائهم الدين اليهودي، وأن

سبب اعتناق اليهودية سياسي بحت بعد أن وجد ملك الخزر نفسه أمام خيارين إما أن يتبع دين الخلافة العباسية في بغداد وإما أن يكون تابعًا للكنيسة البيزنطية.

٣- أظهرت الدراسة أن لليهود الخزر كيانًا سياسيًّا وعسكريًّا كان يوازي القوى الأخرى المحيطة به من دول واقاليم، وأن الكيان المتهود آنذاك كانت له طموحات وأطماع في السيطرة والهيمنة على الدول المجاورة، وفرض ما يستطيع أن يفرضه من أمور تخوله بها قوته السياسية والعسكرية.

٤- ورد في الدراسة حروبٌ وغزوات عديدة كانت بين اليهود الخزر ودول الجوار، وأنها كانت سببًا للنزعات والرغبات المتأصلة في نفوس اليهود الخزر بطلب العيش على حساب الآخرين.

٥- أن الشتات اليهودي بعد سقوط دولة الخزر على يد المغول كان سببًا في نشوء التجمعات اليهودية والحركات الصهيونية وتسييس الدين اليهودي لمصلحة اليهود أنفسهم والتخطيط المستمر للهيمنة على أي مجتمع يحلون فيه.

٦- أن ممارسات اليهود التي شملت السيطرة على منابع المال والممارسات الربوية التي أوقعت الأشخاص والحكومات بشرك الإفلاس والممارسات السياسية التي كانت ترفضها

شعوب وحكومات أوروبا من تغلغل اليهود في عنعنات الدولة ومفاصل الحكم بأساليبهم الخبيثة وتوجيه سياسات الدول التي يلجؤون إليها لصالحهم، كلها دفعت بتلك الدول إلى رفض الجماعات اليهودية والسعي لإخراجها من صفوف مجتمعاتها.

٧- إن الجهود التي بذلتها بريطانيا والغرب والولايات المتحدة الأمريكية لإيجاد وطن قومي لليهود ليس من منطلق إنساني أو أخلاقي، وإنما هو فقط للخلاص مما كانوا يعانونه من ممارسات الجماعات اليهودية في جميع بلادهم، والتي كانت حاجزًا يمنع التطور والنمو والانتعاش الاقتصادي؛ بل بالعكس كانت الدول المضيفة للجماعات تعاني من الويلات والحروب والانتكاسات الاقتصادية على الدوام بسبب ما يخططه ويبتزه اليهود، ولم تحصل تلك الدول على استقرارها ونموها إلا بعد التخلص من الجماعات اليهودية وتهجيرها إلى فلسطين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

(المصادر و المراجع)

«بعد القرآن الكريم»

١- أبوعساف، علي (دكتور) **الآراميُّون تأريخًا ولغة وحكمًا**، دار أماني، دمشق، ١٩٨٨م.

٢- أبوالفداء، السلطان الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة ت ٧٣٢هـ، **تقويم البلدان**، صححه رينود مدرس العربية والبارون ماك كوكين، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٥٠م.

٣- أسود، عبد الرزاق، **المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب**، ج١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨١.

٤- أمين، أحمد (دكتور) **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، القاهرة، بلا مكان طبع، ١٩٤٩م.

٥- ابن أعثم، العلامة أبو محمد أحمد الكوفي، **الفتوح**، المجلد ٧-٨، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا سنة طبع.

٦- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الملقب بعز الدين، **الكامل في التاريخ**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.

٧- ابن العبري، العلامة غريغيريوس المالطي، **تاريخ مختصر الدول**، دار الآفاق العربية القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٨- ابن العديم، أبـو القاسم، عمر بن أحمد بن هبة الله، **زبدة الحلب من تاريخ حلب** ج٣، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥١م.

٩- ابـن الفقيه، أبو بكـر أحمد بن محمد الهمداني، **مختصر كتاب البلدان**، دار إحيـاء التراث العربي، بـيروت لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٠- ابـن النـديم، **الفهرست**، تحقيق جوهـان روجـر، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٤م.

١١- ابـن حوقل، أبـو القاسم بن حوقـل النصيبي، **كتاب صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

١٢- ابن خلدون، العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابـن خلـدون**، شركـة دار الأرقـم بن أبي الأرقـم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٣- ابن خيـاط، خليفة بـن خيـاط العصفـري البصري، ت: ٢٤٠هـ - ٨٥٤م، **تاريـخ خليفـة بن خيـاط**، حققه: سهيل زكار، مطابع دار وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٧م.

١٤- ابـن كثير، الإمام الحافظ أبو الفـداء إسماعيل بن محمد القرشـي الدمشقي، **البداية والنهايـة**، الجزء الأول، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

١٥- ابـن منظـور، أبـو الفضل جمـال الدين محمد بـن مكرم الإغريقـي المصـري، **لسـان العـرب**، دار صـادر للنشـر، بيروت، لبنان، بدون سنة طبع.

١٦- أتلخان، جودا رفعت (جنرال) **أسـرار الماسـونية**، ترجمة: نـور الدين رضا الواعظ، سليمان محمد أمين القابلي، بلا مكان طبع، ١٣٧٦هـ.

١٧- إسكنـدر، فايـز نجيب (دكتـور) **استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينيا (آني) (٤٥٦هـ ـ ١٠٦٤م)**، دار نوبار للطباعة، دار الفكر الجامعي للنشر، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٧م.

١٨- إسكندر، فايز نجيـب (دكتور) **أرمينيا بـين البيزنطيين والأتـراك والسـلاجقة في مصـنف أريسـتاكيس اللستيغراتي**، المطبعة العصرية، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

١٩- الأحمـد، سامي سعيـد، **تاريخ فلسـطين القـديم**، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، مطبعة علاء، ١٩٧٩م.

٢٠- الإدريسي، أبوعبدالله محمد بن محمدعبدالله بن إدريس الحموي الحسيني، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، المجلد الثاني، عالم الكتاب للنشر، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢١- الأصطخري، أبو إسحق محمد بن إبراهيم الفارسي، **مسالك الممالك**، بريل، ليدن، ١٩٢٧م.

٢٢- البستاني، المعلم بطرس، **محيط المحيط**، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، ١٩٨٣م.

٢٣- البغدادي، صفي الدين بن عبد المؤمن بن عبد الحق، ت: ٧٣٩هـ، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق: محمد علي البجاوي، المجلد الأول، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٤م.

٢٤- البلاذري، الإمام أحمد بن يحيى بن جابر، **البلدان وفتوحاتها وأحكامها**، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٥- الجميلي، عبدالله، **بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود**، ط٢، مطبعة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٦- الحموي، الشيخ الإمام شهاب الدين، أبوعبدالله ياقوت ابن عبدالله الحموي الروسي البغدادي، **معجم البلدان**، المجلد الثاني، بيروت، ١٩٦٨م.

٢٧- الحميري، محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، حققه: إحسان عباس، ط٢، مطابع دار السراج، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٨- الخـوري، حنا عبده (دكتور) **الخطر اليهودي على الدين والدنيا**، دار الركن للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٩- الدجـاني، هشـام، **اليهوديـة والصـهيونية**، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

٣٠- الدينـوري، أبوحنيفـة أحمد بـن داود، **الأخبـار الطوال**، المكتبـة الأزهرية، مطبعـة السعادة، القاهـرة، مصر، بلا سنة طبع.

٣١- الرازي، **مختار الصحاح**، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣م.

٣٢- الزواوي، ربيع عبد الرؤوف، **المفسـدون في الأرض (اليهود) تاريخهـم الأسـود ومخططاتهـم لمسـتقبل الإسـلام**، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكدرية، مصر، ١٩٩٨م.

٣٣- الزبيـدي، محمـد مرتضـى الحسينـي، **تـاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبدالكريم الغرباوي، ج١١.

٣٤- الزمخشري، أبوقاسم جار الله محمد بن عمر الخوارزمي، **الكشـاف عـن حقائـق التنزيـل وعيون الأقاويـل في وجوه التأويل**، الجزء الثاني، دار الحديث، القاهرة ١٩٨٣م.

٣٥- الساداتـي، حسن أحمـد محمود (دكتـور) **تاريـخ الدول الإسـلامية بآسـيا وحضـارتها**، مكتبـة نهضـة الشـرق، القاهرة، ١٩٨٧م.

٣٦- السيد، محمود، (دكتور) **التتار والمغول**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠١م

٣٧- الشمالي، نصر، **ملاحظات أساسية حول المسألة اليهودية**، - ط٢، مكتب الخدمات للطباعة، دمشق، ١٩٨٥م.

٣٨- الشمالي، نصر، والدجاني، هشام، **الظروف التاريخية للهجرات اليهودية**، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٠م.

٣٩- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **قصص الأنبياء**، تقديم مصطفى عبدالقادر، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م.

٤٠- العاني، رشدي محمود، **الحقيقة التاريخية لعلاقة يهود الخزر والدونمة ببني إسرائيل**، منشورات شركة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، مطبعة أنوار دجلة، بغداد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٤١- الغرناطي، عبدالرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الأندلسي، **تحفة الألباب نخبة الإعجاب**، تحقيق: إدريس إسماعيل المغربي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤٢- الفاروقي، إسماعيل راجي (دكتور) **الملل المعاصرة في الدين اليهودي**، معهد البحوث والدراسات الإسلامية، جامعة الدول العربية، مطبعة الجيلاوي، القاهرة، ١٩٦٨م.

٤٣- الفاروقي، إسماعيل راجي (دكتور) **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، مطبعة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٤م.

٤٤- الفرد ليلينتال، **الأخطبوط الصهيوني**، ترجمة: محمد الحسين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣م.

٤٥- الفيروز آبادي، الشيخ مجد الدين بن يعقوب، **القاموس المحيط**، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

٤٦- القرويني، الإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر للنشر، بيروت، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

٤٧- الكتاب المقدس، **العهد العتيق**، الطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٣.

٤٨- الكتاب المقدس، **العهد القديم والعهد الجديد**، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٩٢م،

٤٩- الكتاب المقدس، **كتب العهد القديم والعهد الجديد**، دار الكتاب المقدس، ١٩٦٦م.

٥٠- الكيالي، عبد الوهاب (دكتور) **تاريخ فلسطين الحديث**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٠م.

٥١- الكيـالي، عبد الوهاب (دكتور) **الموجز في تاريخ فلسطين الحديث**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧١م.

٥٢- المدرس، علاء الدين، **الظاهرة القرآنيـة والعقل**، دراسة مقارنـة للكتـب المقدسيـة، ط١، مطبعـة العـاني، بغداد، ١٩٨٦م.

٥٣- المدور، مـروان، الأرض، **عبر التاريـخ**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٢م.

٥٤- المسعـودي، أبـو الحسن علـي بن الحسين بـن علي، **مروج الذهـب ومعـادن الجوهـر**، ط١، دار الأندلس، بـيروت، ١٩٦٩م.

٥٥- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسن بن علي، **التنبيـه والإشـراف**، دار ومكتبـة الهلال، بـيروت، لبنان، ١٩٨١م.

٥٦- المسعودي، أبو الحسن، علي بن أبي الحسين بن علي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ج١، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٩م.

٥٧- المسيري، عبد الوهاب، **الإيديلوجية الصهيونية**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨م.

٥٨- المسـيري، عبـد الوهـاب، **موسـوعة اليهـود واليهوديـة والصهيونية**، ج٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩.

٥٩- المغربـي، أبو الحسن بـن علي بن موسى بـن سعيد، **كتاب الجغرافيـا**، وضع مقدمته وعلق عليـه: إسماعيل المغربي، منشـورات المكتـب التجـاري، للطباعـة والنشـر والتوزيع بيروت، بلا سنة طبع.

٦٠- المقدسي، المعروف بالتباري، **أحسـن التقاسـيم في معرفة الأقاليـم**، وضع مقدمتـه وهمشه: الدكتور محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٦١- النعيمي، أحمد نوري (دكتور) **اليهود والدولة العثمانية**، دار الشؤون الثقافية العامة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠م.

٦٢- النعيمـي، أحمد نـوري (دكتور) **يهود الدونمة، دراسـة في الأصـول والعقائـد والمواقف**، دار النشـر للتوزيع والنشر، بغداد، ١٩٩٥م.

٦٣- النعيمـي، أحمـد نوري (دكتـور) **الـدور السياسـي ليهود الدونمـة في تركيـا**، جمعيـة الدعـوة الإسلاميـة العالمية، ليبيا، ٢٠٠١م.

٦٤- النعيمي، أحمد نوري (دكتور) **اليهود والدولة العثمانية**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م.

٦٥- بارتولد، ف. ف، **دراسـات في تاريخ فلسـطين في العصـور الوسـطى**، ترجمـة: عزيـز حـداد، مركـز الدراسـات الفلسطينية، جامعة بغداد، مطبعة أسعد، ١٩٧٣م.

٦٦- بشور، وديع (دكتور) **صهاينة الخزر**، بلا دار نشر، دمشق، سورية، ٢٠٠١م.

٦٧- بوكاي، موريس (دكتور) **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٩٨١م.

٦٨- بيتي، جون، **الصهيونية لعبتها أمريكا**، دار النشر للجامعيين، لبنان، بلا سنة طبع.

٦٩- بيتي، جون، **الستار الحديدي حول أمريكا**، ترجمة: عبد المنعم صادق، طبع دار النشر للجامعيين، جمعية الوعي القومي، القاهرة، بلا سنة طبع.

٧٠- جولد بيرج، جوناثان، **القوة اليهودية داخل المؤسسة اليهودية الأمريكية**، ترجمة: خالد حداد، الذاكرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م.

٧١- جولد بيرج، جوناثان، **قوة اليهود في أمريكا**، بلا مترجم، دار الهلال، بلا مكان طبع، ١٩٧٧م.

٧٢- حجاوي، سلافة (دكتور) **اليهود السوفييت**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠م.

٧٣- حجاوي، سلافة (دكتور) **اليهود السوفييت دراسة في الواقع الاجتماعي**، مركز للدراسات الفلسطينية، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠م.

٧٤- حدادن مهنـا يوسف (دكتور) **الرؤية العربيـة لليهودية**، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٩م.

٧٥- حدة، حسـن (دكتور) **الجـذور اليهودية ـ تاريـخ اليهود**، العربي للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، بلا سنة طبع.

٧٦- حسونة، خليل إبراهيم، **الماسـونية قديمًا وحديثًا (دراسة في الحركة التنظيمية – اليهودية وجمعياتها منذ هرم الهيكل المزعوم حتى الآن)** بلا مكان طبع، طرابلس، لبنان ١٩٩٤م.

٧٧- حطيـط، أحمد (دكتور) **حروب المغول**، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٤م.

٧٨- حلمي، أحمد كمال الدين (دكتور) **السـلاجقة في التاريخ والحضارة** ذات السلاسل الكويت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٧٩- حمـاد، أحمـد أحمد بن فضلان بـن العباسي بـن راشد، **رسـالة ابـن فضـلان**، تحقيـق: سامـي الدهـان، المجتمع العلمي العربي، دمشق، سورية، بلا سنة طبع.

٨٠- داود، أحمد، **العرب والسـاميون وبنو إسـرائيل واليهود**، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩١م.

٨١- دروزة، محمـد عـزت، **العـدوان الإسـرائيلي القـديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها**، ج٢، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

٨٢- دنلوب، د، م. **تاريخ يهود الخزر**، نقله للعربية وقدم له: دكتور سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط٢، دمشق، سورية، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٨٣- زعرور، إبراهيم محمود، وأحمد، علي سلمان، **اليهود في الأندلس خلال العصور الوسطى**، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٩م.

٨٤- سركيس، خليل، **تاريخ أورشليم القدس**، دار علاء الدين، للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سورية، ٢٠٠١م.

٨٥- سنقرط، داود عبد الغفور، **أبناء يهود في الخفاء، جذور الفكر اليهودي**، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٩٨٣م.

٨٦- سوسة، أحمد نسيم (دكتور) **العرب واليهود في التاريخ**، ط٥، منشورات دار الرشيد، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١.

٨٧- سوممر، دوبون، **الآراميُّون**، تعريب: ناظم الجندي، راجعه ودققه وقدم له: الدكتور توفيق سليمان، دار أماني للطباعة والنشر، دمشق ١٩٨٨م.

٨٨- شاكر، عبد الرحمن، **دولة الخزر الجديدة (إسرائيل)**، دار مصباح الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨١.

٨٩- شلبي، أحمد (دكتور) **مقارنة الأديان (اليهودية)**، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٥.

٩٠- **صحيح مسلم**، الجزء الرابع، دار الحديث، القاهرة.

٩١- صفوت، نجدت فتحي، **بيرو بجان التجربة السوفيتية لإنشاء وطن قومي يهودي**، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٣م.

٩٢- طعيمة، صابر عبد الرحمن، **الماسونية ذلك العالم المجهول**، ط٦، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.

٩٣- طعيمة، صابر، **التاريخ اليهودي العام**، دار الجبل، بيروت، ١٩٧٥م.

٩٤- طنطاوي، محمد سعيد (دكتور) **بنو إسرائيل في الكتاب والسنة**، ج١، مطبعة حامد خير، القاهرة، ١٩٦٨م.

٩٥- عبدالحليم، مصطفى كمال (دكتور)، وارث، سيد فرج (دكتور) **اليهود في العالم القديم**، دار القلم، لبنان، ١٩٩٥م.

٩٦- عبد اللطيف، محمد عبد الرحمن، **وعد الله ليس لبني إسرائيل**، الهيئة العامة للكتاب القاهرة، ١٩٧١م.

٩٧- عبدالمجيد، محمد بحر (دكتور) **اليهود في الأندلس**، دار الفكر، لبنان، ١٩٨٣م.

٩٨- عرنوق، مفيد، **الإيديلوجية اليهودية في شقيها التوراتي والصهيوني**، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٩م.

٩٩- علي، جواد (دكتور) **تاريخ العرب قبل الإسلام**، الجزء الثالث، مطبعة المجتمع العراقي العلمي، بغداد، ١٩٥٦م.

١٠٠- غارودي، روجيه، **قضية إسرائيل**، ترجمة: نزيه الشوفي، مطبعة المنارة، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٠١- غريمال، بيار، وآخرون، **موسوعة تاريخ أوروبا العام**، ترجمة: أنطوان. أ. الهاشم، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

١٠٢- غنيم، عبدالرحمن، **اليهود بين القرآن والتوراة ومعطيات التاريخ القديم**، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية.

١٠٣- فامبري، أرمينوس، **تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى الحاضر**، ترجمه وعلق عليه: الدكتور أحمد محمود الساداتي، راجعه: الدكتور يحيى الخشاب، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٨٧٢م.

١٠٤- فريح، غازي محمد، **النشاط اليهودي في الفكر والممارسة**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٠٥- فريدمان، بنيامين، **يهود اليوم ليسوا يهودًا**، إعداد: زهدي الفاتح، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٠٦- فواز، مدهش في **الرواية الصينية العائدة إلى (تورطويا)** تردمت في سان جوليان المجلة الآسيوية – ١٩٦٤م.

١٠٧- فورد، هنري، **اليهودي العالمي**، تعريب: خيري حماد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٦٢م.

١٠٨- فيتش، شيريب، **حكومة العالم الخفية**، ط١٠، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٠٩- كار، وليام غار، **أحجار على رقعة الشطرنج**، تعريب سعيد الجزائري، دار النفائس، ط٩، ١٩٨٧م.

١١٠- كوحوك، **النفاق والدونمة**.

١١١- كيستلر، آرثر، **القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم**، ترجمة: أحمد نجيب هاشم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩١م.

١١٢- لاصب، هارولد، **سليمان القانوني سلطان الشرق العظيم**، شكري محمود نديم، بغداد، بلا سنة طبع.

١١٣- لانجر، وليام، **موسوعة تاريخ العالم**، ج٢، أشرف على الترجمة: الدكتور محمد مصطفى زيادة، مكتب النهضة المصرية، ١٩٥٢م.

١١٤- لوثر، مارتن (دكتور) **نفاق اليهود**، ترجمة: عجاج نويهض، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٤م.

١١٥- ليلنتال، الفريد، **ثمن إسرائيل**، ترجمة: حبيب غولي وياسر هواري، كتاب الملايين، ١٩٥٤م.

١١٦- ليون، إبراهام، **المفهوم المادي للمسألة اليهودية**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٩م.

١١٧- مأمون، سعيد، **حكومة العالم الخفية**، ط٩، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

١١٨- مؤنس، حسين (دكتور) **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١١٩- مؤنس، حسين (دكتور) **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٢٠- مارون، ج٣، **مذكرات وايترمن**، ١٩٥٢م.

١٢١- **مجلة العربي الكويتية**، العدد ٩١، يونيو (حزيران) ١٩٦٦م.

١٢٢- محمد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري الجعفي ت: ٢٥٦ هـ، **صحيح البخاري**، مطابع الشعب، القاهرة، ١٣٧٨هـ.

١٢٣- محمد، مصطفى، **الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا**، بلا سنة طبع ولا مكان.

١٢٤- محمود، حسن أحمد، **الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.

١٢٥- مقار، شفيق، **الجنس في التوراة والعهد القديم**، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٩م.

١٢٦- ناجي، سلمان (دكتور) **المفسدون في الأرض أو جرائم اليهود السياسية والاجتماعية في العالم**، ط٢، دار العربي للإعلان والنشر والطباعة، دمشق ١٩٧٣م.

١٢٧- نبراس قيد، هنري جيمس، **العصور القديمة**، نقله إلى لعربية: دار ودقربان، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٢٨- همو، عبد المجيد، **الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات**، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، سورية، ٢٠٠٣م.

١٢٩- همو، عبد المجيد، **جذور اليهود أمام النقض التاريخي**، دار الحافظ، دمشق، سورية، ١٩٩٩م.

١٣٠- همو، عبد المجيد، **هل اليهودية ديانة سماوية**، دار غار حراء، دمشق، سورية، ١٩٩٩م.

تصوير أحمد ياسين

١٣١- ويلــز، هـــ. ج، **معــالم تاريــخ الإنســانية**، ج٣، تعريــب: عبدالعزيــز توفيــق جاويــد، راجعــة: أ- محمــد مأمون نجــا والدكتور عبدالحميد يونســ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٠م.

ﮩﮨ

«المصادر الأجنبية»

تصوير احمد ياسين

1- Bernand Leuis، the Jews of Islam، London،1948 ، P.61.

2- Akdes Nimet Kurat، IV X III، Yu2yillarda ve Devletteri and.1972، (P.37).

3- Dono Dunlop « the Jewish Khazars « NY 1967، (ss chec keb books) (P.57).

ﮩﮨ

ABSTRACT

The present study addresses itself to investigate the states of Al Kazer Jew through utilize of historical references which I depended in my research and concluded as fellow:

1. In chapter one، I did not founded any shgey and historical references ensure that Jewess is Judaism and what remember in Holly Quran to move a way from this yaying and historical events ensure it.
2. The people of AL-Kazer included of heathen tribe and they have entity and force to exercise a political roles in surrounding regions of Al-Kazer sea and Volka river and part of east Europe and they embrace Judaism in 18 A.D at ear of Harron Al-Rashed and they didn›t understand any thing of Judaism that they request of Iraqi Jew to go to them to edjuctation children Judaism and the reason of embracement Judaism was pure political that the king of Kazer facing one of tow chooses either follow Abasi cliphet dectrein in Baghdad or Roman church.
3. As to Al-Kazer Jew، their was a military and political entity to be equal onther forces of statues and regions and for this entity at that time ambitious and avidities in control and domination upon neighboring nations.
4. We remember، in this research، more of wars between Al-Kazer Jew and neighboring nations which it was reason of conflicts and rooted wshises in jew themselves.

تصميم أحمد جاسين

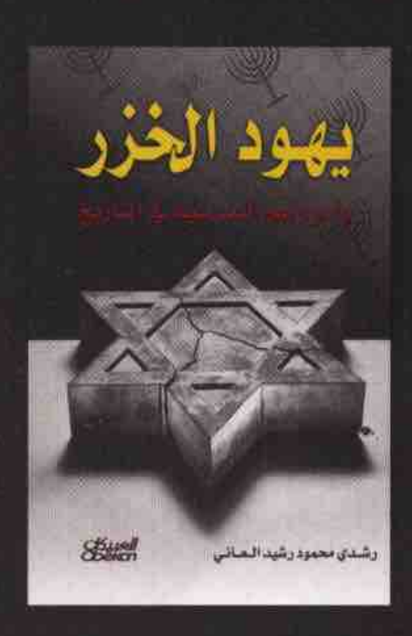
5. The scattring of Jew after fall Al-Kazer statues was reason in stem of Jew politiesson of judasim for Jew interest and continuous planning to governance of any society live in it.
6. The Jewesh exercises which including of the control on source of money and usurious transactions to hem in persond and government of snare bankrupusy and political transactions which people and government of Europe refuse permeance of Jew with malicious methods to governance society and forward state political which resortre making these nations to refuse Jew congregation and persecution them in Russian and Poland and England and Germany not with Muslem hands.
7. The efforts which grant Britain and west and U.S of existence a nationed homeland of Jew was not at humanien or eithical base but to salvation of what they suffer of Jew congregation in all of their country which were obstacles prevent a development and growth and economical revival but the hostess states to these congregation suffer of wars and economical crash on going because what the Jew were planning.

ALKAZER JEWS AND THERE POLITICAL ROLES IN HISTORY
Dr.RUSHDI. M. AL ANI

تصوير احمد ياسين



تصوير
احمد ياسين
@Ahmedyassn90



في هذا الكتاب

- اليهودية ديانة سياسية وليست سماوية، ولم يكن هناك ما يثبت عكس هذا، وإن ما ورد في القرآن الكريم من النصوص تبعدنا عن أي احتمال بالقول في ذلك، كما أن أسفار العهد القديم والجديد افتقرت إلى إثبات ذلك وحتى المكتشفات الأثرية.
- إن اليهودية ظهرت في بابل عام٤٨٦ ق.م كتجمع سياسي ديني بعد انهيار دولة بني إسرائيل على يد نبوخذ نصر، ولم يبق من أولئك اليهود في العالم أكثر من ٧ ٪؛ أما يهود اليوم فهم أبناء من اعتنق اليهودية عام ٧٢٠م أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد ولأسباب سياسية أيضًا، ولم تكن لهم أدنى علاقة بأولئك اليهود وحتى مع بني إسرائيل.
- إن الشتات اليهودي بعد سقوط دولة الخزر على يد المغول كان سببًا في نشوء التجمعات اليهودية والمحافل الصهيونية في العالم، وكان تأسيس الديانة اليهودية محور عمل جميع تلك المنظمات والمحافل.
- إن ما دفع دول الغرب والولايات المتحدة وبريطانيا لإيجاد وطن قومي لليهود ليس من منطلق إنساني أو أخلاقي؛ وإنما هو فقط للتخلص مما كانوا يعانونه من ممارسات اليهود المتمثلة بالسيطرة على رؤوس الأموال وأماكن صنع القرار وإذكاء الفتن وإشعال الحروب بين الدول التي كانت تعد حاجزًا أمام تقدم وتطور تلك الدول وانتعاش اقتصادها.

موضوع الكتاب: اليهود - تاريخ
ISBN 978-6-0350908-7-2







B8KS.COM | بوكس.كوم